الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة

كلية الآداب واللغات

قسـم الترجمـة **الرقم التسلسلي.....**

مـدرسـة الـدكتـوراه **رقم التسجيل.....**

ترجمة الخصوصيات الثقافية في الرواية المغاربية و إشكالية التلقي

رواية "في الطفولة" لعبد المجيد بن جلون ترجمة – فرانسيس غوان– نموذجا

مذكرة لنيل درجة الماجستير في الترجمة

إعـــداد الطالب: **إشراف الدكتور:**

محمد حمزة مرابط **محمد الأخضر الصبيحي**

لـــجنـــــة المناقشـــة:

د: **فرحات معمري**	جامعة منتوري قسنطينة	رئيســـــــا
د: **محمد الأخضر الصبيحي**	جامعة منتوري قسنطينة	مشرفا ومقررا
د: **عبد الرشيد قريبع**	جامعة منتوري قسنطينة	عضوا مناقشا

الـسنـة الـجـامعية: 2008 / 2009

شكـــــــر

أبدأ بشكري لله عز وجل الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل المتواضع إذ قال في كتابه العزيز

"ولئن شكرتم لأزيدنكم"

ثم أود أن أشكر أشخاصا كان لهم الفضل في مساندتي وإعانتي على إتمام هذا ا لعمل أخص بالذكر:

المشرف على مذكرتي ا لأستاذ الدكتور **محمد الأخضر الصبيحي** الذي لم يبخل علي بمعلوماته القيمة وتوجيهاته لي وكذا كتبه ا لتي بفضلها خرج هذا العمل إلى الوجود.

أشكر كذلك الأستاذ الدكتور **عمار ويس** رئيس قسم الترجمة الذي كان مثالا للأب و الناصح الموجه.

كما لا أنسى شكر الأستاذ والأخ العزيز **زين الدين بن موسى.**

كما أشكر السيد **فرانسيس غوان** الذي وافق على إعانتي بكل ما احتجت إليه من نصائح ومراجع لا غنى لي عنها.

ولي شكر خاص للسيدة **دلفينه.**

في الأخير أشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

شكرا جزيلا

إهـــــداء

إلى التي تعبت من اجل راحتنا، إلى نبع الحنان لك أبدا ودائما كل الحب والتقدير.

أمي الغالية

إلى الذي كد واجتهد بلا ملل من اجل الوصول بنا إلى أعلى المراتب.

أبي العزيز

إلى إخوتي الأشقاء

سفيان، ياسين، سيف الدين

إلى قرة العين وريحانة البيت أختي العزيزة

مريم حنان

إلى من ستكون **زوجتي** وكل **أفراد عائلتها**

إلى كل من يحمل لقب **مرابط** من قريب أو من بعيد

إلى الذي هو اقرب إلي من حبل الوريد الصديق المخلص **بلال**

إلى **زملاء الدراسة** كل باسمه كما لا أنسى **موظفي إدارة قسم الترجمة**

أهدي لكم هذا العمل

خطة البحث

مقدمـــــة

مدخـــــل

الفصل الأول: ثنـــائية الترجمـــة والثقـــافة

أولا : الترجمة بين الماضي والحاضر

مقدمة

1-1- الترجمة عند العرب

1-2- الترجمة عند الغرب

خاتمة

ثانيا : علـــى ضفـــاف الثقـــافـــات

مقدمة

2-1- ماهية الثقافة

2-2- المترجم كوسيط ثقافي

خاتمة

ثالثا : العائق الثقافي في العملية الترجمية

مقدمة

3-1- عائق الثقافة الإيديولوجية

3-2- عائق الثقافة الاجتماعية

3-3- عائق الثقافة المادية

3-4- عائق الثقافة البيئية

خاتمة

الفصل الثاني: ثنـائية التـرجـمة والأدب

مقدمة

أولا : الترجمة والتواصل الثقافي الأدبي

خاتمة

ثانيا : مابين استحالة الترجمة الأدبية وإمكانها

مقدمة

2-1- ترجمة الشعـر

2-2- ترجمة المسرحية

2-3- ترجمة الأقوال المأثورة

خاتمة

ثالثا : منهجية ترجمة الألسن والثقافات

مقدمة

3-1- مابين الانقياد المطلق وحرية التصرف

3-2- مابين المزاوجة والإنكار

خاتمة

الفصل الثالث: ثنائية الترجمة الأدبية والتلقي

أولا : التلقي الترجمي

مقدمة

1-1- نظرية التلقي

1-2- مساهمة نظرية التلقي في تطور أساليب الترجمة

خاتمة

ثانيا : هجرة النص الأدبي

مقدمة

2-1- الأدب العربي مرسلا

2-2- الأدب العربي مستقبلا

خاتمة

الفصـــل التطبيقـــي :

مقدمة

أولا : تقديم رواية في الطفولة ولمحة عن حياة كاتبها

ثانيا : تقييم ترجمة العنوان

ثالثا : دراسة تحليلية نقدية لترجمة فرانسيس غوان **Francis Gouin** للخصوصيات الثقافية الواردة ضمن رواية عبد المجيد بن جلون "في الطفولة".

خاتمة

قائمـــة المراجـــع والمصادر

فهرس الموضوعات

المـــلاحـــــق

حوار مع مترجم الرواية فرانسيس غوان **Francis Gouin**

ملخص باللغة الفرنسية

ملخص باللغة الانجليزية

المـــــقدمـــــــــــة

تمايز اللسان البشري واختلف منذ غابر الأزمان ويروى أنّ برج بابل حيال هذه البلبلة مدان(*)، وسواء صحّت الرواية أم كانت محض خيال فهذا لم يمنع بني البشر يوما من التواصل والاتصال، وتحقيقا لهذا المراد استعملوا مئات بل آلاف اللغات واللهجات؛ فكانت الآشورية والحيثية واللاتينية والإغريقية وكذلك الهندية والفارسية وغيرها من اللغات القديمة الجديدة مثل العربية والعبرية، وصولا إلى أحدثها كاللغة الفرنسية والإنجليزية... ليغدو التعدّد والاختلاف بين اللغات والثقافات عنوان الحضارة الإنسانية على مرّ العصور، وليسجل التاريخ اسم بابل القديمة ومصر الفرعونية ويونان الأساطير والفلاسفة مهدا للحضارات، ثم يدوّن بكل فخر واعتزاز عهدا إسلاميا أنار دياجير العقول والقلوب وصنع من طليطلة وبغداد نبراسا تهتدي وتحتذي به أوروبا في صنع نهضتها وقوتها، ليأفل حينئذ نجم الحضارة الإسلامية وتسطع شمس الحضارة الغربية، ويغدو العالم بتطور الإعلام والتكنولوجيات، وانفتاح الاقتصاد، وهيمنة القوى العظمى مجرد قرية صغيرة متلاشية الحدود والمعالم.

وبعد أن كان برج بابل ضربا من ضروب الحكايا والخيال، هاهو اليوم يبرز كطير الفينيق العتيق(**) من رماد اكتنفه عقودا وأزمان، في محاولة لتوحيد لغات بني البشر وبناء صرح متين تمّحي تحت سقفه البابلية التي سادت العالم منذ آلاف السنين؛ لتُجَسِّد القرية الكونية رغم كلّ ضروب التمنّع وتمايز اللسان، موحّدة البشر تحت لواء رايـــة واحـــدة تذوب معها كلّ الفـــوارق الثـــقافية والحواجز اللـــغوية، بـــل وتلغـــى الحـــدود ويدوّل الاقتصاد؛ لتغدو العولمة حينئذ بحقّ نسخة مبتكرة لحلم طالما راود الألباب والأفكار.

(*) تروي الأسطورة أنّ سكان مدينة بابل حاولوا بناء برج يبلغ السماء؛ الأمر الذي أثار غضب الرب، الذي عاقبهم بهدم البرج وبلبلة الألسنة، بعد أن كان بنو البشر جميعا يتحدثون لغة واحدة.

(**) طائر العنقاء أو الفينيق (Le Phénix) : طائر أسطوري يموت، لينبعث من جديد من رماد جسده.

لكن إلى حين تدشين عهد الانصهار في بوتقة اللاّحدود بين اللاّمعدود من الأجناس والثقافات، سيظل البرج بآماله وأمانيه أسير صفحات تقلب وتطوى في سجل التاريخ، هذا التاريخ الذي شهد على مرّ الحقب والأزمان تواصل أمم وشعوب متباينة اللغات والثقافات والعادات والمعتقدات والأعراف؛ تواصل أبت الترجمة إلاّ أن تكون سيدة الوصل والربط فيه، لتنتقل المعارف الإنسانية بكل ثقة مابين العصور وتقترب الثقافات على اختلاف مشاربها خلال كل العهود، فتمتزج عصارات الفكر والحضارة من أجل الارتقاء بالحياة الأدبية والعلمية بعد تخطي الحواجز والعوائق البيئية والإيديولوجية والاجتماعية. فالترجمة نشاط فكري لغوي نابع عن حاجة الأفراد إلى التواصل عبر الحدود اللغوية والفروق الثقافية، وهي ضرورة حضارية ظهرت بظهور الحاجة إلى التفاهم بين المجتمعات البشرية باعتبارها نافذة مطلة على الآخر، مهّدت لمدّ جسور الحوار بين البشر على اختلاف مشاربهم.

وبالرغم من أنّ الترجمة تعمل ضمن حيّز لغوي طرفاه لغتان مختلفتان؛ لغة مصدر ولغة هدف، يقوم فيه المترجم بدور الوسيط بين هاتين اللغتين، إلاّ أن البيان وحده لا يكفي؛ فالمترجم مهما كان ضليعا بالاختلافات التي تعرفها تلك اللغات من ناحية المفردات والقواعد والتراكيب الصوتية والصرفية والمعجمية، يبقى في حاجة إلى معرفةِ أدق تفاصيل النص المصدر والثقافة التي يجسدها. فلا يكفي أن يُحصّل المترجم موهبة ثنائي اللغة فحسب، بل يتوجب عليه التمتع برؤية ثنائيي الثقافة أيضا بهدف التغلب على تلك المفارقات بين الثقافات واللغات التي تقف في طريق نقل المعنى وتؤثر على سلامة العملية الترجمية، فالخصوصيات الثقافية تختلف من مجتمع إلى آخر، وقد تتولد عنها عقبات تعرقل المسار الترجمي وتؤثر عليه.

إنّ المتتبع لمسار العملية الترجمية يدرك حقيقة مفادها أنّ مقدرة المترجم على وضع الأشيـــاء في نصابهـــا الصحـــيح تتطلّب أكثر من مجرّد التمكّـــن من اللغتين المنقـــول منـــها

وإليها، لا سيما في المجال الأدبي، إذ لا وجود لنص أدبي إبداعي مجرد من خصائصه الثقافية؛ ولأنّ الثقافة تمثل فضاء متغيرا يتضمن العديد من الحدود المتباينة التي

تتميز بالخصوصية والانتظام داخل أطر معينة، فإنّ ترجمة تلك الخصوصيات تطرح العديد من الإشكاليات. وقد أقرّ العديد من المنظرين والباحثين في هذا المجال وجود عقبات تواجه المترجم، لاسيما مترجم النص الأدبي أثناء أدائه الفعل الترجمي. ولكي تنضبط العملية الترجمية لابدّ لها من قواعد، كما أنّ المترجم الجيّد هو ذاك الذي يستطيع استيعاب ما تخفيه السطور وتبطنه الأفكار، فيغوص في أعماق الكاتب من خلال النص ليتحسس المعنى الذي يرمي إليه وينقله للقارئ بأمانة.

فالمترجم سفير الحضارة الإنسانية الذي لا يكتفي فقط بربط الماضي بالحاضر، بل ينقل القارئ من ثقافة إلى أخرى فيفيد وينير ويضيف إلى الفكر الإنساني، وإن واجه نوعا من الانحراف الأسلوبي والتحريف المضموني في نقله لبعض المفردات والتعابير التي تحمل في طياتها شحنات ثقافية، نظرا لاختلاف القيم والمفاهيم باختلاف الشعوب والأمم. ثم إنه ليس من اليسير هضم نص مهما كان حجمه ودرجة تعقيده، وإيجاد ما يعادله في اللغة المترجم إليها من تعبير وأسلوب يستسيغه قارئ هذه اللغة، فيدرك مقاصد مؤلف النص الأصلي. لذلك يؤكد كثير من المنظرين على أهمية القارئ المتلقي للنصّ خاصة الأدبي منه، باعتباره المنتج والخالق الحقيقي للمعنى.

فالمتلقي يفهم العمل الأدبي ويؤوله انطلاقا من أفقه الخاص، وكثيرا ما يتجاوز هذا العمل بفضل الترجمة الحدود اللغوية والثقافية التي ولد فيها، ليجد النص نفسه في بيئة لم يُكتب لها في الأصل، في لغة أخرى وأمام متلقين جدد ينتمون لثقافة مغايرة لثقافته الأصلية؛ مما يطرح العديد من الإشكاليات والتساؤلات المتمحورة في عديد الثنائيات كالترجمة والثقافة، الترجمة والتلقي، الخيانة والأمانة، المضمون والشكل، استحالة الترجمة وإمكانها. هذه الثنائيات تفتح بدورها الباب على مصراعيه لجدليات وأسئلة عديدة؛ فآراء المنظرين والباحثين في مجال الترجمة تختلف وتتباين وشتان بين النظرية والتطبيق؛ خاصة إن تعلق الأمر بترجمة النصوص الأدبية التي تحمل في طياتها إفرازات دلالية لامتناهية وخصوصيات ثقافية يتعذر على المرء أحيانا ترجمتها.

وهنا تكمن الإشكالية التي سنعالجها في بحثنا هذا؛ حيث سنتطرق لتحليل المناهج الممكنة والمعتمدة في نقل تلك الخصوصيات الثقافية من لغة إلى أخرى والصعوبات التي تواجه المترجم أثناء أدائه للفعل الترجمي، مع تسليط الضوء على إشكالية التلقي.

ومن هذا المنطلق ارتأينا اختيار رواية "**في الطفولة**" للروائي الدبلوماسي والمبدع الكبير **عبد المجيد بن جلون**، لما تحمله من خصوصية قلما تجتمع في نصّ واحد؛ إذ تعتبر هذه الرواية أول نص إبداعي أدبي في المتن الروائي المغربي وأول سيرة ذاتية في مسار الرواية المغربية أيضا(*)، ناهيك عن البيئتين المتناقضتين حضاريا وثقافيا التي يركز عليهما الكاتب من خلال هذه الرواية؛ بيئة انجلترا وبيئة المغرب المتسمتين بقيم وخصوصيات متعارضة.

فهذا النص يجمع بين المتعة الفنية وسرد الحقائق التاريخية، ممّا أعطى الرواية نكهة خاصّة؛ إذ يجسد سيرة الكاتب الطفولية في مدينتي مانشستر وفاس، عاكسا بيئتين مختلفتين ومشاهد مكانية متنوعة رسمت بوضوح حالة الإمبراطورية البريطانية في بداية القرن العشرين وطبع سكان مانشستر، إلاّ أنّ الجزء الأكبر من الرواية اتخذ المغرب فضاء له وجسّد بصدق حياة الشعب المغربي في تلك الفترة التاريخية من نمط عيش وتفكير ومعتقدات. وقد جاءت لغة الكاتب بسيطة موحية ومعبرة، تتخللها في كثير من الأحيان مفردات عامية خاصّة باللهجة المغربية ممّا أضفى بدوره خصوصية وصبغة محلية على هذه الرواية التي نرى فيها نموذجا جيدا يستحق الدراسة، لما تشتمل عليه من ألفاظ وعبارات ذات دلالات ثقافية تخدم بحثنا.

وإثراء لهذا العمل البيداغوجي ارتأينا التعامل المباشر مع مترجم الرواية الفرنسي **فرانسيس غوان Francis Gouin**؛ هذا المثقف الذي أحبّ لغة الضّاد فانقادت له انقيادها لأبنائها، لتكون اللغة العربية أول ما ينطق به مترجمنا ابن ريف الرباط الذي يتقن أكثر من أربع لغات. ومن خلال بحثنا هذا، سنحاول معالجة كيفية تعامله مع عنصر الثقافة الوارد بكثرة في الرواية؛ هذا العنصر الذي تنجم عنه عديد المشاكل والعقبات خلال عملية نقله من لغة إلى أخرى، فالعملية الترجمية ليست بالعملية الهينة

(*) حميد لحمداني : الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985م، ص : 549.

وتقتضي من المترجم اختيار أمثل السبل والطرق التي توصل ترجمته إلى برّ الأمان بين زخم المناهج وتعدد أراء المنظرين.

وينقسم بحثنا إلى جزئين: جزء نظري وآخر تطبيقي؛ يتضمن الجزء النظري ثلاث فصول يتصدرها مدخل، يليه الفصل الأول الذي سنتناول من خلاله ثنائية الترجمة والثقافة: العلاقة بينهما، وساطة المترجم ومختلف العراقيل التي تطرحها الثقافة أثناء الفعل الترجمي. أمّا الفصل الثاني فسنحاول من خلاله التطرق إلى ثنائية الترجمة والأدب، من خلال التعرض إلى الترجمة والتواصل الثقافي الأدبي، لنحدد بعدها بعض المواطن التي يتعذر فيها نقل الخصوصية الثقافية الأدبية من لغة إلى أخرى وكيفية تناول الدرس الترجمي بين الانقياد المطلق وحرية التصرف، والمزاوجة والإنكار. وفي الفصل الأخير سنعرض ثنائية لا تخلو أهمية عن سابقاتها ألا وهي ثنائية الترجمة الأدبية والتلقي التي سنحاول من خلالها التعرض لنظرية التلقي ومدى مساهمة التلقي الترجمي في تطور أساليب الترجمة وهجرة النصوص.

أمّا في الجزء التطبيقي؛ فبعد تقديم الرواية وتقييم ترجمة العنوان، سنقوم بدراسة تحليلية لمختلف المناهج والطرق التي اعتمدها المترجم الفرنسي **فرانسيس غوان Francis Gouin** في تعامله مع الخصوصيات الثقافية المتضمنة في الرواية ومدى توفيقه في تخطي العقبات التي واجهته أثناء مساره الترجمي وكيفية ترجمته لتلك الخصوصيات الثقافية؛ لكل ذلك ارتكزت منهجية عملنا على المقارنة. وقد اقترحنا لكل مقطع سقناه كمثال، ترجمة هذا الأخير مع تقديم آراء كل من منظري الترجمة والممارسين في هذا المجال. ولإضفاء مزيد من الجدية والعمق على هذا البحث؛ رأينا أنه من الأجدر إجراء حوار مع مترجم الرواية السيد **فرانسيس غوان Francis Gouin** ليقدم لنا أسلوبه وطريقته في الترجمة، تعامله مع عنصر الثقافة وإشكالاته، تقييمه الشخصي للفعل الترجمي، مدى تلقي القارئ الغربي للرواية العربية المترجمة وغيرها من النقاط التي سنتعرض لها بمزيد من التفصيل في هذا الجانب من مذكرتنا، من خلال توظيف هذا الحوار بما يتلاءم مع الفصل التطبيقي.

« Le bilingue offre l'avantage d'une ouverture sur la différence »
TAHAR BEN JELLOUN

مـــدخـــــــل

حضارات كثيرة سادت ثمّ بادت، وأمم عظمى زالت بعد أن امتدت قوتها، إلاّ أنّ زوال تلك الأمم والحضارات لم يعن يوما اندثار تراثها التليد ولا أفول ما حققته من علم وإبداع؛ فالعالم لا يزال يقرأ بمختلف اللغات لأفلاطون وأرسطو ويستمتع بروايات شكسبير وتعجبه إلياذة هوميروس ويحفظ أحيانا من شعر لامارتين وتسحره ألف ليلة وليلة رغم اختلاف الأمكنة والعصور وتباين الألسن. ولا يخفى على أحد الدور الذي لعبته الترجمة في التعريف بهذه المؤلفات ونقل كثير من المعارف والعلوم وإنقاذ آثار خالدة من ثقافات الشعوب بانتشالها من براثن الضياع المؤكد مثل بعض الكتب التي فقدت نصّها الأصلي ولم يبق منها إلاّ النصّ المنقول إلى إحدى اللغات ككتاب " *كليلة ودمنة*" *لابن المقفع* وهو كتاب فقد أصله الهندي وفقد النسخة الفارسية المنقولة عن الهندية ولم يبق منه إلاّ الرواية العربية التي أخذت عنها باقي اللغات.

كثيرة هي تلك الكنوز التي ساهمت الترجمة في حفظها وكشفها للبشرية؛ لتكون الترجمة بذلك أبرز واسطة ترضي نَهَمَ بني البشر العلمي وتشبع فضوله المعرفي؛ فهي نشاط حيوي واستراتيجي فتح مجالات الحوار والتفاعل بين الشعوب، كما أنّها نافذة نطلّ من خلالها على ثقافات غيرنا من الأمـــم. في هذا الصدد يقول **شحاذة الخوري:** « *الترجمة جسر يربط بين الثقافات المختلفة كما أنّها تعتبر الوسيلة التي نتمكن بواسطتها من الإطلاع ومعرفة أحدث ما توصلت إليه الدول المتقدمة في المجالات العلمية والتكنولوجية ومختلف ميادين المعرفة والآداب والفنون*» [1]. فلا عجب إذن إن قيس تطور أمة من الأمم بمدى تطور وتوسع الترجمة فيها.

إنّ الحديث عن الترجمة يقودنا حتما إلى الحديث عن اللغات، حيث عادة ما يقترن نجاح الترجمة بمدى اقتدار المترجم اللغوي، بيد أنّ الفعل الترجمي لم يعد مجرّد نقل نصّ من لغة إلى لغة أخرى، كما أنّ المترجم تجاوز بكثير مجرّد دور الوسيط اللغوي بين

---

[1] الخوري شحاذة: دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، القسم الثاني. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 84.

هاتين اللغتين؛ فأفق المترجم أوسع من أن ينحصر في مجرد معارف لغوية أو كفاءة لسانية، خاصة وأنه معرّض في أي لحظة إلى تنشيط وتفعيل مداركه غير اللسانية. تؤكد "**ماريان ليديرار**" **(Marianne Lederer)** قائلة :

« *Le traducteur ne traduit cependant pas un texte en lui appliquant seulement ses connaissances linguistiques. A tout moment, d'autres connaissances sont réactivées…* » (1)

« *لا يعتمد المترجم في ترجمته للنص على معارفه اللغوية فحسب، بل غالبا ما يضطر لتفعيل معارف أخرى...* » ترجمة

والأكيد أنّ هذه المعارف تتنوع بين معارف أدبية وثقافية وأخرى تاريخية أو فنية وهي ما يعرف بأفق المترجم الثقافي، الذي يعرّفه "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)** على أنّه :

« *L'horizon est l'ensemble des paramètres langagiers, littéraires, culturels et historiques, qui 'déterminent' le sentir, l'agir et le penser d'un traducteur.* »(2)

« *الأفق هو مجموع المعايير اللغوية، الأدبية، الثقافية والتاريخية التي "تحدد" إحساس، عمل وتفكير المترجم*» ترجمة

إنّ المترجم من وجهة نظر المتلقي هو المؤلف الوحيد للنص وهذا في حد ذاته رهان كبير، لا يمكن تجاوزه إلاّ من خلال التمكن، ليس فقط من ناصية اللغة المنقول منها والمنقول إليها، بل بالولوج إلى ثقافة الآخر ومحاولة الإحاطة بها. فكما يختلف البشر تختلف عاداتهم وثقافاتهم، وهذا التمايز يؤثر تأثيرا مباشرا على أفكارهم ونصوصهم، والمترجـــم مجرد وسيط يقف على ضفاف تلك الثقافـــات؛ يأخذ عن هذا ليقدم لذاك، لذلك كان عليه الإلمام باللغتين والثقافتين معا. يؤكد **الجاحظ** هذا بقوله: « *على المترجم أن يعرف أبنية الكلام، وعادات القوم، وأساليب تفاهمهم* » (3)

---

(1) LEDERER, Marianne. La traduction aujourd'hui, le model interprétatif, Paris, Hachette-livres, 1994, P.123.
(2) BERMAN, Antoine. Pour une critique des traductions : John Donne, Paris, NRF Gallimard, 1995, p.79.
(3) الديداوي محمد : الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، لبنان، الدار البيضاء، 2000، ص84.

فالترجمة ضرورة حضارية والثقافة جزء لا يتجزأ من التراث الحضاري، وعلى المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات الوسط الثقافي الاجتماعي الذي تتم فيه العملية الترجمية؛ هذه الخصوصيات التي تطرح صعوبات جمّة تستعصي ترجمتها أحيانا، لاسيما في المجال الأدبي، مرتع اللغة الزئبقية؛ التي تنم عن تجربة إنسانية ملؤها الجمال والأحاسيس الفياضة التي تعتري الأديب فتجده يسترسل في قصة أو رواية أو شعر تختلط فيه تصوراته بالمتعة الجمالية والخصوصية الثقافية. وفي هذا الشـــأن يقول **شحـــاذة الخـــوري**: « *لا يترجـــم الشعـــر إلّا شاعـــر، ولا ينـــقل الأدب إلّا أديب.*» [1]؛ فالترجمة الأدبية عسيرة، لخصوصية النص الأدبي المعتمد على التصوير والعاطفة والخيال والتأثير والانفعال والإيحاء والمعاني الضمنية. كما أنّ كلّ قراءة تولد فيه معاني جديدة، والمترجم قارئ بالدرجة الأولى ومبدع أديب بالدرجة الثانية يهدف إلى الحفاظ على خصوصية النص الأصلي بجلّ قيمه الدلالية متخطيا كلّ العقبات التي قد تحول دون تحصيله لمعاني ذلك النص.

يقول **عبد الحميد يونس** عن الترجمة الأدبية: « *إنّ الترجمة الأدبية صعبة جدا، ولا يستطيع أن يحكم على مدى التوفيق أو الإخفاق إلّا رجل كابد الترجمة الأدبية، وأدرك أنّها أعسر بكثير من الترجمة العلمية، ذلك أنّ المترجم مطالب في مجال الأدب أن ينقل ظلال المعاني إلى جانب إحساسه بما يمكن أن نسميه نظام التعبير في اللغتين التي ينقل منها وينقل إليها... ونحن نسلم في الوقت نفسه، بأنّ لبعض الصور دلالات تختلف من بيئة إلى بيئة، ومن شعب إلى شعب، ومن لغة إلى لغة.*» [2] ويبقى العنصر الثقافي بكل ما يحمله في طياته من خصوصيات إحدى أهمّ الإشكاليات التي طرحتها ولا تزال تطرحها الترجمة.

لقد كانت الإشكالية الثقافية ولا تزال إحدى أهم المعضلات التي يواجهها الدرس الترجمي، إذ يصاحبها في أغلب الأحيان قول بعدم إمكانية تحقيق الفعل الترجمي، ممّا دفع بالعديد من المنظرين والباحثين في هذا الميدان إلى تدارس عنصر الثقافة لاسيما في

---

[1] الخوري شحاذة : دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس، دمشق، 1989، ص.57.

[2] الخوري شحاذة: فن الترجمة قديما وحديثا، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/تونس، 1988، ص 12.

المجال الترجمي الأدبي.

لقد سمحت الترجمة الأدبية لشعوب العالم على اختلافها بأن تتذوق أصنافا من الآداب العالمية والفنون وتستمتع بها جماليا وحسيا؛ حيث لا يمكن إنكار الدور الثقافي التواصلي الذي لعبته الترجمة على امتداد التاريخ الإنساني، فجلّ الأعمال الأدبية كانت ستبقى أسيرة صفحاتها، وحبيسة رفوف مكتبات يجهل وجودها السواد الأعظم من الناس. كما أنّ الشعب الذي يستقبل آداب الآخرين مثلما يرسل إبداعاته، لا محالة شعب يقرأ ويطّلع ويتأثر ويتجدد أدبه شكلا ومضمونا باستمرار، فلا يعرف الخمول ولا التقاعس ولا الانحطاط أو الزوال. بيد أن الشعب المنغلق على نفسه وآدابه فقط، هو شعب حبيس ماضيه، شعب متقاعس، يحرم أدبه من فرص التجديد الفني والمضموني؛ باختصار أدب يحتضر شكلا وأسلوبا.

إنّ الترجمة عملية دقيقة وحساسة تنقل نصا بجميع أبعاده من بيئة قد وضع لأجلها إلى بيئة جديدة مغايرة عبر مخاض إبداعي جديد وعسير، وقد أدرك العرب قديما أهمية الترجمة وأولوها اهتمامهم. إلاّ أنّ العالم العربي عرف نوعا من التقهقر والاضمحلال الذي أدّى إلى ضعف في جميع المجالات، ناهيك عن ركود وسبات ثقافي أدبي استمر لقرون وأجيال، لم يتداركه الوعي العربي إلاّ خلال القرن الماضي أين عاد الاهتمام بالترجمة، وبلغ الأدب درجة من التطور الفكري والفني جعله يرقى إلى مصاف الآداب الغربية؛ ليطلع العالم على أسماء من أمثال طه حسين، نجيب محفوظ، الطيب صالح، غسان كنفاني، نزار قباني، محمود درويش وغيرها من الأسماء العربية التي ترجمت أعمالها إلى لغات أجنبية، مقدّمة صورة عربية واضحة المعالم في كل من رواياتها وأشعارها.

لقد ساهمت الإبداعات العربية من شعر وقصة قصيرة ورواية ومسرحية في تعريف القارئ الغربي بالأدب العربي الحديث، إلا أن الاهتمام الأكبر يتمحور حول الأشكال السردية التي تسهم في تقديم المجتمع العربي ووصف شتى مناحي الحياة وبالتالي تزويد المتلقي بكم هائل عن حقيقة الحياة العربية وسحر الشرق الذي ألفه الغربي مع حكايات ألف ليلة وليلة. ومن المعلوم أنه من الصعب إرسال الأدب العربي في لغته

الأصلية مباشرة إلى الغرب دونما وساطة ترجمية، فالعربية ليست منتشرة بذلك الحد الذي نأمله، والغريب أن معظم مترجمي الأدب العربي إلى اللغات الأجنبية؛ هم من الأجانب الذين إما ولدوا في بلد عربي واستوطنوا فيه أو عاشوا به خلال الفترة الاستعمارية غير البعيدة التي عرفتها البلاد العربية، أو أنهم من المستشرقين الذين آثروا دراسة اللغة العربية وآدابها أو العلوم الإسلامية في جامعات بلادهم، مما أكسبهم كفاءة لغوية وزادا ثقافيا مكنهم من خوض غمار ترجمة الأعمال العربية.

ولأنه لكل لغة طريقتها الخاصة في تقطيع العالم، فكثيرا ما تنطوي هذه الأعمال المترجمة على خسارة مضمونية أو شكلية. فالنص العربي المنقول إلى اللغة الفرنسية يتعرّض للشذب والحذف والإضافة وإعادة التنظيم، وفي هذا الصدد يقول "**جاكمون ريشار**":« *بعض المترجمين الفرنسيين يتعاملون مع النص الأصلي بفوقية تجعلهم يجيزون لأنفسهم تشذيب النص وتمتينه، فهم يعتبرون أن إحاطة الكاتب بنصه غير منضبطة...ويظنون أنهم إن أبقوا على النص كما خرج من يدي الكاتب فسيفقد رونقه وبهائه وسيخسر بالتالي عددا من القراء المتطلبين، فيعيدون كتابة النص ويجرّدونه من بعض التفاصيل ويقدمون ويؤخرون حتى يستقيم النص، فكأن الكاتب العربي مازال في نظرهم طفلا يحبو ولم يشتد عوده، وكأن الكتابة العربية يجب أن تتبع نموذجا أوروبيا بحتا أو تقلد الأدب الغربي تقليدا لا يرقى أبدا إلى الأصل*»[1]. إن الخسارة في المضمون أو الأسلوب ستؤدي حتما إلى تشويه النص الأدبي المنقول، وبالتالي سيفقد تأثيره في نفس المتلقي وسحره، كما أنّ الشذب والحذف والإضافة هنا وهناك، ستؤدي إلى تبديل النص تماما وتحريفه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ القارئ الغربي يميل أكثر إلى تلك الأعمال التي يتعرف فيها على القيم الفكرية والجمالية للمجتمع العربي؛ أعمال تسافر به بعيدا إلى تلك الأرض التي طالما كانت وستبقى محل اهتمام هذا القارئ المتأثر لليوم بالمقامات والموشحات العربية، بقصص كليلة ودمنة ورسالة الغفران وحي بن يقظان. وقد كان للعديد من

---

[1] برهون رشيد : ترجمة الفكر العربي والاختلاف المصادر، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الثاني، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، جويلية– سبتمبر 2001، ص 108.

المترجمين غير العرب الفضل الكبير في نقل الأدب العربي إلى خارج حدوده الجغرافية والتعريف به محاولين تحقيق أكبر قدر من التعادل الدلالي والأسلوبي والجمالي، مع وضع مقدمات وشروح تساعد المتلقي على الفهم، ويؤكد **عبود عبده** على أن العمل المترجم المهاجر إلى بيئة غير بيئته الأصلية، حتما سيخضع لمعايير البيئة والثقافة الجديدتين فيقول: « *إن استقبال العمل الأدبي الأجنبي لا يخضع لحاجات الثقافة المرسلة بقدر ما يخضع لاعتبارات كامنة في الثقافة المستقبلة*»[1]

ولا جدال في أنّ كل نص مهما كان نمطه يحمل في طياته شحنة تواصلية. والترجمة الأدبية بطبيعتها وصال يجمع بين المبدع والمترجم والمتلقي؛ ففي بداية الأمر يتلقى المترجم القارئ العمل الأدبي بصورة مباشرة دونما حاجة إلى وساطة لغوية، ليتوجه هذا العمل الأدبي برسالة جمالية وفكرية إلى متلقين يستوعبونه ويتفاعلون معه، ومن بينهم المترجم المستقبلي لهذا النصّ والذي سينقله بدوره خارج حدوده اللغوية والثقافية إلى قارئ متلق جديد في بيئة مغايرة لبيئة النص الأصلية وثقافته.

وتعد نظرية التلقي من أهم المناهج التي اعتنت بدراسة الأدب ونقده، وسنحاول من خلال مدونتنا هذه التعرض بشيء من الإيجاز إلى منشأ هذه النظرية وأسسها الفكرية، مع إلقاء الضوء على أثرها في دراسة الأدب ومساهمتها في تطور أساليب الترجمة. ناهيك عن معالجتنا لعنصر الثقافة في الترجمة وإشكالية نقل الخصوصيات الثقافية من لغة إلى أخرى، وكيفية تعامل المترجم مع هذه المعضلة الثقافية. كما سنقوم بدراسة تحليلية للمناهج التي اعتمدها المترجم في نقل الخصوصيات الثقافية المتواجدة بالرواية المغربية التي وقع عليها اختيارنا، والمتمثلة في رواية "**في الطفولة**" للكاتب والروائي **عبد المجيد بن جلون**، التي ترجمت إلى اللغة الفرنسية من قبل المترجم الفرنسي **فرانسيس غوان Francis Gouin**، تحت عنوان «**Enfance Entre Deux Rives**». لتكون هذه الرواية نموذجا يجسد الثقافة المغاربية التي تتشابه في كثير من النقاط في تصويرها لبيئة الفرد المغاربي من المغرب إلى ليبيا مرورا بموريتانيا، الجزائر وتونس إبان الفترة الاستعمارية

[1] عبده عبود: هجرة النصوص– دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي– منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995 ص. 42.

التي لم تختلف كثيرا أحداثها ومآسيها والجهل والفقر الذي خيّم على الأرض والعباد إبّانها. تحوي رواية "**في الطفولة**" شيئا من المفردات والعبارات الغارقة في العامية، كما أنّها تجسد بوضوح الثقافة المغربية بكلّ ما تشتمل عليه من خصوصيات ثقافية تخدم بحثنا.

وانطلاقا من هذه العناصر تمخض بحثنا المندرج تحت عنوان " **ترجمة الخصوصيات الثقافية في الرواية المغاربية وإشكالية التلقي**".

الفصل الأول

ثنائية الترجمة والثقافة

أولا :الترجـــمـــة بين المـــاضي والحـــاضر

مـــــقـــــدمـــــة:

لطالما كانت الترجمة الرديف المباشر لنهضة وتطور أمم كثيرة أشرفت بنفسها على مسار الحركة الترجمية إدراكا منها لقيمة هذه العملية التواصلية القديمة قدم الإنسان على وجه الأرض، لتحظى الترجمة بذلك باهتمام الشرق والغرب على حدّ السواء .

فالترجمة تنبع من حاجة متأصّلة عند الإنسان لفهم الآخرين، ولقد تطورت بشكل طبيعي على مرّ العصور، لتغدو جزءا هاما من التفاعل الحضاري الثقافي بين الشعوب والأمم. وعلى حدّ قول **ناصف عبد الكريم:**« *الترجمة كانت وما تزال الوسيلة الأهم لتحقيق ذلك التواصل بين الشعوب، فمنذ عرف الإنسان الأبجدية محققا بذلك قفزة تاريخية في مضمار التطور، ومنذ بدأ يكتب ما يعرفه ويدوّن تاريخه وأفكاره كانت الترجمة الرديف المباشر لذلك التطور، فالبشر سلسلة متصلة من الحلقات ربطتها اللغة، وتوأم تلك الرابطة هو الترجمة*»[1]

إنّ الإشارة للترجمة بأنّها نشاط لغوي تواصلي، لا يغير جوهريا من أنّ أيّ فعل ترجمي يتمّ ضمن سياق لغوي ثقافي معيّن. وتعد الترجمة من أبرز وسائل الاتصال التي تسهم في ركب التطور والتقدم، ولطالما كشف التاريخ عن علاقة طردية بين تطور النشاط الترجمي عند أمّة من الأمم، وبين التنمية الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لشعب تلك الأمّة، لتثري بذلك جوانب عدّة من الرصيد الحضاري لمختلف الشعوب.

تكتسي الترجمة بذلك أهمية لا يمكن تجاهلها في جميع المجالات، حيث لا يقتصر الفعل الترجمي على مجرد إعادة زرع النص المصدر في نسيـــج لغوي جديد، بل يتعـــداه ليشمل السياق الثقافي والحضاري لهذا النص، ممّا يسمح للمترجم بأداء فعله الترجمي وإتمامه بشكل يضمن نقل جلّ الخصوصيات والقيم الثقافية الواردة ضمنه.

إنّ اللغة تستند إلى خلفيات مادية وبيئية واجتماعية وإيديولوجية، والمترجم المتمرّس يدرك ما تنطوي عليه اللغة المنقول منها وإليها من قيم وعادات وعقبات،

---

[1] زرمان محمد: "الترجمة في الوطن العربي"، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الثاني، جامعة السانية دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، جويلية – سبتمبر 2001، ص 117-118.

ويحاول تذليلها من خلال معرفته باللغتين المصدرية والمستهدفة، ناهيك عن ثقافة القارئ المستهدف من جهة وثقافة النص الصدر من جهة أخرى.

1ـ1 الترجمـــــة عند العرب :

ليس من الغريب أن يدرك العرب منذ صدر الإسلام ما للترجمة من أهميّة في خدمة الحضارة الإنسانية عن طريق التبادل الفكري والثقافي بين الأمم والشعوب، ونقل المعارف العلمية والأدبية. ومن هذا المنطلق كانت أمّة البيان سبّاقة إلى ترجمة أثمن الدّرر المتمخضة عن الفكر اليوناني والهندي والفارسي وغيرها من حضارات العالم، ونقل أمّهات الكتب على اختلاف ألسنتها إلى اللسان العربي؛ فرغم بدايات الترجمة المحتشـــمة في الـــعهـــد الأموي، إلاّ أنّها سرعـــان ما بلغت ذروة عطائها في عهد الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون من بعده، ليصبح العصر العباسي العصر الذهبي للترجمة بلا منازع بعزّه وازدهاره؛ حيث أدمجت في اللغة العربية آلاف المصطلحات المعرّبة والمترجمة والمنحوتة والمشتقة.

لم يكتف العرب بالترجمة والنقل فقط، بل منحوا مصطلح "الترجمة" عدة تعاريف، كما حاولوا رسم معالم الترجمة، بوضع القواعد والأسس الصحيحة لنقل النصوص من لغة إلى أخرى. ويعود أثل جذر مفردة **الترجمة** عند العرب إلى فعل (رجم)، حيث تقول العرب « رجم *وترجم بالغيب إذا تكلم بالظن*»[1]

كما وردت هذه المفردة ومشتقاتها في العديد من الآثار الأدبية العربية القديمة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر قول المتنبي :

ملاعب جنّـــة لو ســـار فيهـــا سليمـــان لســـار بترجـــمـــان
تجمـــع فيهـــا كلّ لســـن وأمّـــــة فمـــا تفهم الأحداث إلا التراجـــم

[1] الجيلالي أحلام: الترجمة أنواعها وأدواتها، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد العاشر، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، جويلية–ديسمبر 2004، ص 32.

وأشهر ما جاء من تعاريف لمصطلح الترجمة، نجده في *قاموس المحيط* **للفيروز أبادي:** « *الترجمان كعنفوان، وزعفران وريهقان، المفسّر للسان، وقد ترجمه وعنه والفعل يدل على أصالة التاء*»[1]. وهذا التعريف يشبه إلى حد ما ما جاء في *لسان العرب* **لابن منظور** عن لفظة "ترجمان": « *ترجم: الترجمان والترجمان بالضمة والفتحة المفسر للسان*»[2] .

هذين التعريفين ركّزا بوضوح على الجانب الصوتي والحرفي للمفردة؛ فالمترجم لا يتعدى كونه مفسرا للسان أي للغة.

وعلى ذات الشاكلة، نقرأ في **المعجم الوسيط:**«*ترجم الكلام: بيّنه ووضّحه وكلام غيره، وعنه: نقله من لغة إلى لغة أخرى*»[3].

لنختم بتعريف **المنجد في الأعلام:** « *الترجمة هي التفسير أو ذكر سيرة شخص وأخلاقه ونسبه، وترجمة الكتاب هي فاتحته أو تفسيره بلسان آخر وجمعها تراجم، وترجم عنه أي أوضح أمره*»[4].

إذن تفيد الترجمة معنى سيرة شخص أو تأريخ حياته، إلى جانب توضيح الكلام وتفسيره بلسان آخر. وبذلك تصبّ معظم التعاريف في بوتقة واحدة مفادها أنّ الترجمة عملية استبدال لنــصّ في لغة أصل أو مصدر إلى ما يقابله أو يعادله في لغة هدف، بحيث تنفث الأولى روحها في الثانية؛ فالترجمة عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللغات إلى إنتاج كلامي في لغة أخرى مع المحافظة على جانب المضمون الثابت؛ أي على المعنى. ويجدر بنا في هذا المقام التأكيد على أنّ لقدماء العرب من المترجمين في النقل طريقتين: إمّا طريقة يوحنا بن البطريق وهو إتيان كلّ لفظة بما يرادفها من

---

(1) عزوز أحمد : نظرية الحقول الدلالية والترجمة، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الثاني، جامعة السانية دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، جويلية–سبتمبر 2001، ص 200.

(2) الخوري شحاذة : الترجمة قديما وحديثا، ط1، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/تونس،1988، ص15.

(3)الخوري شحاذة : المرجع المذكور، ص16.

(4) لعوبي رابح: حقيقة الترجمة وحركتها خلال حقبة من الخلافة الأموية والعباسية، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الثاني، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، جويلية 2001، ص 157.

المفردات في اللغة المنقول إليها دلاليا وهكذا دواليك. وإما طريقة حنين بن اسحاق الذي يأتي الجملة فيحصّل معناها في ذهنه ليعبر عنها بما يقابلها في اللغة الأخرى من معنى سواء تساوت الألفاظ أم اختلفت، المهم ترجمة المعنى.

استنادا إلى ما سبق يمكن القول إنّ العملية الترجمية هي عملية تواصل ونقل لساني لغوي لنصّ ما في لغة مصدر إلى ما يقابله في لغة هدف. وما دامت اللغة وعاء الفكر والحضارة، تغدو الترجمة بذلك أبعد من مجرّد ممارسة لغوية، لتصبح ممارسة ثقافية ذات أطر وأبعاد تاريخية، بيئية، اجتماعية، إيديولوجية وكذلك عقائدية. ممّا يدفعنا إلى طرح بعض التساؤلات عن الماهية الفعلية للترجمة، فهل الترجمة مجرّد نشاط فكري يقتصر على نقل عمل من لغة إلى لغة أخرى؟ أم أنّ الفعل الترجمي عمل إبداعي ذو مرجعية ثقافية؟

2-1 الترجمة عند الغرب :

لا يغالي المرء إذا قال إنّ الترجمة أدّت دورا رياديا في إحداث النهضة الأوروبية التي أسّست لمدّ نفوذ الحضارة الغربية وإرساء قواعد العالم المعاصر الذي تشهد لغاته اليوم نشاطا ترجميا كبيرا، وفي هذا الصدد يقول "**هنري ميشونيك**"(**Henri Meschonnic**)

« *L'Europe est née de la traduction et dans la traduction…seul l'Europe est un continent de traduction, au sens où les grands textes fondateurs sont des traductions* »[1]

بعثت أوروبا من الترجمة وفيها... إنّ أوروبا وحدها هي قارة الترجمة لأنّ أكبر النصوص المؤسسة لها عبارة عن ترجمات» ترجمة

فالترجمة عند الغرب قديمة قدم الإمبراطوريتين الرومانية والإغريقية؛ حيث انكب المترجمون على نقل التوراة والإنجيل، ليتمّ تداول مفردات عديدة مثل: *translatare , transvertere traducere ,hermeneuein ,vertere* للدلالة على معنى وفعل

(1) MESCHONNIC, Henri. Poétique du Traduire, éditions Verdier, France, 1999, p.32-33.

" ترجم"؛ الذي تطور فيما بعد وتغير إلى *Translate* الإنجليزية، و*Traduire* الفرنسية، و*Ubersctzen* الألمانية...

ومثلما عرّف العرب الترجمة وأولوها اهتمامهم، كذلك فعل الغرب؛ حيث نقرأ في معجم **لاروس Larousse** الفرنسي :

«*Traduire : faire passer un texte d'une langue dans une autre* »[1]

« *ترجم: نقل نص من لغة إلى لغة أخرى*». ترجمة

وهذا التعريف اللغوي يشبه إلى حدّ ما، ما ذهب إليه **غليسون وكوست Galisson et Coste**، اللذين يعرّفان لفظة "traduction" (ترجمة) على أنها تأدية أو تفسير علامات لغوية بواسطة علامات لغوية أخرى[2] .

والمقصود أنّ الترجمة عملية لسانية بحتة، وهذا ما أجمع عليه جلّ اللسانيين؛ حيث أعطوا للترجمة مفهوما لغويا محضا يركز على المفردة لا أكثر، مثلما جاء على لسان اللغوي "**ج.س.كاتفورد**" **(J.C.Catford)** :

"*Translation is the replacement of textual material in one language…by equivalent textual material in another language …*" [3]

« *الترجمة هي تعويض مادة نصية في لغة ما... بما يكافئها في لغة أخرى.*» ترجمة

يتضح ممّا سبق مدى اهتمام اللغويين بالترجمة، حيث اعتبروها فرعا من فروع اللسانيات، بحجة أن الألسنية تمدها بالمنهجية التي تساعدها على التنظير. وفي سنة ألف وتسعمائة وتسعة وسبعين 1979 توثق علم الترجمة على يد **جون رنيه لادميرال Jean René Ladmiral**، بوصفه مادة مستقلة عن باقي الفروع اللسانية. ويحاول هذا المنظر في حديثه عن الترجمة تبديد النظرة اللسانية التي اقترنت بالترجمة فيقول :

« *La traduction est une activité humaine universelle, rendue nécessaire à toutes les époques et dans toutes les parties du globe par*

---

(1) Petit Larousse en couleurs, Librairie Larousse, Canada, 1980, p934.
(2) Dictionnaire de didactique des langues : dirigé par R.Galisson, D.Coste, Hachette, 1976, p556.
(3) J.C. CATFORD, A Linguistic Theory of Translation, An Essay in Applied Linguistics, Oxford University Press, 1980, p.20.

les contacts entre communautés parlant des langues différentes[…] *La finalité d'une traduction consiste à nous dispenser de la lecture du texte original […] La traduction est censée remplacer le texte-source par le 'même' texte en langue-cible.*» (1)

« *الترجمة نشاط إنساني عالمي، جعل منه احتكاك المجتمعات الناطقة بمختلف اللغات ضرورة في كل أرجاء المعمورة وفي كل العصور […] وغاية الترجمة تكمن في إعفائنا من قراءة النص الأصلي […] يفترض في الترجمة أن تعوّض النص المصدر بالنص نفسه في اللغة الهدف.*» ترجمة

وعليه الترجمة ضرورة حضارية وعملية اجتماعية ثقافية لها بالغ الأثر في إتمام التحاور بين الشعوب والأمم. ويتحدث "**جورج** مونان" **(George Mounin)** عن وجود عناصر أخرى يجب احترامها وأخذها بعين الاعتبار عند الترجمة.

« *Traduire est aujourd'hui non seulement respecter le sens structurel ou linguistique du texte (son contenu lexical et syntaxique) mais aussi le sens global du message avec son milieu, son siècle, sa culture, et s'il le faut la civilisation toute différente dont il provient* » (2)

« *لا تقتصر الترجمة اليوم على مجرد احترام البنية المعنوية أو اللغوية للنص (المحتوى المعجمي والتركيبي) بل تتعداه إلى احترام المعنى العام للرسالة ببيئتها وعصرها وثقافتها، وإن اقتضى الأمر الحضارة المغايرة بأكملها التي يأتي منها.*» ترجمة

لا يتوقف دور الترجمة في نقل نص من لغة إلى أخرى، بل يتعداه إلى تواصل بين منتج النص المصدر ومتلقي النص الهدف في إطار تواصلي ثقافي اجتماعي. وقد أولى أصحاب الاختصاص الترجمة تعاريف كثيرة؛ تتباين حينا وتتفق أحيانا أخرى مابين مركّز على الجانب اللغوي فقط للمفردات وبين مهتم بالثقافة للرابط الوثيق بينها وبين اللسان.

(1) LADMIRAL, Jean-René, Traduire : théorèmes pour la traduction, Gallimard, France, 1994, p11-15.
(2) MOUNIN, George : Linguistique et Traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles, P.116.

<u>خــــاتمـــة:</u>

يتجلى لنا ممّا سبق أنّه لا وجود لتعريف موحد للترجمة؛ فالنظرة التقليدية تربطها بالمعرفة اللغوية الصرفة وتركز على الجانب اللساني، بيد أن الترجمة لا تهدف فقط إلى نقل نص من لغة مصدر إلى لغة هدف بل تتعداه إلى نقل مضامين ثقافية وأخرى حضارية.

إذن الترجمة معضلة لغوية عسيرة التحصيل، لا يقوى على اقتحامها إلاّ من كان عارفا بأصولها، وقواعدها؛ فهي ليست مجرّد استبدال كلمات بما يقابلها لفظا من لغة إلى أخرى، بل تتعداها لتكون عملية تواصل وامتزاج بين ثقافتين مختلفتين. ونظرا لأهمية عنصر الثقافة في الفعل الترجمي فقد حظي باهتمام الباحثين والمنظرين في هذا الحقل، وعلى حد قول "**هنري ميشونيك**" **(Henri Meschonnic):**

« *Prétendant ne traduire que la langue, on a traduit la culture.* » (1)

« *لقد ترجمنا الثقافة رغم زعمنا ترجمة اللغة لا غير.* » <u>ترجمة</u>

فالترجمة نشاط فكري نعبُر من خلاله إلى فضاء الآخر؛ لأنه لا معزل لأي إنسان عن الآخرين، والتواصل والحوار هو سمة البشر عبر الأزمان، ولا يهم إن اختلفت اللغات أو الثقافات، مادام المترجم كفيلا بالوساطة بين الجميع.

<u>ثانيا: على ضفــــاف الثقـــافــــات:</u>

<u>مقدمـــة:</u>

يتداول العديد من المنظرين والباحثين في ميدان الترجمة موضوع ثنائية الثقافة والترجمة، باعتبار الترجمة همزة للوصل بين مختلف الثقافات وجسرا تعبر من خلاله الثقافة من شعب إلى آخر. ويذهب العديد من هؤلاء إلى أنّ اختلاف اللغات لا يكمن فقط على مستوى المفردات والتراكيب الصوتية والصرفية والمعجمية، بل إنّ ترجمة أي نص في أي لغة تستدعي نقل خبرات ثقافية مختزنة في الذاكرة الاجتماعية؛ إذ لكل لغة مضمونها الثقافي وأصولها الذهنية والدلالية. وعن علاقة الترجمة بالثقافة وضرورتها

(1) LADMIRAL, Jean-René, palimpsestes : traduire la culture, n° 11, presses de la Sorbonne nouvelle, Paris, p.27.

الحضارية يقول الأستاذ **وديع فلسطين**: « *الترجمة ضرورة إنسانية لا بد منها، لأنّ شعبا مهما بلغ من الرقي والثقافة لا يستطيع أن يستغني بتراثه الخاص، عن التراث الإنساني العام، الذي تتمثل فيه آداب الشعوب الأخرى*»[1].

مما لا شك فيه، أنّ الدراسات الترجمية اعتنت بالعنصر الثقافي في ترجمة النصوص؛ هذا العنصر الذي يسهم بشكل كبير في عملية فهم وتأويل معاني المفردات التي تختلف من لغة إلى أخرى في إيحاءاتها؛ فالثقافة توجه الفهم وتحدد التأويل، كما أنها تعين القارئ على تلقي النص المترجم تلقيا جيدا. ومفردة "ثقافة" ذات مفهوم واسع، يتعذر الإلمام به، لما تتضمنه هذه المفردة من معان ودلالات تختلف باختلاف الشعوب والحضارات؛ فلكل شعب مميزاته الثقافية من بيئة وعقيدة وعادات وتقاليد تؤثر جوهريا على معاني الكلمات، وتجعل الممارس للنشاط الترجمي يواجه صعوبات جليّة تقتضي منه، ليس فقط التمكن من اللغتين المنقول منها واليها، بل أن يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات الوسط الثقافي والاجتماعي للنص المصدر.

2ـ1 مــــاهية الثقـــــافة :

يعود أثل جذر كلمة " *ثقافة*" في اللغة اللاتينية إلى لفظة "*cultura*"، وتدل على رعاية الحقول أو قطعان الماشية، أما مفردة "*culture*" في اللغة الفرنسية فقد ظهرت في القرن السادس عشر للدلالة على فعل زراعة الأرض(la culture de la terre)، ثم بدأ المضمون الدلالي للمفردة يتأثر ويتطور بتطور الأفكار، ليتحول من معنى تهذيب الأرض إلى معنى تهذيب العقل [2] . وبذلك ترسخت هذه المفردة في فكر عصر الأنوار بفرنسا واقترنت بأفكار التقدّم والتطور والتربية و العقل، ليتمّ اقتراضها لغويّا في مختلف اللغات كالألمانيةkultur والإنجليزية culture...

---

(1) الخوري شحاذة: الترجمة قديما وحديثا، ط1، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/تونس، 1988، ص 104.

(2) BENETON Pierre, Histoires des mots : culture et civilisation, Presses de la FNSP, Paris, 1975, p15.

وقد لقي مفهوم الثقافة عدة تعاريف لغوية نذكر منها ما جاء في معجم وابستير webster بأنّ الثقافة هي الاستنارة وحسن التذوّق بفضل التدريب العقلي والذوقي والفحوى الفكرية الفنية للحضارة[1].

أما على المستوى الاصطلاحي، فقد كان عالم الأنثروبولوجيا البريطاني الشهير **إدوارد تايلور** Edward Taylor أوّل من اقترح تعريف مفهومي للثقافة حيث يقـــــول: « *الثقافة أو الحضارة بمعناها الإناسي الأوسع هي ذلك الكلّ المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنّ والأخلاق والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع*»[2].

فتايلور يرى أنّ الثقافة تعبير عن شمولية الحياة الاجتماعية للإنسان. أمّا عالم اللسانيات **يوجين نيدا Eugéne Nida** فيرى أنّ اللغة جزء من الثقافة التي تعرّف ببساطة أنها:

"*Language is of course, an internal part of culture, defined simplistically as the totality of beliefs and practices of a society.*" [3]

« *تعتبر اللغة بحق جزءا لا يتجزأ من الثقافة؛ هذه الأخيرة المعرّفة بكل بساطة على أنّها مجموع معتقدات وعادات مجتمع ما.*» ترجمة

فنيدا Nida يرى أنّ الثقافة هي كلّ لا يتجزأ من اللغة والتقاليد والمعتقدات الخاصة بمجتمع معين. وعلى غرار ذلك ترى "**ماريان ليديرار**" **(Marianne Lederer)** أن مفهوم الثقافة يختلف من بلد إلى آخر حيث تقول :

« *Pour des français, la culture sous-entend l'art, la littérature, la musique comme en témoignent les compétences du ministère de la Culture ou les thèmes traités à l'UNESCO en plus de la science ; le mot anglais 'culture' en revanche renvoie à des éléments aussi divers*

---

(1) الديداوي محمد : الترجمة والتعريب : بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، لبنان/ الدار البيضاء، 2000، ص 278.

(2) الديداوي محمد : المرجع المذكور، الصفحة نفسها.

(3) EUGENE Nida : Language and culture, Traduire la langue Traduire la culture, IFCRLM, Sud Editions/ Maisonneuve et Larose, Tunis/ Paris, 2003, p193.

que coutumes, nourriture, vêtements, logement, mœurs et traditions.»(1)

«يشير مفهوم الثقافة، بالنسبة للفرنسيين، إلى الفن والأدب والموسيقى، إضافة إلى العلوم مثلما يؤكد ذلك كفاءات وزارة الثقافة أو المواضيع المعالجة باليونسكو. بالمقابل تدل هذه المفردة في اللغة الإنجليزية بنفس التنوع، على عناصر أخرى كالأعراف والطعام واللباس والسكن والسلوكات والآداب العامة والتقاليد». ترجمة

وبذلك يتوسع مفهوم الثقافة ليشمل كل مناحي الحياة.

ويرى **غلاّب** أن الثقافة، وإن كانت غير واضحة المعالم، فهي عبارة عن:*« كل ما انطلق من فكر وفنّ وتجربة في الآداب وفنون القول المختلفة و في المعارف العلمية التراثية والمستقبلية وفي كل ما طبعه الإبداع الإنساني من فنون التعبير...، بل كلّ ما قد تسهم الآلة في إنتاجه إلى جانب الفكر واليد والعين واللسان جميعا»*(2).

يمكن القول إذا بأن الثقافة هي مجمل العادات والسلوكات والأفكار والفنون التي تميز مجتمعا عن غيره من المجتمعات والتي تشكل ما نسميه بالخصوصيات الثقافية.

2ـ2 المترجـم كوسيط ثقــافي :

لا يختلف اثنان في أنّ الترجمة قديمة قدم المجتمع البشري وحضارته التي مارست هذا النشاط الفكري، شفويا وكتابيا وكرّسته أداة فاعلة في خدمة الحوار والإبداع ونقل المعارف؛ فقد ترجم البحارة والتجار والسفراء والأمراء لغاية التجارة والسياسة، أمّا رجال الدين فترجموا من أجل الدعوة والتبشير، ليترجم المثقفون من أجل نشر الأفكار وإثراء العلوم وإحياء الثقافات. وإذ اعتبرنا الترجمة جسرا تعبر من خلاله الثقافات، فالمترجم أكيد هو السيد القائم على استقبال تلك الثقافات وتوجيهها، بل وقيادتها إلى برّ الأمان على الضفة الأخرى. فالمترجمون كما تصفهم "**ماريان ليديرار**" **(Marianne Lederer)** :

(1) LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.122.

(2) الديداوي محمد: الترجمة والتعريب : بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، لبنان/ الدار البيضاء، 2000، ص 249.

« *Les traducteurs sont les gardiens, les protecteurs et les propagateurs des cultures du monde* » [1]

« *المترجمون هم حراس، حماة ومروّجو ثقافات العالم.*» ترجمة

ومن بين الأسماء التي خلدها التاريخ وأولاها المرتبة الأولى – وإن سبقها غيرها– نجد اسم الروماني **ليفيوس أندرونيكوس Livius Andronicus** الذي حظي بلقب المترجم الفعلي الأول لأثر احتفظت به البشرية من خلال نقله **للأوديسة L'Odyssée** [2]من اللغة الإغريقية إلى اللغة اللاتينية.

من الواضح أنّ المتتبع لمسار العملية الترجمية يدرك أهمية المترجم الذي يعتبر قطبا أساسيا في هذه المعادلة الفكرية اللسانية ذات الأبعاد الثقافية؛ فالمترجم قارئ مفسّر ومؤوّل، يسعى إلى قهر المسافة الفاصلة بين الشعوب ممّا يوحي بجسامة المهمّة الملقاة على عاتقه، خاصة فيما يتعلق بالنصوص الأدبية التي تعتبر من أصعب الترجمات مراسا. فمترجم الأدب لا يرض بأقلّ من ترجمة تبرز جماليات النص المنقول، ليتذوق القارئ المتلقي جمال النص الأصلي وكأنه يقرأه في لغتـــه التي كُتِب بها، وهنا تكمن قدرات المترجم وإمكاناته الفنية. وقد أدرك القدامى والمحدثون على مرّ السنين ضرورة توفر المترجم على بعض الخصائص التي تحدد كفاءته وقدراته من إتقان للغتين: المترجم منها وإليها، إضافة إلى المعرفة الجيدة بالثقافتين المصدرية والإستهدافية. ويقول "**باسل حاتم** و **إيان ميسون**" (Basil Hatim and Ian Mason):

«*Translators mediate between cultures (including ideologies, moral systems and socio-political structures), seeking to overcome those incompatibilities which stand in the way of transfer of meaning.* »[3]

« *إنّ المترجمين يتوسطون بين ثقافات (بما في ذلك التوسط بين الأيديولوجيا وبين القيم الاجتماعية، والبنى السياسية والاجتماعية)، بهدف التغلب على تلك المفارقات التي تقف في طريق نقل المعنى.*» ترجمة

---

(1) LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.197.

(2) MESCHONNIC, Henri. Poétique du Traduire, Editions Verdier, France, 1999, p37.

(3) HATIM, Basil and MASON, Ian: Discourse and the Translator, Longman Group, UK, 1990, p 223.

فالترجمة قد تصف ثقافة غريبة عن متلقي النص، والتمكن اللغوي وحده هنا لا يعني البتة تحصيل ضروب المقامات المختلفة بما تحمله من أبعاد ثقافية قد تخفى على من يجهل الجانب الحضاري لأمّة من الأمم، لذلك توجَب على المترجم أن يكون توسطه مبنيا على كفاءة ثقافية ولغوية عالية، مع التسلح بطائفة من العلوم والفنون؛ فلكل أمّة لغة ولكل لغة نظام معجمي ونحوي وصوتي وتصورات ذهنية خاصة بها، ومهمة المترجم تكمن في السعي إلى ترك نفس الانطباع الذي يتركه النص الأصلي لدى قرائه الأصليين؛ ولا يتأتى هذا إلاّ باستبعاد المعايير الشخصية والاعتماد على فهم النص وإعادة بنائه في اللغة الهدف مع المحافظة على روح النص الأصلي واحترام ثقافته وبيئته المصدرية، فالمترجم مرآة عاكسة لهذا النص وثقافته.

خـــــاتمـــة:

إنها لمهمة صعبة أن نقوم بقلع نص من محيطـــه الطبيـــعي ونعيد زرعـــه في محيط لغوي وثقافي غريب عن أفقه الثقافي الحضاري، لكن الترجمة ضرورة يفرضها الواقع ويؤكدها التاريخ الذي شهد توالي شعوب كثيرة وأمم مختلفة، أدى المترجم فيها دور الوسيط بكل فاعلية، وعلى حد قول "**جورج مونان**" **(George Mounin)**:

« *Il n'existe, en effet, aucune tribu isolée n'ayant eu besoin un jour ou l'autre d'échanger avec une tribu de langue différente et n'ayant pas eu recours à un locuteur bilingue pour communiquer* »[1]

« *لا وجود، فعلا لأي قبيلة منعزلة لم تعوزها الحاجة في يوم من الأيام إلى التبادل مع قبيلة أخرى تختلف عنها في اللغة، ولم تلجأ إلى متحدث مزدوج اللغة لتتواصل*» ترجمة

فلا يمكن لأي ثقافة أن تبقى منعزلة عن غيرها، والمترجم المتمرّس هو من يضمن تلاقي هذه الثقافات، خاصة وأنّ المجتمعات البشرية على اختلاف خلفياتها الثقافية والحضارية، في سعي دائم إلى التواصل رغم العقبات البيئية والأيديولوجية والمادية والاجتماعية.

[1] DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris, 1999, p.12.

ثالثا : العائق الثقــافي في العمليـــة الترجمية :

مقــدمـــــة:

لقد أغنت الترجمة لغاتنا الحديثة وسمحت بالتقاء بني البشر منذ الأزل، رغم الفروقات الثقافية واللغوية التي تعترض المترجمين، وتشكل عقبة أساسية في إتمام مسار الفعل الترجمي. وتمثل الفروقات الثقافية على وجه الخصوص، إشكالا جوهريا، يطرح نفسه بقوة؛ إذ من اليسير تخطي العقبة اللغوية بالمراس والمكابدة، إلاّ أنّه من الصعب تخطي المعوقات الثقافية التي تختلف وتتعدد، وتتعدى بكثير في تعقيدها الصعوبات اللغوية.

ومن المعلوم أنّ النص المصدر مكتوب بلغة معينة؛ واللغة تنطوي على قيم وعادات وتاريخ متكلميها، فهي صورة حيّة عن ثقافتهم، وإدراك المترجم لجلّ تفاصيل معنى النص المصدر، يستدعي منه تحصيل دلالات ألفاظ وعبارات لغة هذا النص، ليقدم ترجمة يراعي فيها خصوصيات النص الأصلي الثقافية وقيم الجمهور المتلقي.

ممّا لا شك فيه، أن ترجمة العنصر الثقافي تكتنفها تعقيدات وصعوبات تؤثر على مسار العملية الترجمية بشكل كبير، حيث لا يجد المترجم طريقة لنقل بعض المفردات المجسدة لثقافة مجتمع معين؛ فلكل شعب ثقافة مغايرة، وكل كاتب يؤلف حسب ما يتفق مع حضارته، ممّا يستدعي من المترجم تحصيل عالم "الآخر" بكل ما تنطوي عليه ثقافته، من اختلاف إيديولوجي، اجتماعي، مادي وبيئي.

3ـ1 عائق الثقافة الإيديولوجية:

تعتبر النصوص الدينية من أكثر النصوص صعوبة بسبب الفروق والمفاهيم المتمايزة بين الديانات السماوية، ناهيك عن المعتقدات المختلفة التي تنتشر بين البشر؛ فمثلا إذا تحدث الكاتب العربي المسلم في رواية عن حفل زواج يجمع بين الفتاة وابن عمها، فإنّ القارئ الفرنسي المسيحي من المستحيل أن يتقبل ذهنه مثل هذا الزواج نظرا لحرمته في الديـــانة المسيحية، بيد أنه يحلل الزواج من الأخت في الرضاعة وهذا ما يحرمه الدين الإسلامي. لذلك كان من واجب المترجم حسن صياغة النص بطريقة

تستسيغها الثقافة المتلقية، حفاظا على مشاعر المتلقي واحتراما لديانته. ثم كيف لأيّ من اللغات الأوروبية ترجمة مفردات نابعة من صميم الديانة والثقافة الإسلامية مثل **فقه، جهاد، فريضة، صداق** و**زكاة**، فالأكيد أنه لا وجود لمرادفات لهذه الألفاظ تفي بالمعنى كاملا في لغة أو ثقافة أخرى.

أمّا عن المفاهيم السياسية فهي تختلف باختلاف البلاد والشعوب والنظم وتباين المفاهيم؛ فما تراه إيران حرية تعتبره الولايات المتحدة تعديا على الشرعية الدولية، والبرلمان في لبنان غير البرلمان في الجزائر. كما أن مفهوم الرئيس في إسرائيل ليس ذاته في فرنسا وملك العربية السعودية غير ملك اسبانيا. فمفاهيم الألفاظ تختلف باختلاف العقيدة والمذهب السياسي، وعلى المترجم حسن صياغة وتقدير الأمور.

3ـ2 عائق الثقافة الاجتماعية:

تعتبر هذه المعوقات من أهم ما يواجه المترجم أثناء تعامله مع مختلف النصوص، فلكل شعب ولكل إقليم، بل لكل عائلة أحيانا تقاليد وعادات تتناقلها الأجيال بكل احترام تخليدا لذكرى أسلافها. ويكوّن مجموع العادات والعقائد والمبادئ والأساطير وأساليب السلوك "الثقافة الاجتماعية" التي لا تفسر دائما، لأنها ببساطة جزء من حياة ذلك الشعب. وفي هذا الصدد يقول "**جون سيفري**" **(Jean Sévry):**

« *La culture est un corpus d'habitudes, façon de se vêtir, de se tenir à table, d'échanger des cadeaux…et des politesses sociales, des salutations* » [1]

« *الثقافة مجموعة من العادات؛ هي طريقة اللباس وكيفية الجلوس إلى الطاولة، وتبادل الهدايا...والمجاملات، والتحايا.*» ترجمة

ونظرا لاختلاف الخصوصيات الاجتماعية من بلد إلى آخر ومن ثقافة لأخرى، فإن الفورو أو أوفيرو الياباني وهو مغطس تقليدي ياباني جماعي يحوي ماء ساخنا يعتبر أمرا

(1) SEVERY, Jean.''Une fidélité impossible : traduire une oeuvre africaine Anglophone'', palimpsestes n° 11, Paris, presse de la Sorbonne nouvelle, 1998, p.135.

غريبا لدى الفرد الإنجليزي الذي لا توجد في ثقافته حمامات جماعية. وذات الأمر ينطبق على مفردة يوكاطا yukata اليابانية، وهو لباس يرتديه اليابانيون رجالا ونساء في الشارع أو داخل المنزل، أو عند النوم، الأمر الذي يتعارض مع عادات المجتمع الإنجليزي في اللباس، إذ لكل مناسبة ووقت في اليوم لباسه الخاص به، ولترجمة هذه المفردة يقول "**ج.س.كاتفورد**" **(J.C.Catford)**:

"*The solution adopted by most translators here would be to transfer the source language item yukata into the target language text, leaving its contextual meaning to emerge from the co-text or explaining it in a footnote.*"[(1)]

« *الحل الذي تبناه معظم المترجمين في هذه الحالة هو نقل المفردة "يوكاطا" من اللغة المصدر إلى نص اللغة الهدف مع ترك المعنى السياقي يبرز من السياق اللفظي أو شرحه في الهامش*» ترجمة

ثم كيف نترجم إلى اللغة الفرنسية لفظة brot الألمانية؟ مع العلم أنّ لفظة pain الفرنسية لن تفي بالغرض تماما، لأن الخبز الفرنسي غير الخبز الألماني. فالخصوصيات الثقافية الاجتماعية تتمايز وتختلف حتى في أبسط العادات اليومية من أكل وطريقة جلوس وتحية؛ فالكاتب الأوروبي لن يجد حرجا في التحدث عن الخمر وعادات الشرب أو القمار، بيد أنّ المترجم العربي سيجد إشكالا في نقل النص الأوروبي لأسباب اجتماعية ثقافية دينية، والأكيد أنه سيلجأ إلى الحذف أو مجرد التلميح غير الصريح احتراما منه للمتلقي والآداب العامة.

أما الحكم والأمثال الشعبية والتعابير الاصطلاحية، فتطرح ذات العراقيل والعقبات عند ترجمتها لاقترانها بالثقافة الشعبية، فالعربي إن قـــال: "اسود وجهه حسدا"، فالمترجم الإنجليزي لن يترجم هذه المقولة حرفيا، بل سيقول:"Green with envy" (أخضر من الحسد)، فمن الأفضل إذن تفادي الترجمة الحرفية لأنها لا تفضي لحل هذه المشاكل الثقافية الاجتماعية.

(1) J.C.CATFORD: A Linguistic Theory of Translation, An Essay in Applied Linguistics, Oxford University Press, 1980, p.100.

3ـ3 عائق الثقافة الماديـــة:

اهتم العرب قديما بالألفاظ حين اقترضوا من الإغريقية مفردة Alkhimia لتغدو الكيمياء والتي اقترضها الغرب بدوره من العرب لتصبح chimie. والأمثلة عن اقتراض الشعوب للمفردات أو نحتها أو اشتقاقها غزيرة. أمّا اليوم وأمام هذا الكم الهائل والتدفق الغزير للمصطلحات التي ترد العالم العربي في شتى مناحي المعرفة، فإن المترجم العربي يجد صعوبة في تعريب وضبط المصطلح المناسب خاصة وأننا لا نستهلك ثقافة أو معرفة، بل ثقافات ومعارف. وقد حاول أصحاب الاختصاص تعريب هذه المصطلحات الوافدة إلينا في شتى الميادين، متبعين في أغلب الأحيان طريقة الإخضاع للنظام الصوتي العربي؛ عن طريق المحاكاة الصوتية، مثلما نجد ذلك في مفردات: انترنيت، كمبيوتر، فيديو، بينيسلين [(1)] وما إلى ذلك من أدوية وآلات، لنحصل على أحرف عربية خالية من أي معنى يتصل باللغة العربية.

حتى أن الموجز الاصطلاحي خضع لطريقة الترجمة ذاتها بالرغم من أنه في الأساس تركيب للحروف الأولى لعبارات مثل: داء نقص المناعة المكتسب والذي ترجم إلى إيدز باللغة العربية نقلا عن الموجز الاصطلاحي AIDS الإنجليزي. أما الطريق الثاني فهو نحت المفردات، ليؤتى بحروف عربية ومعان غربية مثل: عولمة وخصخصة[(2)].

4ـ3 عقبة الثقافة البيئيـــة :

لا يخفى على أحد أن الترجمة فن يعتمد أساسا على التمكن من لغتين، ولأن اللغة تحمل آثار البيئة والثقافة، فالإنسان يؤثر عليها ويتأثر بها، فالكثرة الكثيرة من كلمات اللغة العربية تعكس الحياة الصحراوية؛ فللعربي عشرات الألفاظ للدلالة على التمور بأنواعها وكذلك مسميات الحصان أو الأسد أو السيف، شأنه شأن الشعوب الأخرى التي تستوحي مفرداتها وتستنبط معانيها من صميم بيئتها، فلشعب الإسكيمو مسميات كثيرة للثلج على عكس العربي وربما التمر عندهم من الثمار المجهولة، كما أن لغة الشعب القاطن على

---

(1) TOUHAMI, Wissem : ‘‘La Traduction entre la Néologie et l’Emprunt’’, Al-Mutargim, Revue de Traduction et d’Interprétariat, Laboratoire « Didactique de la Traduction et Multilinguisme », Numéro 01,Université Es Senia, Editions Dar el gharb, Oran, Janvier 2001, p52.

(2) Ibid., p.53.

ضفاف البحار غنية بمسميات الأسماك وثمار البحر المختلفة[1]، الشيء الذي تفتقده اللغة العربية نظرا لطبيعتها الجغرافية. فالبيئة تنعكس بوضوح على تعبير الفرد؛ فالعربي بحكم الصحراء والحرارة، يبحث دوما عن شيء من البرودة لينتعش، ولهذا سيعبر عن الأنباء السارّة بقوله: "أثلج الخبر صدري"،بيد أن الفرنسي بحكم جوه البارد فهو في بحث دائم عن الدفء والحرارة، مما يجعله يعبر عن ذات العبارة بـ: « Une nouvelle qui réchauffe le cœur »[2]، أما الإنجليزي فلن يختلف كثيرا مع نظيره الفرنسي الذي يشاطره جو أوروبا البارد، لذلك فلن يتردد في قول:-'Heat warming news '

وقد ذكر المنظر "**أوجين نيدا**" **(Eugene Nida)** مثل هذه العقبات التي اعترضت سبيله عند ترجمة الكتاب المقدس؛ فكثير من القبائل الإفريقية لا تعرف سوى اللون الأبيض أو الأسود وما سوى ذلك رمادي، فكيف سيترجم لهذه الشعوب اللون الأخضر، أو كيف سيحدث شعب الصحراء عن الثلج الذي لم يره البتة، أو يصف شجرة التين لقوم، لم يصادفوا هذا النوع من الأشجار والثمار؟

خـــاتمـــة:

لقد حققت اللغات والآداب الأجنبية قفزة هائلة في هذا القرن وعرفت انتشارا واسعا، بل وغدت ظاهرة ثقافية جماهيرية، إلاّ أنّ هذا كله لا يحل إشكالية الحواجز اللغوية والتواصل الثقافي على وجه الخصوص، الذي يبقى رهينة عقبات مادية وبيئية واجتماعية وإيديولوجية والتي لا يكاد نص أدبي يخلو منها لشدة ارتباط الأدب بالواقع المعاش والثقافة التي ينبع منها، فالأدب مسؤول عن الإرث الحضاري التاريخي للشعوب والأمم.

---

(1) GERMAIN,Claude : Sémantique Fonctionnelle, Presses universitaire de France, Paris, 1981, p.62-63.

(2) بن شريف محمد: الترجمة والثقافة، دفاتر الترجمة، لغات– ثقافات وترجمات، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الترجمة، 2001–2002، ص 7.

ومجمل القول، أن الترجمة كأي فن أو علم لها صعوبات، يتجاوزها المترجم بالتمرين والممارسة، خاصة وأن الصعوبات التي يطرحها العنصر الثقافي، قد تجتمع في نص واحد، لاسيما النصوص الأدبية الثرية ثقافيا.

الفصل الثاني

ثنائية الادب و الترجمة

مقدمـــــــة:

الأدب كائن حي يستمد حياته الخالدة من قوته الذاتية، ومن تلك الأجيال من المترجمين الذين رعوه ونفخوا فيه من أرواحهم، فعاشت بفضلهم كنوز أدبية امتدت حياتها الزمنية عبر الأجيال. فلقد عاش الأدب وازدهر بفضل الترجمة التي رعته وحافظت عليه حينا وانتشلته من براثن الضياع أحيانا أخر.

ويكاد معظم الباحثين في الحقل الترجمي يجمعون أنّ الترجمة الأدبية جاءت تالية للترجمة الدينية؛ فهي تجربة إنسانية قديمة قدم الإلياذة والأوديسة، قديمة قدم الملاحم والأساطير وألف ليلة وليلة. إن النص الأدبي ليس جمادا ولا غيابا، بل كائن حي له حضور، يؤثر على بني البشر، فيتناقله القارئ والمثقف والمترجم؛ هذا الأخير الذي يسعى إلى تقديم إبداع جمالي أصيل خاضع لأسس لغوية جمالية نظرا لاعتماد النص الأدبي على التصوير والعاطفة والانفعال والخيال وتعدد القراءات والمعاني، خاصة فيما يتعلق بالنص الشعري، ناهيك عن الكناية والرمز، لذلك نجد أحيانا كثيرة ترجمات مختلفة لنص أدبي واحد، فكل قراءة جديدة تولد معان أخرى في ذهن المترجم وبالتالي إبداع آخر للنص.

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن إشكالية الترجمة الأدبية تكمن في نقل الإيحاءات والمعاني الضمنية من النص المصدر إلى النص الهدف، وجعل متلقي العمل المترجم يحس بمتعة قارئ العمل الأدبي الأصلي، سواء تعلق الأمر بالنثر أو بالشعر؛ حيث يغوص المترجم في أعماق الكاتب ليسبر أغواره ويعرف ما يرمي إليه، ويتحسس المعنى الذي يقصده، حتى ينقل للقارئ صورة مكافئة موضوعيا لما عبّر عنه الكاتب في نصه. وليس في مقدور المترجم نقل أفكار النص المصدر، بكل ما ينطوي عليه هذا النص من صعوبات إلاّ من خلال إمعان الفكر في مجموع الدلالات والإيحاءات الكامنة بين مفردات النص، والسياق الثقافي الاجتماعي الذي ورد فيه. وفي هذا المضمون، يقول **محمـــد عنانـــي**: *«الترجمة الأدبية تتجاوز الفنون إلى مجال الفكر والثقافة، أي أن المترجم الأدبي لا ينحصر همه في نقل دلالة الألفاظ أو ما أسميه بالإحالة (reference) أي إحالة القارئ إلى نفس الشيء الذي يقصده المؤلف أو صاحب النص الأصلي، بل هو يتجاوز ذلك إلى المغزى (significance) وإلى التأثير (effect) الذي يفترض أن المؤلف يعتزم*

إحداثه في نفس القارئ، ولذلك فهو لا يتسلح فقط بالمعرفة اللغوية، بل هو يتسلح أيضا بمعرفة أدبية ونقدية، لا غنى فيها عن الإحاطة بالثقافة والفكر»[1].

كما أن الحديث عن ترجمة العنصر الثقافي، يصاحبه دوما قول باستحالة الترجمة وتعذرها؛ خاصة فيما يتعلق بالنص الأدبي متشعب العناصر؛ فالترجمة الأدبية هي ترجمة الأدب بفروعه المختلفة أو ما يطلق عليه بالأنواع الأدبية literary genres مثل الشعر والمسرح وما إليها.[2]

أولا:الترجـــمـــة والتواصل الثقافي الأدبي

ليست الترجمة الأدبية مجرد رصف لكلمات رنانة وتعابير جميلة منمقة، لأن الأدب عالم من الدلالات والإيحاءات بألوانه المختلفة من قصة ومسرح وشعر. ويتعين على المترجم الأدبي أن لا يتمتع فقط بمعرفة الدلالات المعجمية، بل يتعداها إلى إتقان جلّ المظاهر البلاغية والعرف اللغوي والحضارة المغايرة التي يترجم إليها؛ فهو يدرك المعاني الدلالية الإيحائية المحمولة في النص، ويفهم ظلال المعاني ويجيد نقلها بجل قيمها إلى القارئ المتلقي في الناحية الأخرى.

فنجاح الترجمة يرتبط بفهم المترجم للخطاب ومعرفة مجمل العناصر المؤثرة في إيحاء النص؛ ليماثل شعور من يقرأ النص الوصل إحساس القارئ الأصل. ويقول الدكتور **محمد عوض محمد** عن المترجم الأدبي: « *أول شرط يخطر إلى أذهاننا، أن المترجم الذي سيكون إنتـــاجه أثرا أدبيـــا يحـــاكي الأثر المترجم، يجب أن يكون هو نفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي، ولا يكفي أن يكون ملما أحسن إلمام باللغتين، فالأدب روح واستعداد وسليقة، وهذه الأشياء تستند إلى طبع النفس ولا تكتسب بالدراسة*». [3]

---

[1] محمد عناني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1997، ص6 .

[2] المرجع نفسه، ص7.

[3] حسن محمد عبد الغني: فن الترجمة في الأدب العربي، طبعة منقحة مزيد عليها خمسة فصول، دار المطابع والمستقبل، الإسكندرية/ القاهرة، 1986، ص9.

نستشف مما سبق أن الترجمة الأدبية ليست نقلا لغويا بحتا ولا إبداعا خالصا يتصرف فيه المترجم كيفما شاء، إنما هي نقل مبدع يقود النص إلى برّ الأمان مع الحفاظ على جمالياته. ومن المعلوم أن المترجم الأدبي يكابد الكثير من المشقة في سبيل ترجمة نصه، إذ يسبر أغوار النص ويغوص عميقا بحثا عن المعاني الظاهرة والضمنية بجل ما تنطوي عليه من أحاسيس ومشاعر وجدانية ليبدع بدوره فيضاهي النص المترجم النص الأصلي، لأنّ الترجمة الأدبية همزة وصل تجمع المترجم بالأديب، وعلى حد قول الدكتور **محمد عناني:** « *كل عمل مترجم هو في الحقيقة محصلة لتلاقي إبداع المؤلف، ومفهوم المترجم له على ضوء خبرته باللغة التي يترجم إليها، وفي إطار ثقافته الخاصة، وأعراف أدب هذه اللغة*».[1]

فالمترجم الأدبي يتقمص شخصية المؤلف، يتقمص خياله وروحه ليعيش المتلقي تجربة تذوّق الرائعة الأدبية كما لو أنها كتبت له في الأصل ولا يتسنى له ذلك إلاّ بـ: « *الاندماج فيمن يترجم عنه فيشعر بقلبه وينظر بعينيه وينطق بلسانه*»[2]، وكثيرة هي تلك الروائع من الأدب العالمي التي أعيد تشكيلها على يد مترجمين فأبدعوا فيها أيّما إبداع، لتغدو أعمالا مهمة في لغة أخرى، فالشاعر الإنجليزي إدوارد فيتزجيرالد قد ترجم رباعيات الخيام إلى اللغة الإنجليزية، وكانت محل إشادة العديد من النقاد. كما ترجم شليجل عددا لا بأس به من مسرحيات شكسبير بكل إبداع إلى اللغة الألمانية، فالمترجم أديب مبدع بكل المقاييس الجمالية، مدرك للفروقات الثقافية، واع بأسرار اللغة التي ينقل منها وإليها، غير غافل عن ظلال المعاني، مراع لروح النص الأصلي، يمسك قلما بجمال وإبداع من صقل النص الأصل وبث فيه روح الحياة. إلاّ أنه أيضا كثيرا ما يذهب بذهنه بعيدا، يستحضر المعاني والأفكار التي لم تزل في بطن الشاعر –كما يقولون– والتي لن تتأتى له إلاّ بالتعرف على قاموس الكاتب ونفسيته وظروفه، وكما سبقت الإشارة إليه فإن اللغة الأدبية عسيرة وإدراكها لا يقل أهمية عن الإلمام بالخصوصيات الثقافية، وعن اللغة الأدبية يقول اللساني "**إدوارد سابير**" **(Edward Sapir):** « *كل لغة في ذاتها فن جمعي في التعبير وتنطوي*

---

[1] محمد عناني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق ، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1997، ص4.

[2] حسن محمد عبد الغني: فن الترجمة في الأدب العربي، ص21.

على عدد معين من العوامل الجمالية، الصوتية والإيقاعية والرمزية والصرفية، التي لا تشاركها بها تماما أية لغة أخرى.» (1)

وهكذا يسعى مترجم الأدب بعد تطويع اللغة إلى نقل رسالة المؤلف بكل أمانة، مستهدفا بذلك متلق أجنبي؛ حبذا لو يقرأ النص المترجم كما لو أنّ أنامل الكاتب الأصلي نسجته بلغة الوصل،وفي هذا الإطار يقول "**أنطوان برمان**" **(Antoine Berman):**

« *Il faut traduire l'œuvre étrangère de façon que l'on ne ' sente' pas la traduction, on doit la traduire de façon à donner l'impression que c'est ce que l'auteur aurait écrit s'il l'avait écrit dans sa langue traduisante* » (2)

« يجب ترجمة العمل الأدبي الأجنبي، على نحو يجعلنا "لانحس" من خلاله بأثر الترجمة؛ ينبغي ترجمته بطريقة تعطي الانطباع أن هذا ما كان المؤلف سيكتبه لو ألف باللغة المترجم إليها » ترجمة

فالمترجم يبدع في لغة الوصل، ويحترم خصوصية النص المصدر الثقافية وإيحاءات ألفاظه في إطار سياقها الثقافي الاجتماعي، فهو يسعى إلى ترك ذات الانطباع الذي يولده النص المصدر من حزن أو فرح أو فكاهة، ليعيشها المتلقي بكل تفاصيلها مع مراعاة البعد الثقافي لكل عبارة أو لفظة أو جملة في هذه البيئة الجديدة التي يُنقل إليها؛ ومحاولة ترك ذات التأثير والانطباع الذي تركه النص الأصلي في مستقبليه، كما يجدر بالمترجم الحفاظ على كل ما جاء في النص من عبارات وجمل، والحرص على احترام نواحي النص الشكلية والدلالية والفنية، وإنتاج نص يوازي الأصل في أسلوبه وطريقة تأليفه، وهذا تفاديا لوصف الخيانة الذي لازم المترجم طويلا استنادا إلى المثل الإيطالي القائل: Traduttore-Traditore؛ فكثيرا ما استبعدت إمكانية تحقيق الأمانة في الحقل الترجمي، حيث يؤكد "**جورج مونان**" **(George Mounin)** أن المترجم «*مهما طال*

---

(1) راجع حفناوي بعلي: الترجمة الأدبية والمقارنة، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد السابع، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، يناير– جوان 2003، ص 111.

(2) BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.35.

باعه ورسخت قدمه في اللغتين المنقول منهما وإليهما، فإنه لا محالة آيل إلى ابتعاد لغته عن لسانه الأصلي.»[1]

ولا يبتعد **الجاحظ** كثيرا عن **مونان**، إذ يؤكد أن:« *اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها.*»[2]

ومما لا جدال فيه، أن المترجم أمين خائن، يحاول مطابقة النص المترجم بالنص المصدر، رغم الصعوبات التي تعترضه، لا سيما في المجال الأدبي؛ أين تمتزج أحاسيس المؤلف بالخيال والإبداع، في إطار سياق ثقافي اجتماعي معين، يختلف باختلاف الرصيد الثقافي للأمم والشعوب.

خـــــاتمـــة:

يمكن القول باختصار أن النصوص الأدبية تتبوأ مكانة مرموقة في ثقافات الشعوب، لذلك كان من واجب المترجم أن يكون نصه في مثل جمال النص الأصلي، مع مراعاة الأمانة في نقل الخصوصيات الثقافية المتضمنة في هذا النص، بما لا يتعارض مع قيم وثقافة الشعب المترجم إليه. ولا يخفى على أحد، أن لكل لغة نظرتها الخاصة لكثير من المحسوسات والتصورات الذهنية التي تختلف باختلاف اللغات، ناهيك عن تفرّد كل لغة بنظام معجمي ونحوي وصوتي خاص، فإلى أي مدى تقترب الترجمات وتتمايز، وإلى أي مدى يستعصي النص الأدبي عن الترجمة؟

---

[1] مونان جورج: مفاتيح الألسنية، تعريب الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981، ص 9.

[2] كيليطو عبد الفتاح: لن تتكلم لغتي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002، ص29.

ثانيا : مابين استحالة الترجمة الأدبية وإمكانها

مقـــدمـــــة:

كثيرا ما يصاحب الترجمة قول بعدم إمكانية تحقيق الفعل الترجمي، بل واستحالته أحيانا؛ خاصة فيما يتعلق بالنصوص الأدبية نظرا لخصوصية النص الأدبي وتعدد ألوانه المليئة بزخرف من الصور الجمالية والرموز والمجازات والتشابيه، كما أن الكلمات والألفاظ الواردة في أي نص تكتسب معناها من مجموعة معطيات تشمل تفكير المؤلف أو الشاعر بكل ما يحمله من مخزون ثقافي وفكري خاص به. ويذهب معظم اللغويين إلى أننا أسيروا لغاتنا، غير قادرين على التفكير بأنماط غير مألوفة للغتنا الأم مما يؤدي إلى استعصاء بل استحالة نقل أي نص من لغة إلى لغة أخرى.

لا جدال في أن اللغات تختلف من حيث البنية الشكلية والأسلوبية، لكن هذا لا يمنع حقيقة أن ما يقال في لغة ما، بإمكاننا إعادة صياغته في لغة أخرى، على حد تعبير كل من "**يوجين نيدا**" (**Eugène Nida**) و"**شارل تابر**" (**Charles Taber**):

" *Anything that can be said in one language can be said in another*"[1]

« *كل ما يقال في لغة معينة، يمكن قوله في لغة أخرى.*» ترجمة

إن التواصل عبر اللغات ممكن رغم تباينها النحوي والتركيبي، وعدم خوض غمار التجربة الترجمية يؤدي إلى التفكير في استحالتها؛ وفي هذا الإطار يقول "**جورج مونان**" **(Georges Mounin)**:

« *Une langue nous oblige à regarder le monde d'une certaine manière…Au lieu de dire, comme les anciens praticiens de la traduction, que la traduction est toujours possible ou toujours impossible, toujours complète ou toujours incomplète, la linguistique contemporaine aboutit à définir la traduction comme une opération relative dans son succès, variables dans les niveaux de la communication qu'elle atteint.*»[2]

---

[1] NIDA, Eugène et TABER, Charles: The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, helps for translators, vol II, 1969, p12

[2] MOUNIN, Georges : Les Problèmes Théoriques de la Traduction, Gallimard, paris, coll. Bibliothèque des idées, 1963, préface.

« *تجبرنا اللغة على النظر إلى العالم بطريقة معينة... وبدل أن نقول؛ بأن الترجمة دوما ممكنة أو مستحيلة، دوما كاملة أو ناقصة، مثلما ذهب إليه ممارسو الترجمة القدماء، من الأحسن التمعن في تعريف اللسانيات المعاصرة للترجمة بأنها عملية نسبية في نجاحها، متغيرة في مستويات التواصل الذي تبلغه* » ترجمة

لكن هذا لا يعني بالضرورة أن كل المفردات في كل اللغات، لها مكافئاتها الطبيعية في اللغات والثقافات الأخرى، خاصة وأن قيم الأشياء والنظرة للعالم الخارجي، ليست دوما واحدة.

2ـ1 ترجمـــة الشعـــر:

تثير ترجمة الشعر العديد من القضايا، أهمها قضية الاستحالة والإمكان، فالعديد من المنظرين واللسانيين يؤكدون أن الشعر غير قابل للنقل ولا يمكن أن يُقرأ أو يُنشد إلا في لغته الأصلية، نظرا لخصوصية التعبير الشعري المتسم بالوزن والقافية والنظم على نحو معين، ويعرّف "**جون رنيه لادميرال**" **(J.R. Ladmiral)** الشعر فيقول :

« *La poésie est la littérature portée à son point d'incandescence* » [1]

« *الشعر هو الأدب في أوجه*»ترجمة

وهذا إقرار بأن الشعر عصارة الأدب لأنه يحمل شحنة وقيما جمالية، تتطلب من مترجمها معايشة الأثر والغوص في أعماق الشاعر. ويؤكد **الجاحظ** استحالة نقل الشعر العربي إلى لغات أخرى فيقول: «*...ولو حُوّلت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن* ».[2]

فـــالشعر عند **الجـــاحظ** لا يقبل الترجمة، لأنها تفقده حسّه وتبطل وزنـــه وتسقط موضوع التعجب فيه فيذهب سحره ويتبدد؛ فهو بناء من وزن ونظم وسلاسل مقفاة على نحو معين، ونقله إلى لغة أخرى يفقده قيمته فيغدو ممسوخا مشوها. وإذا كان الشعر العربي غير قابل للنقل ولا يمكن أن يقرأ أو ينشد إلا في لغته الأصلية، فإن فضله مقصور على العرب، أمّا غير العرب فلن يتذوقوه ولن ينتفعوا به. ورغم اختلاف العصر والبيئة

(1) SAMARA,Rania :la poésie d'une traduction à l'autre, Traduire la langue Traduire la culture sous la direction de Salah Mejri, collections Lettres du Sud, Sud Editions, Tunis 2003, p305

(2) كيليطو عبد الفتاح: لن تتكلم لغتي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002، ص 43.

إلاّ أنّ اللغوي "**رومان جاكبسون**" **(Roman Jakobson)** لم يبتعد كثيرا عن الجاحظ، حيث يؤكد استحالة ترجمة الشعر بقوله:

« *La poésie, par définition, est intraduisible, seul est possible la transposition créatrice* » (1)

« الشعر، بحكم تعريفه، مستحيل الترجمة. النقل الخلاق وحده ممكن ».ترجمة

إنّ تعذر ترجمة الشعر مترتب عن خاصية فيه، هي الوزن الذي يتلاشى ويبطل عندما يتم التحويل، فإذا كانت ترجمة الشعر عملية عبثية ميئوسا منها، فليس ذلك راجعا إلى المترجمين، وإنما إلى طبيعة الشعر نفسه الذي لا يحتمل التحويل أو الترجمة، مثلما يؤكد ذلك "**روبرت فروست**" **(Robert Frost)** بقوله: « *الشعر هو العنصر الذي لا يمكن ترجمته.* » (2)

وعلى خلاف "**جاكبسون**" و"**فروست**"، يرى "**فيتغنشتاين**" أنّ: « *ترجمة لغة إلى أخرى هي مهمة ذات طابع رياضي، كما أن ترجمة قصيدة غنائية لتشبه تمام الشبه إنجاز مسألة رياضية* » (3)

إنّ القصيدة الشعرية مزيج ساحر يجمع الشكل بالأسلوب والإيقاع بالفكرة، مما يجعل الترجمة عسيرة لكن ليس بالمستحيلة؛ فهي ممكنة مادام الغرب يقرأ للمتنبي والخيام بالفرنسية ونقرأ نحن لهوميروس وشكسبير باللغة العربية، وهذا في حد ذاته اعتراف ضمني بإمكانية الترجمة الشعرية.

2ــ2 ترجمـــة المسرحيـــة:

تعتبر ترجمة المسرحية أكثر حساسية من ترجمة الرواية، إذ لا تكتفي بإعادة نقل المفردات والعبارات من لغة إلى أخرى بل تتعداها إلى ازدواجية النص والعرض؛ ازدواجية تجمع بين نص المؤلف وترجمته، ونص المخرج والتجسيد المادي الحركي الذي

---

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris, 1999, p.106.

(2) نيومارك بيتر : اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة. ترجمة د. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ص 34 .

(3) راجع برهون رشيد: حوار الضفاف الشعرية من ترجمة القصيدة إلى الترجمة القصيدة، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الثالث، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، أكتوبر 2001، ص 16.

يمتزج فيه الديكور بالملابس والإنارة والحوار على خشبة المسرح، مع إدراك واع لعادات القوم الذين يترجم عنهم ولهم، ناهيك عن الجمهور المتلقي الذي يعتبر عنصرا أساسيا في هذه المعادلة الفنية.

إن النص المسرحي يفتح المجال لتأويلات متعددة، تقوم بوجه خاص على تفاعل المتلقي مع ما يجري على ركح المسرح، في تواصل بين الإشارات اللغوية والكفاءة الدرامية، ويتحدث أحد مترجمي المسرح عن تجربته الترجمية في هذا الميدان فيقول: « *كنت أكتب الحوار ثم أقرأه بصوت عال حتى أستطيع التوصل إلى إيقاع يساعد الممثل على النطق بكلمات دوره بشكل يشابه النص الأصل*» [1]، فالنص المسرحي ذو إيقاع ومنطق خاص، وعلى المترجم أن يدرك أنه لا ينقل المعنى فقط، وفي هذا الصدد يقول **محمد عناني**:« أدب المسرح أكثر ألوان الأدب نبضا بالحياة لأنه ينبغي أن يقدّم على المسرح، فيشهده الجمهور المعاصر، ويفهمه، ويستجيب له. وهنا نجد أنّ مترجم المسرح لا يحاول فحسب تقديم المعنى، ولكنه *يحاول أيضا أن يُلبس المعنى ثوبا عصريا، أي أن ينشأ من الألفاظ قناة تواصل تنفذ إلى قلب الجمهور وعقله*»[2]. وهذا لا يتأتى إلا بالاعتماد على لغة قريبة من واقع المتلقي، فالبعض يعتمد على اللغة العامية بينما يعتمد البعض الآخر على اللغة الفصحى، في حين لا يجد كثير من المترجمين حرجا في المزاوجة بين العامية والفصحى؛ كما هو حال **خليل مطران** في ترجمته لمسرحية "*عطيل*" *لشكسبير*.

وتجدر الإشـــارة إلى أهمية إلمام المترجم بعصر الكاتب الأصلي والظروف التي كتبت فيها المسرحية وسياق كل كلمة ودلالتها في الجملة، فاللغة تمثل تجربة بشرية والنص المسرحي في ذاته تجربة جمالية تتطلب الغوص العميق في بنى الخطاب الدرامي واللغة بكل مستوياتها، مع الحرص على احترام البيئة والثقافة المنقول إليها، والحفاظ على خصوصية الآخر حينما لا يكون مهيأ لاستقبال ترجمة معينة مثلما حدث مع ترجمة **أندريه**

---

[1] فرڤاني جازية: الترجمة والتواصل في المسرح ، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد السابع، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،يناير– جوان 2003، ص 121.

[2] عناني محمد: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1997، ص 57.

جيد لمسرحية " *أوديب*"؛ التي لم يكن المجتمع العربي المحافظ آنذاك مستعدا لتقبلها على ركح مسرحه.

2ـ3 <u>ترجمــة الأقوال المأثورة</u>:

لا شك في أن لكل مجتمع حكمه الشعبية وأقواله المأثورة والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بثقافته؛ فهي تجسد عاداته وتقاليده وأفكاره، ومن الصعب ترجمتها بأمانة تامة لا يشوبها نقص، لأن مقادير الأمور تختلف باختلاف الحضارات والشعوب والنظرة للحقائق ليست واحدة عند الجميع، والمعروف أن ترجمة الأقوال المأثورة والحكم الشعبية ليست نقلا لغويا بقدر ما هي نقل ثقافي يتمثل في البحث عن معادلات (équivalences) ثقافية وليس لغوية، لأن المترجم بصدد نقل معان ذات بعد ثقافي اجتماعي حضاري وقد تحوي الألفاظ في طياتها معان مبطنة، لذلك استوجبت البحث عن مكافئها في الثقافة الأخرى؛ فعلى سبيل المثال إذا نقل المترجم الفرنسي أو الإنجليزي القول المأثور العربي:« *وافق شنّ طبقة*» أو «*الطيور على أشكالها تقع*» نقلا حرفيا إلى اللغة الفرنسية أو الإنجليزية، فسيخسر المثل معناه ولن يفهم المتلقي منه شيئا، بيد أن تعويضه بمكافئه الإنجليزي «*Birds of a feather flock together*» والمكافئ في اللغة الفرنسية « *qui s'assemble se ressemble* » فستؤدي الترجمة وظيفتها التبليغية. وهذا يرجع في الواقع إلى الخلفيات الثقافية التي تميز كل حضارة عن الأخرى، ويعرّف "**جون سيفري**" **(Jean Sévry)**القول المأثور:

« *Le proverbe représente un condensé, un concentré d'une culture donnée. Avec lui nous nous retrouvons au cœur de l'ensemble langue/culture du groupe, de son savoir, de ses règles d'éthique…c'est le résultat d'une sagesse acquise au cours de générations successives qui nous l'ont transmise…sa traduction ne présente pas toujours des difficultés, dans la mesure où l'ont peut trouver des équivalents* » [1]

[1] SEVRY, Jean. Une fidélité impossible : traduire une œuvre africaine anglophone, Palimpsestes n°11, Presses de la Sorbonne nouvelles, 1998, p141

« يمثل القول المأثور تكثيفا وتركيزا لثقافة معينة؛ نجد أنفسنا بفعله في صميم ثنائية اللغة– الثقافة لجماعة معينة، بمعارفها وقواعدها الأخلاقية...إنه خلاصة حكمة مكتسبة على مرّ الأجيال المتعاقبة التي نقلته لنا...وترجمته لا تمثل دوما صعوبات، طالما بإمكاننا إيجاد مكافئات.» ترجمة

فالقول المأثور عصارة ثقافية تنفرد بها أمة من الأمم.

خـــــاتمـــة:

ومجمل القول، أن البعض قد ينجح في طرد الترجمة واثبات استحالتها بأدلة ثقافية ولغوية، إلاّ أنها سرعان ما تستعيد قوتها بفضل أولئك الذين تعودوا الغوص في أعماق النصوص على اختلافها، ليعودوا محمّلين بدرر ولآلئ، اعتاد بنو البشر النهل منها منذ آلاف السنين؛ بدليل تاريخ الحفريات وما حفظته ألواح تل العمارنة وألواح ملحمة جلجماش، ناهيك عن حجر رشيد والرقم الطينية البابلية والأكادية إلى جانب ألواح الفيدا الهندية، وما قيدته كتب الإغريق و بلاد الفرس وترجمته حكمة العرب، لتستغله أحسن استغلال نهضة الغرب. إذن يفند واقع الممارسة الترجمية والتطبيق، ما يذهب إليه بعض النظريين من قول باستحالة الفعل الترجمي، أما عن تلك العناصر اللغوية التي تحمل في طياتها خصوصيات ثقافية، فإنّ المترجم المتمرس كفيل بتجاوزها وإيجاد الحلول المناسبة لها، من خلال المناهج المختلفة المتبعة في ترجمة مثل هذه الخصوصيات.

ثالثا : منهجيـــة ترجمـــة الألسن والثقافات

مقـــدمـــــة:

تعد الترجمة من أخصب المعارف الإنسانية وأكثرها فاعلية؛ فهي ملتقى العلوم والآداب، وناقل الثقافات والفنون ورابط وثيق يجمع الماضي بالحاضر، وقد احتدم النقاش قديما وحديثا عن أنجع السبل التي توصل الترجمة إلى برّ الأمان والتي يسعى المترجم من خلالها إلى تأمين الوضوح ونقل النص بجل قيمه الأدبية والدلالية والثقافية إلى الضفة الأخرى، فاختلفت الآراء وتضاربت بين المنظرين في هذا المجال والممارسين، لتقطع

دراسات الترجمة أشواطا منذ سبعينات القرن الماضي في محاولة لتحديد المعالم وإبراز المشاكل واستجلاء غموض النصوص على اختلافها.

وفي الواقع، ومن خلال دراستنا نلاحظ أن أكثر الإشكاليات التي تعترض سبيل المترجم هي إشكالية ترجمة الخصوصيات الثقافية التي تختلف وتتمايز من شعب إلى آخر والمتواجدة بكثرة في النصوص الأدبية، لدرجة أنّ "**سنيل هورنبي**" أجزمت القول أنّ *الترجمة تقع بين ثقافتين لا لغتين*[1]، حيث يجد المترجم نفسه أمام نصين؛ نص مصدر ذو ثقافة معينة تفرض نفسها وتقتضي على المترجم ضرورة انتهاج الأمانة في نقلها، ونص مستهدف ينادي فيه المتلقي بضرورة احترام ثقافته. ليجد المترجم نفسه أمام خيارات صعبة وعسيرة، لا يدري أيّ الثقافات أجدر بالنقل؟ وهل الأمانة تكون للثقافة المصدرية أم الثقافة المستهدفة؟

فكيف يتناول الدرس الترجمي هذه الإشكاليات؟ خاصة وأن الترجمة شكلت ولا تزال تشكل جزءا هاما من التفاعل الثقافي بين الشعوب، ولا مناص عنها؛ إذ بدونها تضيع فرص عديدة لنقل المعلومات، ناهيك عن القيم الثقافية والجمالية للحضارات الأخرى التي ستكون بمنأى عن معرفتنا. ويرى "**فينوتي**" **(Venuti)** أن: « *قوة الترجمة تكمن في مقدرتها على إعادة تشكيل النصوص الأجنبية وابتذالها، وتسخيفها، وإقصاء الثقافات الأجنبية...*»[2]، ليقترح مفهوم "الترجمة المقاومة"؛ أي مقاومة ثقافة الآخـــر وإنكارها، تفاديا لتدمير الثقافة الأصلية. لكن من مفارقات الترجمة أنّ الثقـــافة المستهدفة قد تنفتح على أفكار جديدة وتصاب بالغنى الثقافي بدل فقره؛ يؤكد ذلك "**ألبرت نيوبرت**" بقوله:« *فعلى الرغم من عدم إمكانية إنكار مقدرة الترجمة على إلحاق الأذى، إلا أنه لا يمكن إنكار مقدرتها على فتح الثقافة الهدف لأفكار جديدة أيضا. فالتطور والتبدل اللذان يصيبان الثقافة هما نتيجة حوافز وعوامل خارجية... لقد لعبت الترجمة دورا هاما في التغيير... إن*

---

[1] الديداوي محمد : الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ لبنان، 2000، ص 81.

[2] نيوبرت ألبرت و غريغوري شريف: الترجمة وعلوم النص، ترجمة محيي الدين حميدي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 2002، ص2- 3.

محتوى لغاتنا المعجمي والتركيبي والأسلوبي قد أثرته الترجمة، ولولا الترجمة ما كان لأي لغة حديثة أن تكون بالشكل الذي هي عليه الآن.»(1)

إنّ ممارس الترجمة، يدرك أن الدراسات الترجمية تنطوي على وجهات نظر مختلفة، وبأنه لا توجد طريقة موحدة لدراسة الفعل الترجمي، لا سيما الترجمة الأدبية التي تطرح بقوة إشكالية ترجمة العنصر الثقافي وما ينطوي تحته من تشبث بالثقافة المصدرية من خلال الحرفية المطلقة أو مقاومة هذه الثقافة من خلال إنكار "الآخر". فكيف يتناول الدرس الترجمي، نقل العنصر الثقافي في ظلّ الانقياد المطلق للنص الأصلي وحرية التصرف فيه، والمزاوجة بين الثقافتين المصدرية والإستهدافية وإنكار ومقاومة إحداهما للأخرى؟

3ـ1 <u>مابين الانقيـــاد المطلق وحريـــة التصرف</u>:

يهدف المترجم في غالب الأحيان إلى إنتاج نص يضاهي النص الأصلي من حيث الشكل والمعنى، فيستبدل الكلمات بما يوازيها ويطابقها في اللغة الهدف؛ والتطابق في الترجمة كما يصفه **محمد الديداوي** هو: « *الإتيان بقوالب تؤدي المعنى إلى أقصى مداه بحيث يكون مجموع قوالب المعنى في اللغة المترجم إليها مطابقا إلى أقصى درجة تلامس التمام لمجموع قوالب المعنى في اللغة المترجم منها بإتباع قواعد النحو والإعراب*»(2).

فالمطابقة في الترجمة ممكنة حسب بعض من يقرّون بأهميتها، على عكس فريق آخر ينادي بتعذرها، إن لم نقل استحالتها. ولم يلق مفهوم التطابق القبول لدى أصحاب مدرسة التصرف للاختلاف الموجود بين اللغات والذي يغير مقادير الأمور وقيمتها، ناهيك عن أنّ الثقافة التي يأتي منها النص المصدر هي ثقافة مميزة؛ تصور بيئة ومجتمعا يختلف حتما عن البيئة والمجتمع المستقبل لهذه الترجمة، لذلك فهم يقرّون صعوبة المطابقة مابين النص المصدر والنص الهدف.

---

(1) نيوبرت ألبرت و غريغوري شريف، المرجع المذكور، ص 4.

(2) الديداوي محمد: الترجمة والتعريب – بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية– ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، 2002، ص 280.

قد تتشابه اللغات وتنحدر من نفس الأصل إلاّ أنّ ذلك لا يعني البتة أن قيمة الأشياء واحدة بالنسبة لكل الشعوب؛ فلكل شعب كلماته ومفرداته التي تحمل قيما ودلالات معينة خاصة بذلك الشعب دون غيره ومحاولة المترجم تحقيق التطابق بين النصين يعتبر أمرا صعب التحقيق، ففرضية "**فورف**" التي اتبعه فيها "**سابير**" ترى أنّ تصور الناس للعالم يختلف باختلاف ألسنتهم[1] وتدعم هذه الفرضية نظرية "**همبولت**" التي تقول *إنّ كل نظام لغوي له طريقته في تحليل العالم الخارجي المحيط*[2]، فعلى المترجم إذن تأدية ترجمته مع مراعاة قيم الشعوب الثقافية والتاريخية والاجتماعية، لأن نظرتنا للعالم تختلف والخلفيات الثقافية والاجتماعية والتاريخية تتمايز بين الشعوب. ومن العسير إيجاد مكافئات بعض المفردات أو مطابقتها مع مفردات أخرى في لغة مغايرة، والدليل أن مفردات عربية مثل زكاة، جهاد... لا نجد لها مطابقا يفي ما تحمله في طياتها من دلالات وقيم في اللغات الأخرى. وفي هذا الصدد تؤكد "**ماريان ليديرار**"(**Marianne Lederer**) :

« *Chaque langue découpe le monde à sa manière* »[3]

« *تقطّع كل لغة العالم على طريقتها*» ترجمة

تختلف اللغات وتتمايز الثقافات، وما يوجد في ثقافة ما قد لا يتوفر في ثقافة أخرى، فقد اقتـرح "**يوجين نيدا**" مصطلح التـكـافؤ الدينـاميكي الذي يسـاعد المترجـم علـى تخـطي بعض الصعوبات وتفادي تشويه القيم الدلالية للمفردات والعبارات. ويؤكد "**بول بن سيمون**" (**Paul Bensimon**) بالأدلة صعوبة تحقيق المطابقة بين النص الأصلي والنص المترجم دون تعريض هذا الأخير للتشويه فيقول:

« *La vision du monde, la conception du temps, les systèmes de représentations dans lesquels ces œuvres plongent leurs racines, ne peuvent être restitués dans une autre langue sans déformation* »[4]

---

[1] الديداوي محمد: الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، 2000، ص81.

[2] المرجع نفسه، ص96.

[3] LEDERER, Marianne. La traduction aujourd'hui, le model interprétatif, Paris, Hachette-livres, 1994, P.122.

[4] DEPRE OSEKI, Inès : Questions de Traductologie, Université de Provence, Paris, 2001-2002, p3.

« إنّ النظرة إلى العالم، ومفهوم الزمن، ونظم التمثيلات التي تغوص فيها جذور الآثار الأدبية، لا يمكن إعادة صياغتها في لغة أخرى دون تحريف» ترجمة فالسعي وراء تحقيق المطابقة بين النص المترجم منه وإليه يعتبر أمرا مثاليا، وفي هذا الصدد يقول "**دبوغراند**" (**De Beaugrande**): « *إنّ هدف إنتاج ترجمة وافية صفة مثالية من حيث أنّها تسعى دوما إلى " المطابقة" بينما نادرا ما يفضي هذا المسعى إلى التيقن التام من بلوغها أو الاتفاق على التوصل إليها*»[1]

إنّ المطابقة بين النصين تستعصي في كثير من الحالات؛ فلكل لغة إرث ثقافي تاريخي يميزها عن غيرها من المجتمعات، ولما كانت اللغة هي وعاء الحضارة، فإنّ اختلاف اللغات يفضي إلى اختلاف قيم ودلالات كل مجتمع عن الآخر. وقد حاول "**شتاينر**" أن يلخص اتجاهات الغرب بقوله: « *تقسم نظرية الترجمة الموضوع في الغالب الأعم، منذ القرن السابع عشر، إلى ثلاث فئات. تشمل الفئة الأولى الحرفية الشديدة وفيها تتم مقابلة الكلمات المعجمية بمثيلاتها ويتم رصها. أمّا الفئة الثانية فهي المحور الأساسي للنقل الأمين وفيها تعاد الصياغة دون التقيد بالأصل، ذلك أنّ المترجم ينقل الأصل ويشكل نصا ينسجه على منوال لغته ويمكن أن يستقل ذلك النص بذاته. والفئة الثالثة عبارة عن المحاكاة وإعادة الخلق والتعريف والتأويل المماثل، كما أنها تعطي مجالا واسعا يتراوح من المطابقة مع الأصل إلى... التحرر الذي قد يكون مجرّد التلميح إلى الأصل...* »[2]

وقد ركزت الترجميات الحديثة، لاسيما المدرسة الألمانية، على الشحنة الثقافية الاجتماعية للنص. وقد أكد روادها على ضرورة التكيف مع مستلزمات وثقافة المترجم له. ومن هذا المنطلق نادى البعض بالتصرف المطلق والتحرر الكامل في الترجمة، وكان وراء هذا المفهوم إغناء الثقافات بالتبني أو ما يعرف بمفهوم التداخل[3].

3ــ2 مابين المزاوجة والإنكار:

---

[1] راجع الديداوي محمد : الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، لبنان/الدار البيضاء، 2000، ص96.

[2] الديداوي محمد: المرجع نفسه، ص80.

[3] المرجع نفسه، ص6.

لا يمكن إنكار ما قدمته الحضارات السابقة لغيرها من الحضارات التي نهلت من تراثها وتأثرت بآدابها وعلومها، فأخذت عنها لتتداخل الثقافات وتمتزج، ويتعرف القارئ المتلقي على ثقافة الآخر وفي هذا الإطار يقول "**بول بنسيمون**" **(Paul Bensimon):**

« *Depuis les temps anciens, la traduction est l'un des moyens essentiels de la communication interculturelle, et l'un des modes majeurs du croisement des cultures* »(1)

« تعتبر الترجمة منذ *العصور القديمة إحدى أهم وسائل التواصل بين الثقافات وكذلك إحدى الأنماط الأساسية لالتقاء الثقافات*». ترجمة

تسعى الترجمة إلى التعريف بالآخر والكثير من الثقافات تقبل الحوار والتبني، وتقتبس من غيرها والدليل تراث من سبقنا الذي وصل إلينا، والثقافة المغاربية الإسلامية خير دليل على هذا التمازج والتداخل الذي زاوج سحر العرب بجمال البربر على الصعيد الثقافي. إلاّ أنّ هذا ليس حال جميع الثقافات، فمنها من تقاوم وترفض الآخر في محاولة للحفاظ على وحدتها أو إنكار منها للآخر، وهذا ما تؤكده "**ايناس أوزكي ديبري**" **(Inès Oseki Depré) :**

« *Des exemples étonnants existent de la résistance que certaines communautés ont opposée à l'interférence étrangère. Les juifs ont beaucoup résisté à la culture gréco-latine en Palestine…Les hébreux ont résisté aux cultures arabes en Mésopotamie…* »(2)

« *أمثلة مدهشة عن مقاومة بعض المجتمعات للتداخل الثقافي الأجنبي؛ فاليهود قاوموا كثيرا الثقافة الإغريقو لاتينية في فلسطين... لقد قاوم العبريون الثقافة العربية في منطقة ما بين النهرين (دجلة والفرات)*» ترجمة

وكما سبقت الإشارة إليه فإنّ بعض الثقافات ترفض وتقاوم الثقافات الأخرى للحفاظ على

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Questions de Traductologie, Université de Provence, Paris, 2001- 2002, p2.
(2) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et Pratiques de La traduction littéraire, Armand Colin, Paris, 1999, p72.

أصالتها وبقائها، وعن هذه المقاومة يتحدث "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman):**

« *Toute culture résiste à la traduction, même si elle a besoin de celle-ci…Toute culture voudrait être suffisante en elle-même pour, à partir de cette suffisance imaginaire, à la fois rayonner sur les autres et s'approprier leur patrimoine* »(1)

« *الثقافات تقاوم الترجمة وإن كانت في حاجة إليها... فكل ثقافة تودّ أن تكتفي ذاتيا، وانطلاقا من هذا الاكتفاء الخيالي، تشعّ في الوقت ذاته على باقي الثقافات وتتملّك تراثهم.*» ترجمة

ويسترسل "**أنطوان بارمان**" في حديثه عن تلك المجتمعات التي تنزع إلى مقاومة الترجمة ورفض الآخر، رفض التداخل الثقافي الذي ينتج عن الترجمة في غالب الأحيان في محاولة للحفاظ على أصالة تلك الثقافة واللغة وصفائهما، فيقول:

« *...féconder le propre par la médiation de l'Etranger, heurte de front la structure ethnocentrique de toute culture, ou cet espèce de narcissisme qui fait que toute société voudrait être un Tout pur et non mélangé* »(2)

« *إنّ اختراق الخاص عن طريق وساطة الأجنبي، يصطدم مع البنية العرقية لكل ثقافة، أين يظهر ذلك النوع من النرجسية الذي يفضي إلى إرادة كل مجتمع في البقاء كلاّ خالصا غير مختلط*» ترجمة

تريد كل ثقافة الحفاظ على أصولها وتراثها نقيا خالصا، وقد حاولت اليابان في عهود من العزلة أن تحفظ ثقافتها من الآخر، تحفظ مقوماتها الحضارية لكنها في الأخير انفتحت على ذلك الآخر وبدأت تتكيف مع غيرها من الثقافات، تتفاعل معها وتقتبس عنها. وهذا ما تؤكده *نظرية النظام المتعدد La théorie du polysystème* التي تعتبر الترجمة:

(1) BERMAN Antoine : L'épreuve de l'étranger, Gallimard, Paris, coll. Essais, 1984, p16.
(2) DEPRE OSEKI, Inès : Questions de Traductologie, Université de Provence, Paris, 2001- 2002, p2.

« *La traduction est un vecteur d'interférences entre les différentes cultures* »[1]

« *الترجمة ناقل للتداخلات بين مختلف الثقافات* » ترجمة

وتعتمد هذه النظرية التي تولّدت عن مدرسة تل أبيب والتي يعتبر "**جدعون توري**" **(Gideon Toury)**أحد أهم أعمدتها على دراسة الأدب المترجم وسط النظام الأدبي المتعدد، الذي تحتفظ فيه الترجمة بمكانة مرموقة.

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et Pratiques de La traduction littéraire, Armand Colin, Paris, 1999, p79.

خـــــاتمـــة:

في ضوء ما قلنا، ينادي البعض بالانقياد التام للنص الأصل والمطابقة بينه وبين النص المترجم، إلاّ أن هذا الأمر عسير التحقيق نظرا للاختلافات الموجودة بين اللغات وتباين القيم الاجتماعية والثقافية بين الشعوب؛ هذه الشعوب التي تنهل من ثقافات بعضها بمجرد ترجمة موروثها الأدبي، وخير دليل تراث الحضارات القديمة الذي أفاد العالم بأسره ونهلت منه شعوب الأرض على اختلاف مشاربها، إلاّ أنه لا يمكن الجزم بأن كل الثقافات تتداخل وتتمازج، فمن الثقافات من يرفض الآخر، بل وينكره.

نستشف مما سبق، أن اللسانيات الحديثة فتحت آفاقا جديدة لدراسة الترجمة بعد أن كانت المحاولات كلها تدعو إمّا للحرفية اللصيقة بنص اللغة المترجم منها، أو الدعوة إلى التحرر الكامل من النص الأصلي والإبداع لخلق نص جديد في اللغة الهدف. وسواء تعلق الأمر بالتأثير المتطابق (نيدا) أو الترجمة التبليغية والترجمة الدلالية (نيومارك) أو الترجمة بين ثقافتين و الترجمة الهادفة (المدرسة الألمانية) أو الترجمة التأويلية (مدرسة باريس)، فإن "القارئ" هو مناط التفكير وله يترجم وينقل.[1]

[1] راجع الديداوي محمد : الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، لبنان/الدار البيضاء، 2000، ص82.

الفصل الثالث

ثنائية الترجمة الأدبية والتلقي

أولا :التلقي الترجمي

مقــدمـــــة:

من الواضح أنّ تاريخ نظرية الأدب ينقسم إلى ثلاث مراحل أساسية؛ ففي مرحلة أولى انصب اهتمام الدراسات النقدية على مفهوم المؤلف الذي صار مركز العملية الإبداعية والنقدية في منهج التحليل النفسي للأدب، ليأتي الشكلانيون الروس في مرحلة ثانية كرد فعل إزاء سلطة المؤلف، وينادي النقد الجديد في فرنسا والمنهج البنيوي عامة بموت المؤلف والاهتمام بـ " مفهوم النص" و "الكتابة"، لتظهر للوجود سلطة الكتابة أو سلطة النص. وفي مرحلة أخيرة، انتقلت بؤرة الاهتمام بشكل لافت إلى قطب القارئ والقراءة. ولا يخفى على أحد أن المترجم أولى هذين العنصرين، اهتماما خاصا أثناء تحقيق الفعل الترجمي، مما يؤكد وجود رابط قوي بين العملية الترجمية والتلقي والأدب؛ يقول "**هنري ميشونيك**": « *ليست نظريات الترجمة لسانيات تطبيقية، بل حقل* جديد *في إطار نظرية الأدب وممارسته.*»[1]

لقد انعكس مفهوم الأدب والأدبية بشكل واضح، على ترجمة النصوص الأدبية ومهمة المترجم؛ حيث يتحدد نجاح أو فشل هذه الأخيرة، انطلاقا من فهم المترجم للخطاب في سياقه الدقيق، ومعرفة جل العناصر المؤثرة في إيحاء النص الهدف وسياقه الثقافي الاجتماعي. وتسهم نظرية التلقي في إبعاد المترجم باعتباره قارئا خاصا، عن أي سوء فهم للنص الأصلي أو خيانة، من خلال تأكيد هذه النظرية على مسؤولية القارئ. إذن تشترك الترجمة والتلقي في القارئ (أو المتلقي)، ومما لا جدال فيه، أن المترجم قارئ خاص، يتلقى النص في لغته الأصلية لينقله إلى لغة هدف، ضمن سياق ثقافي اجتماعي معين. ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تعدد القراءات الواعية، ليتم كشف المعنى الذي أراده الكاتب، ومن ثمة إعطاء النص معناه.

---

[1] خليل نصر الدين: " الفعل الترجمي بين الممارسة اللسانية والتلقي"، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الأول، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، يناير 2001، ص. 118.

1ـ1 نظـــرية التلقـــي:

لقد أعطت نظرية التلقي للتواصل الأدبي بعدا آخر؛ إذ تعد واحدة من أهم المناهج الحديثة في دراسة الأدب ونقده. ويعود منشأ هذه النظرية إلى ستينيات القرن العشرين بألمانيا الغربية في جامعة كونستانس؛ أين اعتمد كلّ من "**هانز روبير ياوس**" (**Hans Robert Yauss**) و "**ولف غانغ ايزر**" **(Wolfgang Izer)** على الإرث التاريخي والفلسفي والعلمي الألماني من جهة، وما أنجز في مجال الدراسات اللسانية والنفسية والإبستمولوجية والفنية في الفكر الإنساني عامة، ليخلص الباحث الرومانسي ياوس إلى وضع *نظرية جمالية التلقي* التي تضع التلقي في إطار التاريخ من جهة، وتقرأ الأعمال الأدبية وتحكم على قيمتها الجمالية من خلال تاريخية التلقيات المتعاقبة من جهة أخرى حيث يقول: " *إن العلاقة بين العمل والقارئ تتقدم في مظهر مزدوج، جمالي وتاريخي*"[1]، بينما وضع الباحث في الأدب الإنجليزي"**آيزر**" *نظرية استجابة القارئ*، المبنية على أسس ثلاث متمثلة في: النص– القارئ– وتفاعلهما[2]، محاولا تشريح عملية القراءة بتوجيه من خلفية ظاهراتية وتأويلية بارزة موليا اهتماما خاصا لأعمال رومان أنجاردين. وهو يصف التفاعل بين النص والقارئ حسب مبدأ القارئ الضمني الذي يحدده من خلال حالة نصية واستمرارية لنتاج المعنى، على أساس أن النتاج من صنيع القارئ أيضا لا من صنيع الأديب وحده[3].

لقد اهتمت نظرية التلقي بالقارئ وأولته جلّ اهتمامها، فهو الذي يعطي للنص معناه وهو الذي يقرأ الأعمال الأدبية قراءات متجددة ويعطيها دلالات لم تعط لها من قبل،

---

(1) عبد العزيز طليمات: "فعل القراءة بناء المعنى وبناء الذات"، نظرية التلقي –إشكالات وتطبيقات– ، تأليف جماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء/ المغرب، 1993، ص 150 – 151.

(2) المرجع نفسه، ص151.

(3) محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات القراءة بين المذاهب الحديثة وتراثنا النقدي –دراسة مقارنة–، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 36.

القارئ المتلقي لم يعد عنصرا هامشيا في الدراسات الأدبية، بل أصبح على حد تعبير **ياوس:**" *الحكم في التاريخ الأدبي الحديث*"[1]، وتجدر الإشارة هنا إلى الأهمية الكبيرة التي يكتسيها تأويل النصوص في الفعل الترجمي، حيث يقول "**هايدغر**" **(Heidegger)** :

« *Toute traduction est en elle-même une interprétation, elle porte dans son être, les fondements, les ouvertures et les niveaux de l'interprétation qui se sont trouvés à son origine. Et l'interprétation à son tour n'est que l'accomplissement de la traduction.* »[2]

« *كلّ ترجمة هي في حد ذاتها تأويل، إذ أنها تحمل في كيانها أسس وفتحات ومستويات التأويل المتواجد في أصلها، الذي ما هو في الحقيقة إلاّ إتمام للترجمة*». ترجمة

فالتأويل يكتسي أهمية كبيرة في العملية الترجمية، ولا يخلو الأدب العربي القديم من إشارات عديدة إلى قضية تأويل النصوص، إذ يقول **ابن العربي:**« *فما في الكون كلام لا يتأول* » [3]، مؤكدا بذلك قابلية كلّ النصوص للتأويل، مبرزا أهمية القراءة ودور القارئ المؤول؛ فالقارئ يبذل جهدا ذهنيا يوصله إلى تذوق النص والشعور بالمتعة بعد قراءة عميقة وفي هذا الصدد يسترسل **الجرجاني** قائلا: «*... فإذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة، حصل كمال العلم به فلا تحصل اللذة القوية، ولكن تحصل اللذة إذا أتاك المعنى ممثلا، فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر والهمّة في طلبه وما كان منه ألطف، كان امتناعه عليك أكثر وإباؤه أظهر... ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق له، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف...*» [4]

---

[1] روبرت سي هولب: نظرية الاستقبال– مقدمة نقدية–، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط1، دار الحوار والنشر للتوزيع، 1992، ص 180.

[2] BERMAN, Antoine : La Traduction et La Lettre ou l'Auberge du lointain, Paris, Seuil, 1999, p19.

[3] راجع م.ا الصبيحي: المناهج اللغوية الحديثة في اللسانيات، جامعة قسنطينة، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، ص143.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سبر أغوار النص ودلالاته والبحث عن المعاني الخفية والواضحة عبر ملء الفراغات وتأويل النص ، انطلاقا من تجربة القارئ الخيالية والواقعية. وقد استثمر" **ياوس**" أعمال "**جادامير**" في القراءة والتأويل، ليخلص إلى أن فهم النص وتأويله يتم عبر ربط النص الأدبي بسلسلة من النصوص السابقة، كما ركز "**ياوس**" على مفهوم " *أفق الانتظار*"؛ فالعمل الأدبي غالبا ما يحمل إلى القارئ مجموع معطيات تشكل نسقا من الانتظارات والعلامات التي تخلق لديه نمطا معينا من التلقي، يدفعه إلى استحضار تجربته مع النصوص التي سبق له وأن قرأها. ومثلما تراعي الروايات الكلاسيكية أفق انتظار القارئ الذي تعود على قراءتها من خلال معايير وآليات تجنيسية وتحليلية معروفة، قد يخيب توقع هذا القارئ بسبب الانزياح الفني بين الطرائق الموجودة في السرد الكلاسيكي والسرد المعاصر، إذا ما واجه رواية حداثية جديدة لا تنسجم مع القواعد التي تعود عليها. فالمسافة الجمالية تربك القارئ وتجعل توقعه الانتظاري خائبا.

ويؤكد "**ياوس**" على أن « *الآثار الأدبية الجيدة هي تلك التي تنمي انتظار الجمهور بالخيبة، إذ أن الآثار الأخرى التي ترضي آفاق انتظارها وتلبي رغبات قرائها المعاصرين هي آثار عادية جدا تكتفي عادة باستعمال النماذج الحاصلة في البناء والتعبير، وهي نماذج تعود عليها القراء. إن آثارا من هذا النوع هي آثار للاستهلاك السريع سرعان ما يأتي عليها البلى. أما الآثار التي تخيب آفاق انتظارها وتغيظ جمهورها المعاصر لها، فإنها آثار تطور الجمهور وتطور وسائل التقويم والحاجة من الفن، أو هي آثار ترفض إلى حين حتى تخلق جمهورها خلقا.*» [1] ويوجز "**روب هولمب**" مرجعيات هذه النظرية الأدبية في الخمس مؤثرات التالية: الشكلانية الروسية وبنيوية براغ، ظواهرية رومان إنجاردن وهيرمينوطيقا جادامر وأخيرا سوسيولوجيا الأدب.[2]

ولدى معرض حديثنا عن نظرية التلقي، لا ضير من التكلم قليلا عن معنى "التلقي" أو "الاستقبال"؛ إذ يقال في اللغة العربية: تلقاه، أي استقبله، والتلقي هو الاستقبال

---

[1] الواد حسين: في مناهج الدراسات الأدبية، ط2، منشورات الجامعة، تونس، 1985، ص79-80 .

[2] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002، ص 118.

– كما حكاه الأزهري– وفلان يتلقى فلانا أي يستقبله[1]. ويقال في اللغة الإنجليزية:

"Reception" أي استقبال أو تلق[2].

إذا نظرنا إلى المعاجم العربية قديمها وحديثها فإننا لا نجد لمصطلح التلقي سوى مفهوما لغويا يفيد الاستقبال أو الأخذ أو التلقين... وقد لا تختلف المعاجم الفرنسية عن المعاجم العربية في شأن مصطلح التلقي، بحيث مازالت تحتفظ بدورها بالمفهوم اللغوي للتلقي، ولا تتحدث عن مفهومه النظري والجمالي كما هو الشأن في المعاجم الألمانية... وهكذا يمكن أن نعود إلى معجم ألماني عام لسنة 1989 لنجد فيه كل مواصفات كلمة التلقي من حيث أصلها اللاتيني والمعاني التي تشير إليها، ولكنه يضيف فيتحدث عن مصطلحي "جمالية التلقي" و "تاريخ التلقي"[3]. ويمكن تفسير هذا بأن التلقي قد اكتسب مفهوما نظريا جديدا في نسق الفكر الألماني المعاصر، وقبل أن يأخذ مثل ذلك في أنساق المعرفة الإنسانية الأخرى.

إذن تعتبر نظرية الاستقبال أو التلقي؛ عبارة عن حركة تصحيح لزوايا انحراف الفكر النقدي، ومناهضة للفكر الماركسي الذي ركز على عنصري الكاتب والنص أكثر من العناية بالقارئ. ليكون تحوّل الاهتمام عن المؤلف باتجاه القارئ، نتيجة حتمية لهذه النظرية التي ارتبطت في مفهومها بالقارئ أكثر من ارتباطها بصاحب النص؛ حيث استبعدت دراسة النص على أساس منهج يهتم بحياة الكاتب، وركزت على محورين فقط ، كما يوضح ذلك **محمود عباس عبد الواحد:**« *كان التركيز في مفهوم الاستقبال لدى* أصحاب هذه النظرية على محورين فقط، هما على الترتيب: القارئ والنص، فالقارئ عندهم هو المحور الأهم والمقدم في عملية التلقي، وعلاقته بالنص ليست علاقة جبرية موظفة لخدمة نظام أو طبقة كما في الماركسية، وليست

---

(1) محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الحديثة وتراثنا النقدي –دراسة مقارنة–، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 13.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) أبو حسن أحمد: "نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث"، نظرية التلقي– إشكالات وتطبيقات– ، تأليف جماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء/ المغرب، 1993، ص.15.

عـــلاقـــة *سلبية، كما هي في المذهب الرمزي، إنما هي علاقة حرة غير مقيدة*» [1]. وفي إهمال النظرية للمؤلف أو الكاتب في عملية استقبال النص، إشارة واضحة عن تحول هام في عملية التلقي من صاحب النتاج إلى النص والقارئ[2]، هذا الأخير الذي يتعدى دوره في الأهمية مؤلف النص نفسه أو مترجمه؛ اللذين ينتهي دورهما بمجرد انتهاء عملية التأليف أو الترجمة، بينما يستمر دور القارئ عبر الأجيال. ويصف **جيلالي الكدية** مكانة القارئ في ضوء نظرية التلقي، على أنها:

« *The goal of the theory of reception is simply to restore to the reader a certain dignity, to make of him a creative and active agent in his interaction with the literary text instead of remaining a passive consumer...*». [3]

« *يكمن هدف نظرية التلقي ببساطة، في رد اعتبار القارئ، وجعله عنصرا خلاقا* ونشيطا في عملية التفاعل مع النص الأدبي، عوضا البقاء مستهلكا سلبيا...». ترجمة

وأيا ما كانت توجهات القراء ومذاهب القراءة الأدبية، فإن الأدب المقروء –على اختلاف أجناسه– بدأ يواجه في الآونة الأخيرة، مرحلة جديدة من مراحل التلقي؛ هي مرحلة الحاسب الآلي[4]. وفيها يقل الاعتماد على الكتاب المطبوع أو الديوان المنشور، حيث يعول القارئ أو المتلقي على ما يختزنه هذا الجهاز من ملايين الكتب والمصنفات، وليس على القارئ أو المترجم سوى إعطاء تعليماته للحاسوب، لتظهر أمامه الصفحة أو الفقرة التي ينشدها في مرجع من مراجع الأدب.

---

[1] محمود عباس عبد الواحد، المرجع المذكور، ص.17-18.

[2] روبرت سي هولب: نظرية الاستقبال– مقدمة نقدية– ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط1، دار الحوار والنشر للتوزيع، 1992، ص.30.

[3] EL KOUDIA,Jilali : 'The Aesthetics of Reception', Théorie de la Reception-Problématique et Pratique-, Edition Najah el jadida, Dar el Beida/ Rabat, 1993, p.17.

[4] محمود عباس عبد الواحد، المرجع السابق، ص.140.

2-1 مساهمة نظرية التلقي في تطور أساليب الترجمة :

اكتسب عنصر القارئ–المتلقي أهمية كبيرة في تشكيل العملية التواصلية؛ من خلال معالجة النقد الألماني للظاهرة الأدبية، ومساهمة كل من نظرية التلقي ونقد استجابة القارئ في تفتح آفاق هذه الدراسات. وتؤكد "**جين تومبكنز**" في هذا الصدد أن:« *نقد استجابة القارئ أصبح نقطة عبور في المسيرة التغيرية لنظرية الأدب.*»[1]، وهذا من خلال اهتمامات جماعة "نورمان" ومدرسة "كونستانس".

فجماعة نورمان في برلين، اهتمت بمعالجة النص الأدبي معتمدة على التوجه الماركسي؛ من خلال التعامل مع القارئ في مستواه الطبقي الذي ينتمي إليه، والذي يتأثر به، جاعلة من النص والقارئ والقراءة وسائل إنتاج أدبي. أما مدرسة "كونستانس"؛ وكما سبقت الإشارة إليه، فقد اهتمت بجمالية التلقي ونقد استجابة القارئ. وانطلاقا من هنا، طرأ تحول كبير في مجرى دراسة النص، الذي لم يعد ينظر إليه بوصفه كيانا مستقلا عن قارئه. فقد ارتكزت نظرية التلقي على مبدأ "أفق الانتظار" (Horizon d'attente) الذي يحدد الطريقة التي يتدخل بها القارئ في النص من أجل بناء معنى يقترب من المعنى الذي قصده صاحبه وقد يختلف عنه محدثا صراعا بين الأفقين، وبالتالي حدوث ابتعاد في وجهات النظر ومنه في المعنى. مما يثير فكرة "الانزياح الجمالي" التي تعني الخروج عن الاستعمالات اللغوية التي ألفها القارئ وتعوّد عليها، من مفردات وألفاظ وتراكيب ومعاني، فيُحدث هذا الانزياح وقعا جماليا خاصا، باعتباره خرقا لمعيار معين ومحدد من قبل في ذهن القارئ، الذي سيبدأ رحلة البحث عن المعاني الظاهرة والضمنية، الأمر الذي يتطلب امتلاك عُدّة لغوية ومعرفية مسبقة[2]. فقـراءة أيّ نص هـي بمثـابة نشـاط تفـاعلي بين عدة مكونـات نصية [2] ومعرفية، وفي هذا الصدد يقول **ميلود حبيبي:** « ينظر إلى النص الأدبي كرسالة متبادلة بين كاتب وقارئ في الاتصال الأدبي، تتميز بالاستعمال المكثف للإيحاء، ولذلك يطالب القارئ بالانتباه إلى بنية الرسالة[...] ينتهج القارئ في

---

[1] جين ب. تومبكنز: نقد استجابة القارئ في الشكلانية الروسية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة ناظم علي حاكم، المجلس الأعلى الثقافة، بغداد، 1999، ص.17-18.

[2] IZER, Wolfgang : L'acte de la lecture. Théorie de l'effet esthétique, traduction evelyne sznyyeer, Bruxelles, Edit. Pierre Margarda, 1976, p. 292-299.

مواجهته للنص استراتيجيات مؤطرة معرفيا وتقويميا، حيث ينشئ أثناء المسلسل القرائي تمثلات نفسية ومعرفية، ترتكز على مخزونه من المعارف، ويحاول عن طريقها الوصل بين المكتسب القديم والمعلومات الجديدة. »[1]

يتضح لنا، أن الترجمة والتلقي يلتقيان في عنصر أساسي، يتمثل في القارئ أو بمعنى آخر "المتلقي"، وهنا تجدر الإشارة إلى خصوصية المترجم، بوصفه قارئا في المرتبة الأولى لنص معين، ومتلقيا له، ثم مرسلا لذات النص، في إطار ما يسمى بـ "*التلقي الترجمي*"[2]؛ حيث ينتقل النص من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف، عبر عمليات ذهنية يقوم بها المترجم بالاعتماد على ثقافته ومعارفه، من أجل تحقيق الفعل النرجمي وتحويل النص الأصلي إلى نص جديد، يتماشى مع القارئ المتلقي وثقافته. لكن تجدر الإشارة هنا، إلى ضرورة احترام المترجم للنص الأصلي من حيث الأمانة والدقة في النقل، مع الحفاظ على "العلامات الأجنبية" (marques étrangères) [3] المتواجدة في هذا النص؛ أي الخصوصيات الثقافية، لأن المتلقي الأجنبي ليس بالسلبية التي نعتقد، وهذا ما تؤكده "**جويل رضوان**" (**Joëlle Redouane**) بقولها:

« *Le récepteur n'est pas aussi passif qu'on le croit, il aborde le texte avec un certain bagage cognitif et surtout avec une certaine attente dont il convient de tenir compte.* » [4]

« *إن المتلقـــي ليس بالسلبية التي نعتقد، بل هو يتعـــامل مع النص برصيد إدراكي معين، وانتظار معين ينبغي مراعاته.* » ترجمة

إن تشعب عملية الترجمة يستلزم من المترجم القارئ القدرة على التفاعل وتوليد المعنى، ولا شك في أن هذه الفكرة هي من أهم المبادئ التي ارتكزت عليها نظرية التلقي؛ إذ جعلت المترجم أمام حتمية تطوير وتجديد أساليبه وكذا طريقة تعامله مع النصوص. وعن

---

(1) حبيبي ميلود: "النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة"، نظرية التلقي- إشكالات وتطبيقات- ، تأليف جماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء/ المغرب، 1993، ص167-185.

(2) بوحسن أحمد: في المناهج النقدية المعاصرة، ط 1، دار الأمان، الرباطا المغرب، 2004 ، ص.35-36.

(3) HERIPAGEAUX, Daniel : La littérature générale comparée, Armand Colin, Paris, p. 41.

(4) REDOUANE, Joëlle : Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger, p.68.

هذه الفكرة يقول "**ياوس**":« *العمل الأدبي لا يوجد إلا عندما يعاد إبداعه أويتم تحقيقه في ذهن القارئ.*» [1]. فالمترجم لم يعد مجرد قارئ ناقل لنص من لغة إلى أخرى، بهدف خدمة قراء يجهلون لغة الأصل، بل هو قارئ مبدع، ينقل نص من ثقافة إلى أخرى. كما أن مستوى تلقي النص الأصلي يختلف عن مستوى تلقي النص المترجم، فقد يذهب القارئ العادي بخياله وتفكيره إلى معنى يعارض المعنى الذي يرمي إليه الكاتب مثلما قد يصيب في الفهم، أما المترجم بوصفه قارئا مميزا للنص، فهدفه الوحيد هو نقل ذلك النص من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف. ولا بد أن يكون المتلقي على اطلاع بكل ما يحيط بالنص، حياة الكاتب، جنس النص، بنيته، لغته، أسلوبه، قبل البدء في تأويله فقد يساعد هذا في البحث عن المسكوت عنه أو المعاني الضمنية.

لا جدال في أن نظرية التلقي قد ساهمت بشكل كبير في ميدان الترجمة الأدبية، بوصفها تهتم بثقل العلاقات الثقافية والحضارية بين الأمم والشعوب، كما أدت إلى تعميق وتوسيع الأفق المعرفي للمترجم–القارئ الذي لم يعد يكتف بالقراءة السلبية للنص، بل يقرأ ما بين السطور بوعي ويغوص في أعماق النص ويعرف قصدية المؤلف الأصلي، من خلال عمليات التأويل والتفسير[2]. الأمر الذي يسفر عن تفاعل قوي بين المترجم وبين النص، مما يساعد على حل المشاكل التي قد تصادف طريقه أثناء أدائه الفعل الترجمي، وبالتالي تحقيق ترجمة قد تعادل النص الأصلي، من حيث المعنى.

إنّ الترجمة الحقيقية على حد قول "**جيلالي كدية**": « *هي حالة خاصة لعملية التواصل والتلقي في أي فعل لغوي إنساني.*» [3]؛ حيث يتم إنتاج النص الهدف نتيجة عملية دقيقة تهتم بالعلاقات المعقدة بين النص المصدر وعالم النص الهدف، وتمثل الترجمة النهائية التي يتسلمها المتلقي أو القارئ في نهاية المطاف، النتيجة النهائية لعملية الترجمة. إلاّ أن "**ألبرت نيوبرت**" و"**غريغوري شريف**" لهما رأي آخر:« *من المؤكد أن*

---

(1) حسن حنفي: قراءة النص الهرمنيوطيقا والتأويل، ط2، تأليف جماعي، الدار البيضاء، دار قرطبة للطباعة والنشر، 1993، ص 90.

(2) جيلالي كدية: الترجمة بين التلقي والتأويل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص.29.

(3) المرجع المذكور، ص.52.

المرحلة الإبداعية تصل إلى نهايتها عندما يسلم المترجم النص للقارئ. لتبدأ مرحلة جديدة من عملية الترجمة عندما يستخدم القارئ دلائل المترجم وواسماته اللغوية لكي يفهم النص بشكل فعال. وأثناء المرحلة الإبداعية للترجمة، يكون المترجم الشريك الفعال ويأخذ القارئ دور الشريك المتوقع/ المفترض. وفي المرحلة الثانية من الترجمة يأخذ القارئ دور الصدارة، وتمثل التعابير اللغوية على المستوى النصي السطحي الآثار الوحيدة الدالة على وجود المترجم... وتتحد الترجمة بشكل خفي بعالم نصوص اللغة الهدف، *ويشكل المترجم وفهمه للنصية أدوات هذا التوحد.*» [1]

وهكذا يتبين لنا أن أدبية النص لا تتحقق إلاّ من خلال القارئ؛ الذي يعتبر المنتج الحقيقي للمعنى، من خلال تفاعله مع النص، وفي هذا الإطار يقول **جيلالي الكدية:**

«*The concentration should be on the interaction between the text and the reader. Indeed, the message of the writer exists only in so far as it is read by someone else.*» [2]

« *يجب أن يتم التركيز حول التفاعل بين النص والقارئ. و في الواقع، لا وجود لرسالة المؤلف إلا إذا تمت قراءتها من طرف أحد ما*» ترجمة

ويسترسل "**هانس روبرت ياوس**" **(Hans Robert Yauss)** في حديثه عن تفاعل القارئ والنص، مؤكدا أن:

«*Un chef-d'œuvre n'existe et ne dure qu'avec la complicité de ses publics successifs.* » [3]

« *لا يستمر أي عمل إبداعي إلا من خلال التواصل المستمر بين جماهيره المتعاقبة.*» ترجمة.

فاستمرارية أي عمل إبداعي أدبي، تتعلق بمدى تفاعل وتواصل القراء المتعاقبين مع نص هذا العمل، وهذا لا يتحقق إلا من خلال فعل القراءة.

---

[1] نيوبرت ألبرت و غريغوري شريف: الترجمة وعلوم النص، ترجمة محيي الدين حميدي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 2002،ص.173.

[2] EL KOUDIA,Jilali : 'The Aesthetics of Reception', Théorie de la Reception-Problématique et Pratique-, Edition Najah el jadida, Dar el Beida/ Rabat, 1993, p.7.

[3] EL KOUDIA, Jilali., op. cit., p.7.

إن نظرية التلقي، في حقيقة الأمر، ما هي إلا تأكيد على مسؤولية القارئ أمام النص. وإذا أردنا استغلال مكونات هذه النظرية بالطريقة المثلى خلال العملية الترجمية، لتحقيق ترجمة تعادل النص الأصلي؛ فينبغي على المترجم أن يجتهد في قراءة النص وتحليل معانيه الظاهرة والضمنية، لبناء المعنى والتقرب من قصد المؤلف، مما يسفر عن أمانة في النقل وابتعاده عن أي خيانة أو سوء فهم للنص، من خلال مراعاة خصوصيات كل من اللغة الأصل والوصل.

خـــــاتمـــة:

ومجمل القول أن، كلا من "**آيزر**" و"**ياوس**" يدعوان إلى إعادة كتابة تاريخ الأدب الغربي على ضوء جمالية التلقي، التي ترتكز باختصار على مبدأ ثنائية القارئ والنص، التأويل والقارئ الافتراضي المثالي، أفق الانتظار، ملء الفراغات والمسافة الجمالية. وقد استغلت الترجمة الأفكار والمبادئ التي جاءت بها هذه النظرية بشكل واضح من خلال تأكيد مسؤولية القارئ؛ وبالخصوص المترجم المتلقي الذي ينصهر في النص لبناء المعنى الذي يقصده الكاتب في الأصل؛ من خلال التفاعل مع ذلك النص والاجتهاد في القراءة والتحليل وتأويل معانيه الظاهرة والخفية تأويلا جديّا، عبر القراءة العميقة لما بين السطور وملء الفراغات. ممّا يسفر عن الولوج إلى مقاصد المؤلف وبالتالي تقديم نص مترجم يعادل الأصل.

فنظرية التلقي تبعد المترجم عن كل خيانة أو سوء فهم، ولا تجعله أمينا للأصل فقط، بل للنص المستهدف أيضا، من خلال مراعاة خصوصيات اللغة الهدف.

ثانيا :هجـــرة النـــص الأدبـــي:

مقـــدمـــــة:

في خضم حديثنا عن التلقي والترجمة، وفي زمن تحول فيه العالم إلى قرية كونية؛ ألا يجدر بنا أن نعرّج ولو قليلا إلى إشكالية تلقي أدبنا العربي خارج حدوده الإقليمية، وما مدى تلقينا للآداب الأجنبية في بيئتنا العربية، خاصة ونحن ندرك أن الترجمة الأدبية كانت على مرّ التاريخ الثقافي الإنساني، محلّ اهتمام الشرق والغرب؛ فمن خلالها استمتعت مختلف الشعوب جماليا وفكريا بآداب غيرها من الأمم، واطلعت على المضامين الثقافية والفكرية والأسلوبية والشكلية للآداب الأخرى، مثلما تعرّفت على واقعها الاجتماعي والحضاري، مما انعكس تجديديا على تلك الآداب المستقبلة وأغناها.

ومما لا جدل فيه، أن لكل أمة ثروات أدبية وفكرية وعلمية، من مصلحة غيرها من الأمـــم الاطلاع عليها والاستفـــادة منها، ولا يتم ذلك إلا من خـــلال الترجمة التـــي لا يجب أن تكون طريقا وحيد الاتجاه، مثلما يفسر ذلك **عبود عبده** بقوله:« *الترجمة الأدبية ليست طريقا وحيدة الاتجاه، تنطلق من لغات وآداب معينة لتصب في لغات وآداب أخرى، ولا يجوز أن تكون الترجمة الأدبية مثل طريق من هذا النوع، لأن حركة ترجمة أحادية الاتجاه والجانب هي بالضرورة حركة مشوهة غير متوازنة تنطوي على خلل ما.*» [1]، فكيف هي حال أدبنا العربي مرسلا ومستقبلا ؟

2ـ1الأدب العربي مرســـــلا

بعد حصول الكاتب الأديب محفوظ نجيب على جائزة نوبل للأدب، ازداد العالم العربي اقتنـــاعـــا بـــأن الأدب العربـــي قد ارتقـــى إلى مصاف الآداب العـــالمية، وبضرورة اطـــلاع القارئ الغربي على مختلف الإبداعات العربية من نثر وشعر. لكن استقبال الإبداعات العربية عن لغتها الأصلية غير متاح إلا لفئة جد قليلة من المثقفين والمستشرقين ممن يجيدون اللغة العربية بوجه خاص، لأن اللغة العربية ليست لغة واسعة

---

[1] عبده عبود: هجرة النصوص–دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي–، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995، ص.7.

الانتشار في الأوساط العامة الغربية، وبالتالي يبقى السواد الأعظم من الأجانب في مثل هذه البلدان بحاجة إلى وساطة ترجمية لتلقي العمل الإبداعي العربي.

وتجدر الإشارة هنا، أنّ ثمة فرق شاسع بين أن يستقبل العمل الأدبي ضمن بيئته الاجتماعية والثقافية الأصلية وبين أن يستقبل ضمن بيئة غريبة، لم يكتب في الأصل بلغة أبنائها، ولم يتوجه إلى متلقيها، ولم يعبر عن واقعها الاجتماعي، مثلما هو الحال عندما ينقل عمل أدبي عربي إلى لغة أجنبية؛ حيث يقوم بعض المترجمين بمنح أنفسهم حق تشويه النص الأصلي والتصرف فيه بحجة رداءة الأسلوب أو التباين الثقافي بين الحضارتين المرسلة والمستقبلة؛ وفي هذا الصدد يتحدث القاص والروائي التونسي **إبراهيم درغـــوثي** عن تجربته الخاصة مع المترجم الفـــرنسي لروايته "الدراويش يعودون إلى المنفى"، فيقول: « لقد عمد مترجم روايتي في أحيان كثيرة إلى تلخيص فقرات من النص عوض الترجمة الكاملة والدقيقة للجمل. فكلما أشكل عليه المعنى وصعب، عمد إلى التلخيص خاصة في المواضع التي تعج بالأحداث التاريخية وأسماء الأعلام. هذه الأحداث وهؤلاء الأعلام الذين يشكلون رموزا في الذاكرة الشعبية العربية ولكنهم قد لا يعنون شيئا يذكر بالنسبة للحضارات الأخرى فيقفز عليهم المترجم دون أن يطرف له جفن، ولكنه يسيء إلى النص الأصلي الذي تصير معانيه مبتورة ومدلولاته مرتبكة. وهو أيضا لا يختار المرادفات الصحيحة للكلمات العربية... وحاول المترجم أيضا تحوير ترجمات لآيات من القرآن الكريم...»[1]. لكن هذا لا يمنع حقيقة أن بعض المترجمين الأوروبيين، قد أظهروا موهبة فائقة في ترجمة الإبداع العربي، من خلال محـــاولات كثيرة لتحقيق معـــادلة الترجمة الـــصعبة التـــي ترمـــي إلـــى الجمع بيـــن التعـــادل المعنوي–الدلالي والتعادل الأسلوبي–الجمالي، وتفادي أي خسارة تنجم عن نقل النص الأدبي من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، للحفاظ على التأثير في نفس المتلقي.

وقد تمحورت حركة الترجمة إلى اللغات الأجنبية حول أقطار عربية دون سواها؛ حيث حظي الأدب العربي المصري بحصة الأسد من الترجمة، لكونه من أقدم الآداب

---

[1] درغوثي إبراهيم: "حول ترجمة الإبداع العربي إلى لغات أخرى"، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الخامس، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، جويلية 2002، ص. 20–21.

نضجا على المستوى العربي، إلى جانب الأدب الفلسطيني الذي نال قسطا وافرا من الترجمة نظرا لأسباب سياسية، ساهمت في استقباله في الخارج، وحرص المترجم الفلسطيني على الترجمة من اللغة العربية إلى لغات مختلفة ،مثل الألمانية والروسية والإنجليزية والايطالية والاسبانية والفرنسية، وتقديم صورة واضحة عن الأدب العربي عموما والأدب الفلسطيني خصوصا. [1]

وفي سياق حديثنا عن تلقي الأدب العربي خارج بيئته اللغوية والاجتماعية والثقافية، تجدر الإشارة إلى أن الرواية والقصة، هما أكثر الأنواع الأدبية ترجمة إلى اللغات الأجنبية، ويؤكد **عبده عبود** ذلك، شارحا أسبابه: « *من السمات البارزة لحركة نقل الإبداعات الأدبية العربية إلى اللغات الأجنبية أن تلك الحركة قد تمحورت حول جنس أدبي واحد، هو الجنس الملحمي، من قصة ورواية، وسط إعراض نسبي عن الأجناس الأدبية الأخرى، من شعر غنائي ودراما...وذلك لاعتبارات تختلف عن تلك التي تتحكم في استقبال هذا الأدب ضمن بيئته القومية. فمن هده الاعتبارات حقيقة أن الشعر الغنائي، المرتبط باللغة أوثق الارتباط، يفقد قسطا كبيرا من جماله عند نقله من لغة المصدر إلى لغة الهدف مهما كان المترجم بارعا... أما الدراما هي جنس أدبي مرتبط بالعرض المسرحي، ولا يتجسد إلا فوق خشبة المسرح. ويبدو أن العالم الخارجي، غير مهتم بعرض مسرحيات عربية في مسارحه.*»[2]

من الضروري اطلاع القارئ الغربي على روائع الفكر العربي، ومحاولة الترويج له بالصورة الصحيحة، حتى لا تبقى الأعمال الأدبية العربية حبيسة رفوف مكتباتها، أو تتعرض لترجمات مشوهة، تخون أدبنا بدل أن تنقله بكل أمانة إلى الضفة الأخرى.

---

[1] راجع الخوري شحاذة: دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، القسم الثاني، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص.82/81.

[2] عبده عبود: هجرة النصوص–دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي–، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995، ص.65.

2ـ2الأدب العربـــي مستقبـــلا

عادة ما يجيد المثقف العربي لغتين أجنبيتين إلى جانب اللغة العربية التي تعتبر لغته الأم، مما يتيح له فرصة الإطلاع على بعض الآداب العالمية بصورة مباشرة، إلا أنه من الصعب الاطلاع على كل الآداب الأوروبية، لذلك فالمثقف والقارئ العربي عموما يعتمد على الترجمة لكونها الرابط الوحيد بينه وبين الإنتاج الأدبي الغربي الوفير في كل اللغات. أمّا عن ترجمة هذه الخطابات المهاجرة من لغاتها وثقافاتها الأجنبية إلى اللغة العربية واستقبال هذه الآداب الغربية؛ فإن المتلقي العربي يتفاعل مع العمل المترجم فكريا وجماليا ويتأثر به، حيث ينتقل إلى آفاق جديدة ويكتشف العالم بعين غير عربية تعرّفه ببيئة الآخر وثقافته التي تختلف عن الثقافة العربية.

هذا من جانب القارئ العادي، أما من جانب المثقف العربي؛ الروائي منه والشاعر على وجه التحديد فقد تأثرا كثيرا بالروائع العالمية، الأمر الذي انعكس على الإبداع وبالتالي تجديد الأدب وتطويره فكريا وفنيا، لتخرج الثقافة العربية من ركودها وتعرف منحى جديد، يرى من خلاله بعض المفكرين أنّ الثقافة العربية تستوعب ما استقبلته من مؤثرات ثقافية أجنبية، فتؤصل بعضه وتحوله إلى مكون عضوي من مكونات نسيجها الثقافي الجديد [1]. فقد كان لاستقبال أدب كافكا من جانب الروائيين العرب تأثير كبير على تطور فن القصة في الأدب السردي الحديث. كما أن ترجمة العمل الأجنبي هي على حد قول **عبده عبود** : « الـــترجمة الأدبية ليست مجرد عملية ميكـــانيكيـــة يتمّ خلالهااستبدال مفردة أجنبية بمفردة عربية أو تعبير أجنبي بتعبير عربي، بل هي ولادة جديدة وإعادة خلق وإبداع ثان للعمل الأدبي في اللغة الهدف، إنها إعادة إنتاج العمل الأدبي بصورة خلاقة مبدعة... صحيح أن العمل الأدبي لا يزال يحمل اسم مؤلفه الأجنبي وأنّ له أصلا أجنبيا يطالب بأن يكون متكافئا أو متطابقا معه، ولكن ذلك لا يغير شيئا في حقيقة أنّ هذا العمل الأدبي قد قام بهجرة إبداعية وشهد ولادة جديدة في لغة جديدة.» [2] وفي هذا تأكيد

---

[1] الخوري شحاذة: فن الترجمة قديما وحديثا، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/ تونس، 1988، ص 12.ص46.

[2] عبده عبود: المرجع المذكور سابقا، ص 152.

على أنّ ترجمة أي نص أدبي من لغة إلى لغة أخرى، يعني بالضرورة هجرة هذا النص من محيط ولغة ثقافته المصدر إلى محيط ولغة أخرى يغير فيها هويته الثقافية.

إن جلّ ما نعرفه عن الثقافة الغربية والأدب العالمي عموما جاءنا على شكل ترجمات؛ وقد حفل أدبنا العربي كما سبقت الإشارة إليه بروائع من الأدب العالمي؛ فترجمت من الإنجليزية أشعار اللورد بايرون و وردزورث، ومن الفرنسية أشعار لامارتين وفيكتور هيجو، أما الرواية فقد نالت حصة الأسد من التراجم؛ أمثال روايات الأمريكي إرنست همنجواي والإنجليـــزي ديكنز والايرلندي جيمس جويس، والفرنســـي سانت إكزوبيري وبلزاك، والكولمبي غابريال غارسيا ماركيز... ومن المؤكد أن النقل لم يتم عن لغة واحدة، بل عن عدة لغات، كما شملت الترجمة أيضا مختلف مناحي المعارف الإنسانية ولم تقتصر فقط على الشعر أو الرواية.

وقد جاءت الترجمة في المغرب العربي متأخرة بقليل عن مثيلتها المشرقية لأسباب يرجعها **شحاذة الخوري** إلى الاستعمار فيقول: « *إنّ هذه الازدواجية اللغوية التي ما تزال* غالبة في المغرب العربي والتي أضعفت الحافز في الترجمة، لم تكن وليدة الصدفة، بل هي أثر باق من الجهد المستميت الذي بذله المستعمرون الفرنسيون لنشر لغتهم بين المغاربة... إن الاستعمار كان يردد أطروحته التالية: بما أنّ اللغة العربية الـــكلاسيكية تعتبر شبه ميتة، وبما أنّ اللغة العربية العصرية إنمـــا تهم المشرق، وبما أنّ المغربية الدارجة غير صالحة لتكون رسمية، فإنّ الرأي هو أن يستغنى عن العربية نهائيا وأن يستعاض عنها باللغة الفرنسية... » [1]

[1] الخوري شحاذة: دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، القسم الثاني، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 137 / 138.

خـــــاتمـــة:

ومجمل القول، أن العمل الأدبي يجتاز بفضل الترجمة حدوده اللغوية إلى لغات وثقافات ومتلقين جدد؛ ومادام النص الأدبي عبارة عن نسيج من الفضاءات البيضاء والفجوات التي يجب ملؤها من قبل المتلقي، فلامناص من القراءة التأويلية الواعية التي تؤدي بالمتلقي إلى التفاعل مع النص والتأثر به، من أجل فهم أوسع وأعمق للنصوص. وبما أننا نعيش في عالم تسير فيه المعرفة بخطى سريعة، في جميع الميادين، وفي كل اللغات؛ فالترجمة غدت من الوسائل والوسائط الضرورية للتفتح على مختلف العلوم والثقافات. لذلك فإن البلدان العربية مطالبة بدعم حركة الترجمة وعدم الاكتفاء بالنقل إلى اللغة العربية، بل التعريف أيضا بالثقافة العربية من خلال نقل كتبنا إلى مختلف لغات العالم؛ فالترجمة كانت وستبقى الرباط الوثيق الذي يجمع ثقافات الأمم والشعوب على صعيد إنساني واحد. وعلى حد قول **نعيمة مفتاح تليلي:**

« *Faisons donc de l'apprentissage des langues étrangères et de la connaissance des textes traduits ou du travail de la traduction un outil qui nous permettrait de cultiver la différence et la tolérance.*» [1]

« لنجعل من تعلم اللغات الأجنبية ومعرفة النصوص المترجمة، أو عمل الترجمة، وسيلة لزرع ثقافة الاختلاف والتسامح.» ترجمة

[1] MEFTAH TLILI, Naïma : ''Traduction et plurilinguisme/ Traduction et culture'', Traduire la langue Traduire la culture-sous la direction de Salah Mejri, collections Lettres du Sud, Sud Editions, Tunis, 2003, p.175.

الفصل التطبيقي

تحليل المدونة

لقد جاءت الرواية المغاربية المكتوبة باللغة العربية متأخرة مقارنة بنظيرتها المشرقية، وتعتبر الرواية الجزائرية "**غادة أم القرى**" للكاتب الأديب رضا حوحو التي ظهرت سنة1947 أول رواية تؤلف بالمفهوم الروائي الحديث في القطر المغاربي عموما والجزائر خصوصا، أما عن أول رواية تونسية فقد كانت من حظ محمد العروسي المطوي سنة1956 تحت عنوان "**ومن الضحايا**"، بينما كانت "**في الطفولة**" لعبد المجيد بن جلون أول رواية مغربية نشرت سنة1957، لتلتحق ليبيا بركب الروايات مع رواية "**اعترافات إنسان**" بقلم محمد فريد سيالة سنة1961، وتعد رواية "**الأسماء المتغيرة**" لأحمد ولد عبد القادر أول نص موريتاني يصدر سنة1981 عن دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.[1]

لقد مهّدت هذه الروايات لانتشار الرواية المغاربية، التي رسمت الحياة بقوتها وضعفها، روت الأحداث بأفراحها ومآسيها، لتعرّف القارئ الغربي والمشرقي بالنص المغاربي، تحكي له قصة المنطقة وأبنائها؛ مزيج من أبناء يعرب ومازيغ، جمعتهم هذه الأرض الطيبة التي غدت بحكم موقعها الإستراتيجي ملتقى لثقافات عديدة، نهل منها المغرب العربي ليبرز للوجود بخصوصيات فريدة زاوجت الشرق بالغرب والصحراء الإفريقية بالبحر المتوسط وجبال الأطلس الممتد.

إنّ سحر المغرب العربي يكمن في خصوصيته الثقافية؛ التي أبدعت رواياته في نقلها خارج الحدود الجغرافية، لتحمل كل رواية في طياتها خلفيات حضارية ودينية وتاريخية، تجعل المترجم يتأرجح بين الحرفية والتكافؤ والتصرف، محتارا أي السّبل أضمن لنقل النص الأصلي إلى القارئ الأجنبي، وكيف يتعامل مع هذه الثقافة ويجسد بأمان كل ما يرمي إليه المؤلف من معان ودلالات إيحائية؟ وإجابة عن هذا السؤال سنحاول في هذا الجزء من البحث انجاز دراســة تحليلية للطــرائق والسبل التي اعتمدها المترجم الفرنسي"**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، في تعامله مع الخصوصيات الثقافية الواردة ضمن رواية "**في الطفولة**" للروائي المغربي والشاعر الدبلوماسي

---

[1] عقار عبد الحميد: الرواية المغاربية، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص24.

عبد المجيد بن جلون، خاصة مع اتساع الهوة بين الثقافتين الأصل والوصل وعدم وجود المكافئ اللغوي الثقافي الدلالي لمعظم المفردات الواردة ضمن هذه الرواية التي تعتبر ثرية من حيث احتوائها على عدد لا بأس به من الخصوصيات الثقافية، الخاصة ببلاد المغرب العربي عموما والمغرب خصوصا.

أولا : تقديم الرواية وتقديم نبذة عن حياة صاحبها

رغم الاختلافات البيبليوغرافية في تحديد أوّل نصّ روائي مغربي، إلاّ أنّ « *في الطفولة*» **لعبد المجيد بن جلون**، تعتبر أول رواية مغربية لتمتع هذا النصّ بكل مقومات الحبكة السردية وخصائص الكتابة الروائية؛ فهو نص يجمع بين المتعة الفنية وسرد الحقائق التاريخية، بالإضافة إلى حضور الآخر أي الغرب كعنصر أساسي وفاعل في عملية الحكي التي تتضمن ثنائيات تتباين بين الأصالة والمعاصرة، والمادة والروح، والتفسخ الحضاري في مقابل الاعتزاز بالهوية والدين والتشبث بالوطن، مما يذكرنا برواية "**الأيام**" لطه حسين و"**موسم الهجرة إلى الشمال**" للطيب صالح و**عصفور من الشرق** لتوفيق الحكيم....

ولقد نشر عبد المجيد بن جلون سيرته الذاتية " *في الطفولة*" أول الأمر في حلقات أسبوعية بمجلة " *رسالة المغرب*" سنة 1949، ليعاد نشر الرواية كاملة سنة 1957 عن مطبعة الأطلس بالمغرب. وتصور" *في الطفولة*" حياة الكاتب **عبد المجيد بن جلون** أثناء مرحلة طفولته، بكل ما تحمله هذه المرحلة من براءة وسذاجة وأحداث تتراوح بين المغامرة والخوف والاغتراب والتكيّف والجدّ والخمول والأمل والألم والحزن والفرح.

وتبدأ أحداث هذه الرواية في مدينة مانشستر بانجلترا؛ أين كان الكاتب يعيش في كنف عائلته الصغيرة المتكونة من والـــده التـــاجر المنفتح على الغرب ووالدته وأخته الصغيرة والمربية المراكشية الأصل التي تعمل على رعايته. وقد كانت هذه العائلة المغربية تتبادل الزيارات مع جيرانها آل باترنوس؛ العائلة الإنجليزية الهادئة التي طالما ارتاح لها الكاتب وأحبّها على عكس الزوار المراكشيين كثيري الصخب والثرثرة.

وفي هذا الفضاء المتسم بالإمبريالية والمادية، يعيش الكاتب مآسي عديدة كموت الأم الذي

يندمل جرحه بزواج الأب من المربية المغربية التي تغدو أمّا فعلية للطفلين من شدة حرصها واعتنائها بهما. ثم تقرر الأسرة العودة للاستقرار النهائي بمدينة فاس المغربية أين تقطن العائلة الكبيرة، ليجد الطفل نفسه في بيئة جديدة غريبة قريبة إلى البداوة والجهل، لا تمت بصلة للبيئة التي كان يعيش فيها؛ خاصة مع استنكار جده لكل تصرفاته ومظهره الخارجي الأجنبي البعيد كل البعد عن التربية العربية الإسلامية، إضافة إلى جهل هذا الطفل للغة العربية التي عانى كثيرا قبل أن يجيدها. ومع ذلك فإن هذا الجد كان يُكِن الحب الشديد لهذا الطفل الصغير ويلاعبه وينصت إليه، ليتأقلم الكاتب تدريجيا مع فضائه الجديد المتسم بالتخلف والجهل والاستغلال الاستعماري...

و في المغرب وبوفاة أخته وجده وزوجة عمه وإفلاس والده، يعيش الكاتب حالة نفسية سيئة تؤثر سلبا على صحته ، لكنه يجد ملاذا من هاته المآسي في لعب كرة القدم مع أطفال الحي والسيطرة على معلم الكتّاب الخاص بأطفال العائلة، ليظهر سريعا تفوقا في تعلم اللغة العربية وعلوم الدين ويتدرّج في مستويات التعليم ويلج جامع القرويين ويقرر السفر إلى مصر لإكمال دراساته الجامعية على غرار أصدقائه **عبد الكريم بن ثابت** و**عبد الكريم غلاب** اللذان سيغدوان من أهم أدباء المغرب على غرار **عبد المجيد بن جلون** الذي تنتهي صفحات طفولته بهاته الكلمات:« *وبعد، فإن قصة طفولتي يجب أن تقف هنا، وإن امتدادها هذا نفسه فيه كثير من التجاوز، ولكن لم يكن من اللائق وقف الحديث قبل انتهاء مرحلة، وقد انتهت المرحلة التي أتحدث عنها بسفري إلى مصر، ولذلك فإن من المناسب أن أمسك، فإن عالما ثالثا قد امتد أمامي لا أستطيع أن أزعم فيه أني كنت طفلا.*» [1]

وإذا انتقلنا إلى عتبة المؤلف، فإن **عبد المجيد بن جلون** من أهم الكتاب المغاربة المبدعين؛ جمع بين التأليف والصحافة والعمل الدبلوماسي. ولد في مدينة الدار البيضاء بالمغرب سنة 1919، ليرحل مع عائلته إلى مانشستر، ثم يعود مجددا إلى مدينة فاس المغربية ويستقر بها نهائيا كما سبقت الإشارة إليه. درس في الكتاب، فالابتدائي ثم جامع القرويين، لينتقل إلى مصر بعد ذلك لمتابعة دراساته الجامعية؛ أين حصل على الإجازة في

[1] عبد المجيد بن جلون: في الطفولة، مطبعة الاطلاس/ ميدي، الدار البيضاء، 1957، الجزء الثاني، ص.174.

الأدب العربي من جامعة القاهرة، ودبلوم المعهد العالي للتحرير والترجمة والصحافة. نشر العديد من مقالاته في مجلة "الرسالة المصرية"، كما نشر قصصه الأولى في مجلة "الثقافة المصرية". وعندما حصل المغرب على استقلاله، عاد إلى الوطن، ليتولى رئاسة جريدة "العلم"، ثم عمل سفيرا للمغرب في باكستان، ثم إطارا في وزارة الخارجية دون أن ينقطع عن الكتابة والإبداع. وقد توفي سنة 1981، مخلفا رصيدا أدبيا بارزا نذكر منه: مجموعته القصصية (وادي الدماء، هذه مراكش، مارس استقلالك، ولولا الإنسان)،وديوانه الشعري (براعم)، وكتاب (جولات في مغرب أمس). وكان آخر أعماله المنشورة قبل وفاته قصيدة بعنوان (زورق ينساب). [1] وقد حظيت سيرته الذاتية (في الطفولة) باهتمام منظمة اليونسكو التي تولت ترجمتها إلى لغات مختلفة، وكان المترجم "**فرانسيس غوان**" هو من تولى نقلها للغة الفرنسية. وقد أكد لنا ذلك خلال الحوار بقوله:« *بدأت الترجمة بطلب من بعض الأشخاص في المغرب؛ حيث كانت الفكرة تقتضي ترجمة روائع الأدب المغربي إلى اللغة الفرنسية. والبعض من هذه النصوص اقترحته منظمة اليونسكو للترجمة، وكانت رواية "في الطفولة" من ضمن هذه النصوص، كانت في المرتبة الثانية أو الثالثة.*» [2]

ثانيا: تقييم ترجمة العنوان

لا شك في أن العنوان الأصلي للرواية التي نحن بصدد دراستها، أي رواية "في الطفولة" **لعبد المجيد بن جلون**، يعكس بوضوح عالم النص، ويعطي القارئ فكرة مسبقة وملخصا سريعا عن محتوى هذه الرواية. وقد عمد المترجم "**فرانسيس غوان**" (**Francis Gouin**) إلى إتباع ذات المنحى محاولا تقديم عنوان يشد انتباه القارئ، وذلك من خلال صياغة عنوان يحافظ على البعد الدلالي للنص.

لقد تم وضع العنوان واختياره بعد إتمام العملية الترجمية للرواية، ونقلها من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية؛ حيث تصرّف المترجم في العنوان الأصلي "**في الطفولة**" ونقله إلى

---

[1] راجع عقار عبد الحميد: الرواية المغاربية، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص. 28.

[2] راجع الحوار الذي أجري مع المترجم فرانسيس غوان Francis Gouin ، الملحق رقم.01.

اللغة الفرنسية تحت عنوان: "**Enfance entre deux rives**"، مشيرا بذلك إلى البيئتين المختلفتين التي عاش فيهما الكاتب، بل وحتى الحضارتين المتمايزتين بكل ما تحملانه من تناقضات. و خلال اللقاء الذي أجريناه مع المترجم "**فرانسيس غوان**" (**Francis Gouin**)، شرح لنا كيفية صياغته لعنوان الرواية باللغة الفرنسية حيث قال:

« *بعد أن أنهيت ترجمة الرواية، وخلال حديث جمعني ببعض الأصدقاء من رجالات الأدب، رأينا أنّ العنوان باللغة الفرنسية (Au Sujet de L'Enfance) لا يفي الغرض المتوخى منه. وفي إحدى الأيام نصحني أحدهم بالإشارة إلى " الضفتين"؛ أي القطب الغربي والقطب الشرقي من حياة الكاتب، لأنّ ذلك من خصوصيات هذه الرواية وهو موضوع بالغ الأهمية بالنسبة لشعبنا (الشعب الأوروبي)؛ لذلك آثرنا الحفاظ على مفردة "طفولة" (Enfance) وأضفنا إليها ما يتسم بالتفرّد والأصالة من خلال عبارة " بين الضفتين" (Entre Deux Rives).* » [1]

ثالثا :دراسة تحليلية لترجمة الخصوصيات الثقافية الواردة ضمن الرواية :

لقد كانت الصورة التي تركتها في نفسه تلك الأحاديث قريبة من الصورة التي تركتها في نفسه الأحاديث التي سمعها عن الله جل جلاله. ص63 (الجزء الأول)

L'image formée en lui par ces conversations était proche de celle qu'il s'était faite de Dieu, qu'il soit exalté ! p59

أول ما يشد انتباهنا في هذه الجملة هو عبارة الله جلّ جلاله، وهي عبارة من صميم الديانة والثقافة الإسلامية، وتتردد في كثير من الأحيان على لسان المسلمين تعبيرا عن عظمة الله. وقد حاول المترجم الفرنسي الإتيان بالمكافئ الديني لهذه العبارة في اللغة الفرنسية، حتى يترك في نفس القارئ الأجنبي ذات الأثر والانطباع الذي تركته العبارة في نفس القارئ المغربي المسلم، ولتحقيق هذا الغرض استعمل عبارة Dieu, qu'il soit exalté التي يستعملها النصراني لتمجيد الله.

[1] راجع الحوار الذي أجري مع المترجم فرانسيس غوان Francis Gouin ، الملحق رقم.01.

لقد حاول المترجم نقل المعنى الأصلي نقلا يحدث ذات الأثر في نفس القارئ المتلقي الأجنبي مع الحفاظ على المعنى والأسلوب إن أمكن، ويؤكد كل من "**يوجين نيدا**" و"**شارل تابر**" **(Charles Taber) et (Eugene Nida)** على ضرورة محاولة إيجاد المكافئ الطبيعي لمضمون النص الأصلي في اللغة الهدف:

"*Translating consists in reproducing in the receptor language, the closest natural equivalent of the source language, first in terms of meaning and second in terms of style.*" (1)

« *تكمن العملية الترجمية في إعادة إنتاج المكافئ الطبيعي الأقرب للغة الأصل في اللغة الوصل، أولا من حيث المعنى وثانيا من حيث الأسلوب*». ترجمة

فالترجمة الحقة الناجحة حسب رأي الكثير من المنظرين، هي تلك التي لا يشعر المرء عند قراءتها بأنها ترجمة، بل يبدو النص وكأنه كتب بتلك اللغة خصيصا للقارئ الأجنبي وهذا ما فعله غوان حين حاول تقديم المكافئ الأقرب دينيا للعبارة العربية في اللغة الفرنسية من حيث المعنى والشكل، لأن جوهر الترجمة هو وظيفتها التبليغية، والترجمة التي لا تؤدي وظيفتها التبليغية والتي تنقل المعنى مشوها هي ترجمة ناقصة، لم تؤد الدور المنوط بها. ويؤكد كل من"**يوجين نيدا**" و"**شارل تابر**" أنّ :

"*Any thing which does not communicate the precise meaning of the original is a distortion*" (2)

« *كل ما لا ينقل المعنى الدقيق للأصل هو تشويه*». ترجمة

وقد تمكن "**فرانسيس غوان**" من تقديم المكافئ الطبيعي في اللغة الفرنسية أو بالأحرى في الديانة المسيحية لعبارة الله جلّ جلاله، آخذا بعين الاعتبار القارئ الفرنسي الأجنبي، دون تشويه معنى العبارة وقيمتها الدلالية، مزاوجا بين الأمانة للنص المصدر واحترام الثقافة المستقبلة والجمهور المتلقي.

---

(1) NIDA, Eugène et TABER, Charles: The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, helps for translators, vol II, 1969, p12.
(2) Ibid, p4.

إلاّ أنّه تجدر بنا الإشارة هنا، إلى أنّ ترجمة لفظ الجلالة الله إلى اللفظ الفرنسي Dieu فيه بعض الأخذ والردّ الذي نود توضيحه؛ فاللفظة الفرنسية تطلق عموما على الكائن الأسمى، مخلص العالم أي المسيح عيسى في الديانة النصرانية، وقد تفطن لذلك مترجمو مجمع الملك فهد للنص القرآني، مما جعلهم يرفقون ترجمتهم بشرح للفظة الـــلّـــه:

Allah : nous avons préféré conserver le mot arabe désignant « Dieu l'unique », car c'est ainsi qu'Il est désigné par le Coran. (1)

فلا وجود في اللغات العالمية للفظة مرادفة لاسم الجلالة (الله) واللغة العربية وحدها من استأثرت بهذه اللفظة، التي جرى في الدلالة على معناها مجرى الأعلام وكل ما ذكر في اشتقاقها وتصريفها وترجمتها لا وجه له من الصحة ولا دليل عليه(2). وأيّا كانت نية المترجم هنا، فإنه حافظ على المعنى الذي أراد الكاتب إيصاله إلى المتلقي، ونستبعد كل البعد أن تكون له نية مبيتة أو خلفية سيئة من خـــلال تعويض اسم الجلالة الله بـ Dieu لأنه قد سعى إلى تحقيق وتجسيد المعنى من خلال تقديم المكافئ الطبيعي للعبارة في الثقافة المستقبلة.

ينحني على التلميذ وهو يبتسم ويقول: لعلك تأخرت في أكل الكفتة والفلوس؟ ص159(الجزء الأول)

Il se penchait vers l'élève en souriant et disait : peut-être t'es-tu attardé à manger de la kefta et du poulet ? p136

في ترجمة هذه الجملة، نرى أن "**فرانسيس غوان**"، قد انتهج الحرفية في نقله لمفردة كفتة، التي وضعها في قالب لغوي فرنسي من خلال اقتباس المفردة عبر المحاكاة الصوتية، لتصبح kefta . وهذه المفردة لا تعني شيئا باللغة الفرنسية، لأنها كلمة عامية مغاربية عربية، تطلق على نوع من أنواع الأكل. وقد آثر المترجم هنا، الحفاظ على المفردة ونقلها حرفيا، لإضفاء صبغة محلية على ترجمته للرواية، خاصة ونحن نعلم أن المغرب مشهور في باقي البلاد الغربية بأطعمته وأكلاته ونكهاته المحلية (سحر المغرب). وتستطرد

(1) HAMIDALLAH Mouhammad : Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens, Complexe Roi Fahd pour l'impression du noble coran, Al-Madinah Al-Munawwarah, 2000, introduction.

(2) التجيني بن عيسى: ترجمة النص المقدس بين الرفض والقبول، مجلة المترجم، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، العدد الثالث، جامعة السانية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، أكتوبر– ديسمبر 2001، ص 125/124.

"**ماريان ليديرار**" (**Marianne Lederer**) في التحدث عن صعوبة نقل المفردات الثقافية من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف، مؤكدة:

« *Parmi les difficultés de la traduction les plus souvent mentionnées, on trouve les problèmes dits culturels… les habitudes vestimentaires ou alimentaires, les coutumes religieuses et traditionnelles mentionnés par l'original ne sont pas évidentes pour le lecteur de la traduction* » (1)

« نجد أن أكثر صعوبات الترجمة طرحا هي المشاكل المسماة ثقافية... فالعادات *المتعلقة باللباس أو الأكل، المعتقدات الدينية والتقاليد المذكورة في النص الأصلي، ليست واضحة بالنسبة لقارئ الترجمة.*» ترجمة

فالمجتمعات تختلف وتتمايز في عاداتها وتقاليدها، بل حتى في أبسط الأمور كاللباس وأنواع الأكل، وطريقة العيش، مما يسفر في كثير من الأحيان عن عقبات تواجه المترجم الذي قد لا يجد السبيل الأمثل لتفاديها، فيضطر إلى التصرف في حدودها بما يوافق انتظارات قارئه المحتمل، من خلال اختيار مفردات معينة لتوظيفها في النص، ويؤكد ذلك "**رومني**" (**Romney**) بقوله:

«*Dans bien des cas le traducteur doit décider s'il faut laisser telles quelles les références aux divers aspects culturels qu'il rencontre ou les transposer en les acclimatant. Son choix dépendra en grande mesure du public auquel il destine sa traduction.*» (2)

« *يضطر المترجم في كثير من الأحيان إلى تقرير ما إذا كان سيحافظ على الإحالات الخاصة بالجوانب الثقافية المختلفة التي تعترضه، كما وردت في النص الأصلي، أو ينقلها مع أقلمتها. والمؤكد أن اختياره مرتبط إلى حد كبير بالجمهور المتلقي للترجمة.*»

فالمترجم ينقل النص إلى شعب معين، وعليه أن يأخذ بعين الاعتبار خلال عملية الترجمة،

---

(1) LEDERER, Marianne. La traduction aujourd'hui -le model interprétatif-, Paris, Hachette-livres, 1994, P.122.
(2) ROMNEY, C., 'Problèmes culturels de la traduction d'Alice in wonderland en français', in Meta, journal des traducteurs, Septembre 1984, vol.29, n°3, Les presses de l'Université de Montréal, p.270.

الجمهور المتلقي للعمل الأدبي؛ وفي هذا الإطار يقول **بلمليح إدريس:** « *الفنان حين يبدع، إنما يبدع لقارئ معيّن يتصوره نوعا من التصور الفضفاض والعائم، أو يجرده من ذاته بعبارة علمية أكثر دقة، فينبعث بينهما سياق للتواصل والتفاعل*». [1]

وقد حاول المترجم أن يرفق نصه بشرح، يوضح فيه معنى مفردة كفتة في اللهجة العامية المغربية لمن يجهلها من القراء الأجانب، لكن هناك من لا يتفق تماما مع هذا النوع من الإجراءات، حيث يقول "**جورج مونان**" (**Georges Mounin**):

« *La note de bas de page est la honte du traducteur…* » [2]

« *إن الملاحظات الهامشية هي عار المترجم...*». ترجمة

إن مترجم رواية "في الطفولة"، لا يوافق كثيرا "**جورج مونان**" فيما ذهب إليه؛ حيث أكد لنا أثناء الحوار الذي جمعنا به أنه: « *أثناء الترجمة يعمل المرء بالاعتماد على زاده المعرفي، لكن عند عدم توفر المكافئ اللغوي لمفردة معينة، فإنه يبحث عن المكافئ الأقرب لتلك المفردة، ويرفقه بملاحظات في الهامش، بل ربما كانت أحسن طريقة هي ترك المفردة الأصلية على حالها.*» [3]

ما يمكن ملاحظته أيضا، هو أن المترجم نقل مفردة كفتة حرفيا إلى اللغة الفرنسية، لكنه في المقابل ترجم مفردة الفلوس بـ: poulet . وكما نعلم، فهذه المفردة في اللّهجة العامية المغربية أو الجزائرية، تحمل معنى الصوص باللغة العربية الفصحى؛ أي صغير الدجاج، وقد أراد المؤلف من خلال مفردة الفلوس التي كان يرددها شيخه في الكتاب، أن يفهم القارئ أن الأمر يتعلق بأكل الدجاج، وهذا هو المعنى الذي نقله المترجم، من خلال استعماله لمفردة poulet بدلا من poussin. ويتحدث "**فرانسوا ريشودو**" (**François Richaudeau**) عن تلك المفردات التي تحمل في طياتها أكثر من معنى فيقول:

---

(1) بلمليح إدريس: القراءة التفاعلية – دراسات لنصوص شعرية حديثة– ، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2000، ص.5.

(2) MOUNIN, Georges : Les Problèmes Théoriques de la Traduction, Gallimard, paris, coll. Bibliothèque des idées, 1963, préface.

(3) راجع الحوار الذي أجري مع فرانسيس غوان مترجم رواية "في الطفولة"، الملحق رقم01.

« *Chaque mot possède généralement plusieurs sens, le choix du signifié particulier au texte lu dépends des mots de la phrase qui entourent le mot concerné ; mais aussi des phrases précédentes, de la manière du sujet traité dans l'ouvrage, de l'école de pensée de son auteur ; et puis aussi du lecteur, de son niveau culturel, peut-être même de son humeur…*». (1)

« *يحمل كل لفظ في طياته عموما، معان مختلفة، واختيار دال معين للنص المقروء، يتوقف على مفردات الجملة التي تحيط بهذا اللفظ. لكن يتعلق الأمر أيضا بالجمل السابقة، بالطريقة التي عولج بها الموضوع في المؤلّف، مدرسة المؤلف الفكرية، وحتى القارئ ومستواه الفكري، ربما حتى مزاجه…* ». ترجمة

لقد اعتمد المترجم على السياق في تحصيله للمعنى الإيحائي للمفردة، فالفلوس في هذه الجملة لم يكن يعني صغير الدجاج، بل الدجاج نفسه.

ويمكن القول باختصار، أن المترجم "**فرانسيس غوان**" قد أحسن الخيار لدى تعامله مع مفردتي: الكفتة والفلوس؛ فالمفردة الأولى تم نقلها حرفيا عن طريق المحاكاة الصوتية، لانعدام مكافئها اللغوي في اللغة المستقبلة، ناهيك عن أنها اسم لأكلة، ومن المتعارف عليه أن الأكلات تحتفظ بأسمائها الأصلية؛ مثل بيتزا وكباب، وسوشي، وغيرها من الأكلات المختلفة التي حافظت على أسمائها المحلية رغم اختلاف البيئة التي تتبناها في لائحة طعامها. أما المفردة الثانية فقد تمت ترجمة المعنى الحقيقي الذي أراده المؤلف إلى مكافئه اللغوي في اللغة الفرنسية. هذا يؤكد أن المترجم "**فرانسيس غوان**" كان يهدف إلى نقل الثقافة المغربية، بكل مميزاتها وخصوصياتها الثقافية، إلى المتلقي في الضفة الأخرى الذي يتوق إلى فضاء الآخر بكل خصوصياته، من غير تغيير ولا تبديل، والحرفية هي العنصر الذي يضمن الحفاظ على العوامل المكونة للنص الأصلي والمجسدة لثقافته.

كنت أعرف أن آخر ما يمكن أن يقبله هو مساعدتي على الهرب من حفظ تنزيل العزيز العليم. ص166 (الجزء الأول)

…délaisser l'étude du Livre de Dieu était bien la dernière chose qu'il put encourager. P142

(1) LEDERER, Marianne. La traduction aujourd'hui -le model interprétatif-, Paris, Hachette-livres, 1994, P.36.

ما يتسنى لنا ملاحظته من الوهلة الأولى، هو اعتماد المؤلف في كتابته على عبارة منتقـــاة من صميم القرآن الكريـــم، ويرجع ذلك إلـــى التربية الدينية التي تحصّل عليهـــا **بنجلون** في طفولته؛ حيث عبّر عن كلمة " *قرآن*" بعبارة " *تنزيل العزيز العليم*"، التي اقتبسها من سورة غافر، الآية الكريمة رقم اثنان(02) التي جاء فيها: "*تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم*"، وقد ترجمها **محمد حميد الله** بـ:

« *La révélation du Livre vient d'Allah, le puissant, l'omniscient* »[1]

وقد اعتمد الفرنسي "**فرانسيس غوان**" في ترجمته نفس المنحى الذي اتخذه **بن جلون**، فلم يترجم العبارة إلاّ بعبارة، حيث ترجمها بـ Livre de Dieu رغم أنه كان في وسعه ترجمتها بمفردة coran التي كانت ستفي الغرض والمعنى، ناهيك عن استعماله لحرف التاج (majuscule) في بداية المفردتين Dieu و Livre دلالة على أهمية المفردتين وما تحملانه من دلالات عند العرب المسلمين. وقد أبلى المترجم بلاء حسنا حينما اختار أن تكون ترجمته على هذا النحو وهذا دليل على اطلاعه على ترجمات العرب المسلمين للقرآن الكريم ومفرداته، ودليل على معرفته ببعض من الثقافة الإسلامية، وقد يرجع ذلك إلى دراساته الجامعية لأنه حائز على ليسانس في علم اللاهوت (théologie) مما سمح له التعرف على الديانات السماوية الأخرى ومنها الإسلام.

إنّ القارئ العربي يدرك من الوهلة الأولى أن تنزيل العزيز العليم كناية عن كتاب الله، وأنّ العزيز العليم كناية عن الله سبحانه، وهذا ما أدركه المترجم الفرنسي الذي عايش المجتمع المغربي وعرف عنه الكثير فآثر ترجمة العبارة بما يكافئها، مراعيا العوامل خارج اللسانية التي يفرضها المقام الديني الثقافي، وقد أوّل العبارة بما يتطابق مع المعنى المنشود، ويوضح "**هنري ميشونيك**" **(Henri Meschonnic)** أهمية التأويل وضرورته في العملية الترجمية:

« *Tout traducteur doit recourir à l'interprétation comme une procédure majeure de l'opération traduisante* »[2]

---

(1) HAMIDALLAH, Mouhammad : Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens, Complexe Roi Fahd pour l'impression du noble coran, Al-Madinah Al-Munawwarah, 2000, p.467.
(2) MESCHONNIC, Henri : Poétique du traduire, Verdier, Paris, 1999, p.360.

« *يجب أن يلجأ كل مترجم إلى التأويل بوصفه أهم إجراء في العملية الترجمية.*» ترجمة

كما تجدر الإشارة إلى أنّ المترجم يتعامل مع مفردات وعبارات ضمن سياق معين، وعليه أن يأخذ بعين الاعتبار أفكار كاتب النص الأصلي، وفي هذا الإطار يقول كل من "**فيني وداربنلي**" **(Vinay et Darbelnet):**

« *Il faut considérer que le bon traducteur ne traduit pas seulement des mots mais la pensée qui est derrière et que pour cela, il se réfère constamment au contexte*»[1]

« *يجب اعتبار المترجم الجيّد هو ذاك الذي لا يترجم مجرد كلمات، بل ينقل الفكر الذي يكمن وراءها أيضا، ولذلك فهو يستند باستمرار إلى السياق*». ترجمة

واستناد المترجم "**فرانسيس غوان**" على السياق الذي وردت فيه عبارة " *تنزيل العزيز العليم*"، جعله يؤدي ترجمته بما يفي المعنى ويبتعد عن أي تشويه.

وفي يوم من أيام عاشوراء ظللت ألعب طول النهار... ص167 (الجزء الأول)

Un jour de Achoura je restais toute la journée à jouer… p143

إن أول ما يشد انتباهنا في هذه الجملة هو الحرفية التي اعتمدها المترجم في نقل مفردة عاشوراء التي تدل على مناسبة دينية إسلامية، وقد أرفق المترجم ترجمته بشرح وضعه في آخر الرواية يعرّف فيه المناسبة ويقدمها للقارئ الأجنبي، وفي الواقع لم تكن هذه المفردة الوحيدة التي أرفقها المترجم بشروح. وقد تحدث العديد من المنظرين والمهتمين بالترجمة عن تلك الشروح والهوامش التي يرفقها المترجمون بترجماتهم من أجل إيضاح ما قد يعتبره القارئ الأجنبي غريبا، وفي هذا الإطار يقول "**بول بنسيمون**" **(Paul Bensimon):**

« *C'est par rapport à la totalité de l'œuvre que le traducteur décidera d'expliquer, soit dans le texte même, soit par une note en bas de page (ou en fin de volume), une allusion ou un fait culturel dont l'opacité risque de nuire à l'intelligibilité du récit. Par contre, une traduction à*

(1) LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.79.

visée ethnologique apportera systématiquement un maximum d'informations sur la civilisation dans laquelle baigne l'œuvre étrangère. »[1]

« *يقرر المترجم تفسير إيحاء أو خصوصية ثقافية بالنظر إلى النص ككلّ، سواء في النص ذاته أو أسفل الصفحة (أو في آخر الكتاب)، لأنّ الغموض قد يسيء إلى وضوح الرواية. غير أنّ الترجمة ذات البعد الإثنولوجي بالمقابل ستجلب منهجيا قدرا أكبر من المعلومات عن الحضارة التي يسبح فيها العمل الأجنبي*». ترجمة

فالمترجم مجبر على إرفاق ترجمته بشرح يوضح أيّ خصوصية ثقافية أو غموض، قد يعترضان سبيل المتلقي ويؤثران سلبا على فهمه وإدراكه للنص. ويتم ذلك بإضافة ما يوضح المعنى؛ سواء في النص في حدّ ذاته أو بإرفاق النص بملاحظات هامشية أسفل الصفحة، ممّا يعين القارئ المتلقي على تجاوز المبهم والغامض.

كما أن النص الأصلي المرتبط أشد الارتباط بثقافة أهل اللغة المصدر، سيحمل معلومات أكثر وخصوصيات ثقافية أكبر وهنا سيتحتم على المترجم تقديم شروح ومعلومات إضافية. ويتحدث "**بيتر نيومارك**" عن التفسير فيقول: « *لا بد للمترجم أن يلجأ إلى التفسير حينما يكون جزء من النص مهما للتعبير عن قصد المؤلف، ولكنه ليس واضحا دلاليا بدرجة كافية.*» [2]

إنّ تركيز المترجم على تقديم شرح للمفردة العربية البعيدة كل البعد عن الثقافة الفرنسية دليل على إدراكه لأهمية الخصوصيات الثقافية الاجتماعية، وضرورة المحافظة عليها عند ترجمة نص روائي أدبي، لتقديم صورة واضحة ومكتملة عن عادات الشعوب ومناسباتها مثلما هو الحال هنا. ثم إنّه من الصعب في كثير من الأحيان إدراك معنى بعض المفردات حين ينعدم الإطار الثقافي الذي يعطيها كنها وماهية، ويتحدث "**يوجين نيدا**" **(Eugene Nida)** عن ارتباط المفردات بشحنة ثقافية تميّزها، فيقول:

---

(1) BENSIMON Paul, palimpsestes : traduire la culture, n° 11, Presse de la Sorbonne nouvelle, Paris, 1998, p.12-13.

(2) نيومارك بيتر : اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة، ترجمة. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ص. 74.

« *Les mots ne peuvent pas être compris correctement, séparés des phénomènes culturels localisés dont ils sont les symboles* » [1]

« *لا يمكن فهم المفردات بطريقة صحيحة بمعزل عن الظواهر الثقافية المتمركزة، التي تعتبر رموز لها.*» ترجمة

إذن تحمل المفردات شحنات ثقافية ودلالات إيحائية خاصّة، ومسميات المناسبات والأعياد في البيئات المختلفة، تؤكد أنّ تحصيل القيمة الدلالية لتلك المسميات والمفردات، لا يتسنى للقارئ إدراكه إلا من خلال الحرف. وهذا ما يؤكده "**ميشال فوكو**"(**Michel Foucault**):

« *La poétique de la traduction pour des raisons culturelles, philosophiques, religieuses, morales, poétiques va s'intéresser par conséquent à l'original.* » [2]

«*إنّ الشعرية التي تكتسبها الترجمة، لأسباب ثقافية وفلسفية ودينية وأخلاقية وشعرية، تهتم منطقيا بالمصدر*». ترجمة

ينبغي على القارئ أن ينتقل إلى اللغة المصدر، كي يدرك معنى النص ويفهم خلفيته الحضارية والاجتماعية؛ وهذا ما ذهب إليه المترجم "**فرانسيس غوان**" (**Francis Gouin**)، من خلال تقيده بالنص المصدر والحرفية مرة أخرى.

ومرت الأيام وأنا غافل عن الحروف القاسية التي كانت تنقش في اللوح المحفوظ.

ص170 (الجزء الأول)

Les jours passèrent ; j'étais inconscient des lettres funestes qui se gravaient sur la 'tablette gardée'. P145

نلاحظ مرة أخرى،اعتماد المؤلف المغربي **بن جلون** على عبارة مقتبسة من القرآن الكريم، ألا وهي عبارة " اللوح المحفوظ"، التي جاءت في سورة البروج، الآية الكريمة رقم اثنان وعشرون(22)، حيث قال الله عزّ وجلّ: « *بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ*».

(1) MOUNIN, Georges : Les problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, Paris, 1963, p237.
(2) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris, 1999, p.86.

مما لاشك فيه، أن الكاتب قد وظّف عبارة اللوح المحفوظ، بمثابة كناية عن جهله للغيب وما كانت الأيام تخفي في جعبتها من أحزان وقسوة؛ هذه الأحزان التي كانت مقدّرة عليه منذ الأزل. وقد انتهج المترجم "**فرانسيس غوان**" الحرفية في ترجمة هذه العبارة المقتبسة من النص القرآني، ولم يبتعد كثيرا في نقلها إلى اللغة الفرنسية عن **محمد حميد الله**، الذي ترجمها بـ:

« *Préserver sur une Tablette (auprès d'Allah)* » (1)

ومن الواضح أن، المترجم "**فرانسيس غوان**" يعرف النص القرآني إلى حدّ ما، وله طريقته في نقل الألفاظ والعبارات القرآنية من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، حيث أكد لنا خلال اللقاء الذي جمعنا به أنّ: « *معظم الكلمات العربية هي في الأصل مفردات قرآنية، لكن بعض المفردات تحيل بالفكر مباشرة إلى آية معينة، وفي تلك الحالة إن كان المترجم عارفا جيدا بالنص القرآني، فسينتبه لهذا الأمر وستتأثر ترجمته بذلك... بالنسبة لي، أرجع إلى القرآن باللغة العربية، لأبحث عن معنى الكلمة فيه، وأبحث عن استعمالاتها ومعانيها في القرآن نفسه...* » (2)

من خلال الحوار الذي جمعنا بمترجم رواية "في الطفولة"، تجلى لنا بوضوح أنه يُلزم نفسه نقل العبارات والمفردات ذات الأصول القرآنية نقلا دقيقا وأمينا تفاديا لتشويه معنى المفردة الأصلي. وهو بهذه الطريقة يسهم في نقل قارئه إلى فضاء "الآخر"، كما يسهم في الحفاظ على جمال المفردات القرآنية ذات الدلالات الإيحائية، من خلال نقل النص أو المفردة القرآنية بشكل يتطابق فيه معنى الترجمة مع المعنى الحقيقي للنص المصدر، وهذا ما يسميه "**شارل تابر**" و "**يوجين نيدا**" بـ: "التكافؤ الديناميكي" "Dynamic equivalence" (3).

إلاّ أن نقل أي مفردة من لغة إلى أخرى، يرتبط إلى حدّ ما بنوايا المترجم، وفي هذا الصدد يقول "**بيتر نيومارك**":« *هل يحاول المترجم أن يضمن نفس قوة التأثير الانفعالي*

(1) HAMIDALLAH, Mouhammad: Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens, Complexe Roi Fahd pour l'impression du noble coran, Al-Madinah Al-Munawwarah, 2000, p.590.

(2) راجع الحوار الذي أجري مع فرانسيس غوان مترجم رواية "في الطفولة"، الملحق رقم01.

(3) NIDA Eugène et TABER Charles : The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, 1969, p.22.

والإقناعي للأصل وأن يؤثر في القارئ بنفس الطريقة التي يؤثر بها النص الأصلي؟ أم هل يحاول أن ينقل النكهة الثقافية للنص الأصلي أي مزيجا من اللغة المميزة للكاتب والمصطلحات الإقليمية غير القابلة للترجمة؟»[1]

وقد حاول المترجم الفرنسي "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، أن يحفظ قوة تأثير عبارة اللوح المحفوظ التي ترتبط بالاعتقاد العربي المسلم؛ أي وسط ثقافي آخر بعيد كل البعد عن الثقافة الغربية المستقبلة. ومن المؤكد أن كفاءة المترجم اللغوية تلعب دورا في اختيار المفردات المناسبة والمكافئة معنويا، لكن من جهة أخرى، يجب الاعتراف ولو ضمنيا أنّ التحكم اللغوي وحده لا يكفي، بل يجب أيضا إدراك معاني الكلمات التي يصورها النص في السيـــاق. وفي هذا الإطـــار يقول "**إيتيان دولـــي**" و " **إيدموند كاري**" **(Etienne Dollet** et **Edmond Cary)**:

« *La traduction n'est pas une opération linguistique ; mais elle est une opération sur des faits liés à toute un contexte culturel* »[2]

« *ليست الترجمة مجرد عملية لسانية، بل عملية مرتبطة بالسياق الثقافي* ». ترجمة

وقد عبّر "**باولو روناي**" **(Paulo Rónai)** عن هذه الفكرة ببراعة، حيث قال :

« *Si l'on a un manuel de géologie hongrois à traduire en portugais, il est important de savoir le hongrois (et aussi le portugais), mais au moins autant la géologie* »[3]

« *لو أردنا ترجمة كتاب وجيز عن الجيولوجيا من اللغة المجرية إلى اللغة البرتغالية فمن الضروري إجادة المجرية (والبرتغالية على وجه السواء)، وعلى الأقل دراية مماثلة بالجيولوجيا*» ترجمة

فمن الضروري إذن، أن يكون علم المترجم باللغتين المترجم منها وإليها على قدر معرفته بالمجال الذي يترجم فيه، وقد أثبت "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** إلى حد الآن،

---

[1] نيومارك بيتر، المرجع المذكور سابقا، ص46.

[2] MOUNIN,George : Les problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, Paris, 1986, p.234.

[3] MOUNIN, George., op. Cit., p.234.

أنه يعرف الثقافة العربية المغربية الإسلامية ويحاول جاهدا الجمع بين الأمانة للنص المصدر واحترام الجمهور المتلقي، من خلال النقل الحرفي لخصوصية الثقافية الدينية.

لشد ما استغرب الآن كيف كان لك ذلك التأثير على صباي، وايم الله لو استيقظت اليوم ووجدتك مضطجعا إلى جانبي لما زدت على أن أوليك ظهري، وأستأنف النوم كأنك غير موجود. ص18 (الجزء الثاني)

Comme je m'étonne aujourd'hui de ton influence si forte sur mon enfance. Par Dieu, si, aujourd'hui, en me réveillant, je te trouvais couché à côté de moi, je me contenterais de tourner le dos et de me rendormir comme si tu n'existais pas. p161

يسترجع **بن جلون** في هذا المقتطف ذكريات خوفه الطفولي من البرق والرعد والصواعق؛ ليقسم بالله أن الشبح (الصواعق والرعد والبرق) لم يعد يثير في نفسه شيئا من ذاك الخوف الذي طالما اعتراه في صباه. وقد اعتمد في قسمه على عبارة: "وايم الله"، التي ترجمها "**فرانسيس غوان**" بـ "par Dieu" التي تفي ذات المعنى؛ أي القسم في اللغة الفرنسية.

إنّ براعة المترجم تكمن في مهارته اللغوية التي تمكنه من إيجاد المكافئ اللغوي الأقرب في اللغة الهدف، وفي هذا الصدد يقول "**بيتر نيومارك**":« *تكمن براعة المترجم في إلمامه الجيد بحصيلة كبيرة جدا من المفردات والإمكانات النحوية وفي قدرته على استعمال هذه الحصيلة بمهارة ومرونة وإيجاز*»[1]

ومن الملاحظ أنّ الفقرة المترجمة جاءت أطول من الفقرة الأصلية، ويعود ذلك إلى اختلاف اللغات، واضطرار المترجم في كثير من الأحيان إلى تفسير ما هو مبهم. ناهيك عن أنّ اللغات تختلف من حيث التركيب والأسلوب والنحو والصرف والإعراب، مع اختلاف القيم الدلالية للمفردات التي تتضمنها؛ وعن اختلاف اللغات وتمايزها يقول **السيرفي** عن **التوحيدي:** « *إنّ لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها،*

---

[1] نيومارك بيتر : اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة. ترجمة د. محمود إسماعيل صيني، الرياض، دار المريخ للنشر، ص.40.

وبحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها، ووزنها وميلها»[1].

فاللغات إذن تختلف، ونقل نص أو فقرة من لغة إلى أخرى يستوجب بعض الإطالة أو الحذف، وكما سبق ذكره نحن أمام ترجمة أطول من أصلها، وهذا ما يطلق عليه مفهوم الاستطالة (L'allongement)؛ الذي يعرّفه "**أنطوان برمان**" **(Antoine Berman)** بأنه:

« *L'allongement est la conséquence de la clarification et de la rationalisation qui exigent un dépliement de ce qui dans l'original est plié* » [2]

« تعدّ الاستطالة *نتيجة للتوضيح والعقلانية اللتان تقتضيان نشر كل ما هو غير مرئي في النص المصدر*». ترجمة

إنّ الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية تقتضي أحيانا نوعا من الإطالة التي تهدف إلى توضيح ما هو مبهم وغامض في النص المصدر.

فإذا أصابتني رعشة من البرد أخذوا يثقلونني بالأغطية ويدثرونني كأنّما يوحى إليّ.
ص21 ((الجزء الثاني)

Quand je me mettais à trembler de froid, on me surchargeait de couvertures et on m'enveloppait comme un prophète en extase.
p165

تلقى الكاتب **بن جلون** تعليمه على يد شيوخ الجامع القروي، مما جعل لغته مليئة بتعابير ومفردات وصور نابعة من صميم القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي، وهاهو يقتبس صورة جديدة من هذه الصور في حديثه عن الحمى التي كانت تعتريه وكيف كانت عائلته تغطيه لكن دون جدوى. فشبه طريقة لفه في الأغطية وتدثيره بها وشدة برده بالنبي المدثر الذي يوحى إليه. وقد يتبادر إلى الذهن في بادئ الأمر أنّ المترجم الفرنسي لرواية "في الطفولة"

---

[1] الديداوي محمد: الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، لبنان/ الدار البيضاء، 2000، ص.9.
[2] BERMAN Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'Auberge du lointain, Seuil, Paris, Novembre 1999, p56.

قد أخلّ بمعنى العبارة العام؛ إذ يتراءى للمرء أنّ وصف الوحي بـ extase لهو أمر مستبعد، وأنّ المكافئ اللغوي الطبيعي لهذه المفردة في اللغة الفرنسية هو *la révélation*، لكن عند القراءة المتمعنة نلاحظ أنّ المعنى الذي أراده الكاتب بن جلون إنما هو الشعور بالبرد الشديد الذي يؤدي إلى الهذيان وفقدان الإحساس بالواقع وكأنّ المرء ينتقل إلى عالم آخر، وقد أحسن فرانسيس غوان في نقل صورة الفتى المريض لذهن القارئ الأجنبي لأنّ مفردة *extase* في اللغة الفرنسية لا تعني فقط النشوة بل تفيد أيضا معنى: حالة شخص يجد نفسه منقولا بفعل إحساس روحاني خارج حدود العالم المعقول. [1]

إذن فقد أحسن المترجم نقل الصورة التي رسمها الكاتب بن جلون باستعمال مفردة extase كمكافئ لغوي لمفردة الوحي التي خدمت المعنى المنشود.

لقد جاءت الترجمة أوضح من الأصل، وهذا طبيعي لأنّ مهمة المترجم تكمن في إفهام قارئه وتوضيح الغامض والمسكوت عنه، وفي هذا الإطار يقول "**جون رنيه لادميرال (Jean René Ladmiral)**:

« *Il appartient au traducteur d'éclaircir l'implicite et d'estimer le bagage culturel de son destinataire, son lecteur potentiel* » [2]

« *من واجب المترجم توضيح الغامض، وتقدير الرصيد الثقافي للمرسل إليه؛ أي قارئه المحتمل*» ترجمة

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ مهمة المتلقي لم تعد مقصورة على مجرد الاستحسان والاستهجان، بل غدت مهمة بحث وتنقيب وإعمال للفكر، ويتحدث **محمود عباس عبد الواحد** عن المتلقي فيقول:« *وليس كلّ متلق يهتدي بفكره إلى وجه الكشف عما اشتملت عليه الصورة من معنى دقيق*»[3]

---

[1] Petit Larousse en couleurs, Librairie Larousse, Canada, 1980, p.370.

[2] DEPRE OSEKI, Inès : Questions de Traductologie, Université de Provence, Paris, 2001-2002, p.5.

[3] د. عبد الواحد محمود عباس: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي–دراسة مقارنة– ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص.100.

وهذا يعني أنّ المترجم مطالب بتوضيح النص المنقول أكثر من النص الأصل، لأنّ اكتساب المعنى يتطلب إمعان الفكر والعقل وليس كل قارئ كذلك، ويقول **عبد القاهر الجرجاني** عن المعنى: «*...المعنى لا يحصل لك إلاّ بعد انبعاث منك في طلبه، واجتهاد في نيله*» [1]

...وكان السبب في ذلك أن أبي وعمي قررا أن يحولا غرفة منعزلة عند باب المنزل إلى كتّاب يتلقى فيه أطفال العائلة ما تيسر من القرآن. ص24 (الجزء الثاني)

...la cause en fut une décision de mon père et de mon oncle : ils convertirent une pièce isolée, proche de l'entrée de la maison, en m'sid où les enfants de la famille apprendraient un peu de coran. p167

إن أول ما يلفت انتباهنا، في ترجمة هذه الفقرة، هو نقل مفردة كتّاب التي جاءت باللهجة العامية إلى m'sid. وكما تتسنى لنا ملاحظته، فإنه لا وجود لتطابق بين المفردتين في المعنى؛ لأنّ الكتّاب غير المسيد في اللهجة العامية، سواء المغربية أو الجزائرية أو التونسية. فالمفردة الأولى تعني: المدرسة القرآنية (école coranique)، بيد أن المفردة الثانية، تشير إلى معنى المدرسة الحكومية؛ وبالتالي لا نرى تطابقا بين معنى مفردة كتّاب في النص المصدر وبين المعنى الذي أسند إليها في النص الهدف. ناهيك عن أن مفردة m'sid، ليس لها معنى ولا وجود في المعجم الفرنسي؛ لأنها ببساطة جزء من اللهجة العامية في بلاد المغرب العربي، وتدل على المدرسة الحديثة بمختلف مراحلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وهي بالتالي نقيضة الكتّاب الذي يؤدي معنى المدرسة التقليدية القرآنية.

إن الدور المنوط بالمترجم، يكمن في إفهام القارئ؛ من خلال تخطي الحواجز اللغوية والثقافية، ونقل رسالة المؤلف الأصلي بجل القيم الدلالية التي تشكل كيان نصه وتثبت هويته. فالترجمة يجب أن تحترم المتلقي، وتحترم دلالات ومعاني النص الأصلي،

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

تفاديا لخلط المفاهيم والقيم المصدرية في ذهن القارئ المستهدف، الذي يجهل تلك الثقافة برمتها، وفي هذا الإطار يقول "**جورج مونان**" **(George Mounin)**:

« Ce qui compte, c'est surtout la langue, la culture, en un mot, la réception de la traduction dans la langue d'arrivée.» (1)

« *ما يهم بشكل خاص هو اللغة، الثقافة، في كلمة واحدة، تلقي الترجمة في اللغة الهدف.*»

ترجمة

إن هفوات المترجم وأخطاءه، لها شأن كبير في التأثير على المدلولات المراد نقلها، فالمترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، اتخذ القرار الخطأ من حيث استبدال مفردة من اللهجة العامية للغة المصدر بمفردة أخرى عامية من نفس اللغة، لا تؤدي ذات المعنى، ولا هي بالمرادف الصحيح لها. ومما لا جدال فيه، أن المترجم غالبا ما يتخذ إحدى القرارين؛ إما التمسك باللغة والثقافة المصدريتين على حساب اللغة والثقافة المستقبلة أو العكس، على حد تعبير "**وليام همبولت**" **(William Humboldt)**:

« *Chaque traducteur doit immanquablement rencontrer l'un des écueils suivants ; s'il s'en tiendra avec trop d'exactitude ou bien à l'original, aux dépends de la langue, de son peuple, ou bien à l'originalité de son peuple, aux dépends de l'œuvre traduite.*» (2)

« *يواجه كل مترجم حتما أحد الخيارين التاليين؛ إما يتمسك بالمصدر على حساب لغة شعبه، أو يتمسك بالأصالة على حساب النص المترجم.*» ترجمة

ويتعين على المترجم الإحاطة بالنص المصدر بطريقة صحيحة؛ من خلال الانتباه لدلالات ومعاني المفردات أثناء نقلها، احتراما للنص الأصلي وانتظارات القارئ الأجنبي. فالمترجم كما تصفه "**ماريان ليديرار**" **(Marianne Lederer)** :

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand colin, Paris, février 1999, p.76.
(2) BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.72.

« *Le traducteur est le gardien de la langue, le dernier bastion où se conserve l'intégralité du rapport entre les concepts et la langue ; pour s'exprimer de façon adéquate, il retrouve la réalité qui se cache derrière le mot.* » (1)

«*إنّ المترجم هو حارس اللغة، والمعقل الأخير الذي تحفظ فيه العلاقة بأكملها بين اللغة والمفاهيم؛ فهو يجد الحقيقة الكامنة وراء المفردة، ليعبّر بطريقة ملائمة.*» ترجمة

إن الترجمة الجيدة هي تلك التي يحس القارئ أنها كتبت من أجله وكأن المؤلف استرسل في كتابتها في لغة الوصل وليس العكس، فلا توحي البتة بأنها ترجمة، ليكتسب المضمون بذلك الأولوية على الشكل والأسلوب. ولهذا السبب كان أولى بالمترجم الاهتمام بتكافؤ القيم الدلالية للمفردتين، لا سيما وأنه كان في مقدوره نقل مفردة كتّاب حرفيا إلى اللغة الفرنسية وإرفاقها بشرح، أو ترجمتها بـ : école coranique ، التي كانت ستفي المعنى المنشود من طرف المؤلف.

فالمتلقي الأجنبي للنص المنقول، لا يعرف سوى النص المعروض أمامه، ومن واجب المترجم الحفاظ على معاني النص الأصلية، كما سبقت الإشارة إليه، لأن مهمة الترجمة كما يقول "**أمبارو هورداتو ألبير**" **(Amparo Hurdato Albir)** تتمثل في:

« *Dire la même chose que l'original.* » (2)

« *قول ما جاء في الأصل تماما* » ترجمة

ولو فعل المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** ذلك، لوفق في إفهام القارئ وفي أداء ترجمته، غير أن ترجمته حملت معان خاطئة، ولم يكن أمينا للنص المصدر .

وكان الفقيه الذي وقع عليه الاختيار شابا جبليا صعب المراس شديد القوة بالرغم من ضموره... ص24 (الجزء الثاني)

Le fqih sur qui se porta leur choix était un jeune Jebli têtu, très vigoureux malgré sa minceur…p167

---

(1) LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.114.

(2) HURDATO ALBIR, Amparo : 'La Fidélité au sens, un nouvel horizon pour la traductologie', Etudes Traductologiques -textes réunies par Marianne Lederer-, Cahiers Chompollion, sous la direction de Maurice Gravier, F.Paillart, Paris, Novembre 1990, p.75.

لا شك أنّ ما نلاحظه من الوهلة الأولى، هو الحرفية التي اعتمدها المترجم في نقل مفردتـــي الفقيه وجبليا، حيث آثـــر اقتراض هذه المفردات الـــعربية ووضعهـــا فـــي قـــالـــب لغوي فرنسي، في حين أنّه كان بالإمكان ترجمة fqih بـ instituteur de coran و jebli بـ montagnard، لكن المترجم فضّل نقل المفردتين نقلا حرفيا، لما تحمله هاتين المفردتين من دلالات خاصّة بالثقافة المغربية العربية وبيئتها الريفية ذات الطابع الجبلي المتسم بالشدّة والقسوة، مما ينعكس بوضوح على طباع وتصرفات أبناء المنطقة.

إذن فقد اعتمد المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** على منهج الحرفية، نظرا لصعوبة إيجاد المكافئ اللغوي الفرنسي الذي يحمل نفس الشحنة الدلالية لهاتين المفردتين. ومن أشد مؤيدي منهج الحرفية، "**والتر بنجامين**" **(Walter Benjamin)** الذي كان يوصي بالترجمة الحرفية للنحو والألفـــاظ في ملاحظته التي يقول فيهـــا: « *الجملة حائط يسد لغة الأصل، بينما الترجمة الحرفية هي الطريق المظلل إليها.* » (1)
فالمترجم مهما حاول إيجاد المكافئ اللغوي الفرنسي لهاتين المفردتين، فإنه حتما سيدخل الضيم على ما تحملانه من دلالات، ترتبط ارتباطا وثيقا بالحرف والتركيب الصوتي؛ ويؤكد "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)**، أنّ الحفاظ على جمال القيم الواردة ضمن النص المصدر لا يتحقق إلاّ من خلال الأمانة للحرف، بعيدا عن أيّ محاولة لإيجاد المكافئ الدلالي في اللغة المستهدفة، نظرا لصعوبة الجمع بين المعنى والحرف:

« *Si lettre et sens sont liés, la traduction est une trahison et une impossibilité.* » (2)

« *إذا كان الحرف والمعنى مرتبطين، تصبح الترجمة خيانة واستحالة* » ترجمة

فالحرفية بالنسبة لـ "**أنطوان بارمان**"، تضمن نقل المفردات بأمانة، حيث يسترسل مؤكدا :

(1) نيومارك بيتر : اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة. ترجمة د. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ص.15.

(2) BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.41.

« *La traduction est une traduction de la lettre, du texte en tant qu'il est lettre.*» (1)

« *إن الترجمة هي ترجمة الحرف؛ ترجمة النص بوصفه حرفا.*»

إنّ المعاني التي تحملها المفردات مرتبطة مباشرة بحرفيتها، والثقافة المصدرية هي التي تحدد معناها وتعطيها كنها وتحدد وظيفتها؛ فمعاني المفردات تبقى مبهمة بعيدا عن الوسط الثقافي الذي يغذيها. وفي هذا الإطار يقول "**جورج مونان**" (**Georges Mounin**):

« *Tout passe par le sens lui-même façonné par la culture.*» (2)

« كل شيء مرتبط بالمعنى الذي حددته الثقافة بدوره» ترجمة

لقد كان باستطاعة المترجم أن يكتفي بنقل المكافئ اللغوي لمفردة الفقيه من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية بـ maître de coran ، كما جاء ذلك في الشرح الذي أرفقه بهذه الكلمة وغيرها من المفردات التي انتهج الحرفية في ترجمتها، حفاظا منه على جلّ ما تحمله في طياتها من خصوصية ثقافية ودلالات إيحائية وسحر للحرف فيها، إلاّ أنه حافظ على المفردة في صيغتها العربية، لما تحمله من دلالات إيحائية تنعدم في اللغة المستهدفة . ليتخذ بذلك "**فرانسيس غوان**" موقفا وسطا بين النص والقارئ المتلقي من خلال تفسيره للغموض الذي يكتنف بعض العبارات والمفردات الغريبة عن الثقافة الفرنسية، لأن جوهر النص الأدبي يكمن في كل ما هو "ضمني" "implicite"، والمترجم المتمكن هو الذي وصفه **ابن خلدون** بقوله: « *المترجم من المفروض أن يكون ملما باللغة وإعرابها ونحوها، وما حفظ التراكيب والألفاظ والمصطلحات، إلا إغناء ووسيلة تكييفية بعد أن يفهم المقصود.*» (3)

إنّ اعتماد المترجم علـــى الحرفية، مكّنه من إعطـــاء مفردة fqih حقهـــا، لما تحمله هـــذه اللفظة في طياتها من دلالات تفوق بكثير مجرّد المعنى العام الذي قد يتبادر إلى ذهن المتلقي الغربي الذي لـــن يـــر في ترجمـــة هـــذه الـــمفردة بـــالتكـــافؤ إلـــى

(1) BERMAN, Antoine ., op. Cit, p.25.

(2) REDOUANE, Joëlle : Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger, p.34.

(3) الديداوي محمد : الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء/ لبنان ، 2000، ص.40.

maître d'école coranique أو maître de coran سوى صورة سطحية لمعلم يدرّس القرآن الكريم؛ بيد أنّ المفردة في واقع الأمر تحمل أكثر من دلالة، فمن الناحية الاجتماعية يعد الفقيه مدرسا لكتاب الله، يعمل على تحفيظه للأطفال الصغار، ومن النـــاحية الدينية فهو ملم بكتاب الله حفظا وفهما وشرحا، عالم بالأحكام الشرعية وأصول الدين. أما في بلاد المغرب العربي وإبّان تلك الفترة الاستعمارية العصيبة التي يروي أحداثها الكاتب والمتسمة بالجهل والأمية والفقر؛ فالفقيه في اللغة العامية المغربية هو ذاك الرجل البسيط الذي تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية، ليغدو المربي القائم على تلقين كتاب الله للأطفال وفق الطريقة التقليدية القديمة. لهذه الأسباب كان على المتلقي الفرنسي أن يتنصل من ثقافته الأم ويحاول الولوج إلى فضاء الثقافة المغربية بكل ما يحمله هذا الفضاء من دلالات وخصوصيات ثقافية. وعلى حد قول"**ماريان ليديرار**" **(Marianne : Lederer)**

« *Il ne s'agit pas seulement de savoir quel mot placer dans la langue d'arrivée en correspondance à celui de la langue de départ, mais aussi et surtout de savoir comment faire passer au maximum le monde implicite que recouvre le langage de l'autre.*» [1]

« *لا يتعلق الأمر فقط بمعرفة أي كلمة نضع في اللغة الهدف بالتطابق مع اللغة المصدر، إنما يتعلق الأمر بشكل خاص بمعرفة طريقة نقل العالم الضمني الذي تغطيه لغة الآخر لأقصى حدوده*» ترجمة

بعبارة أخرى، تكمن مهمة المترجم في توضيح الأفكار والمفردات الغامضة، توضيح المناطق العتمة في النص المصدر والتي تشكل صعوبة في فهم القارئ الأجنبي للنص المنقول.

ونلاحظ أن "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، كما سبق ذكره، قد التزم الحرفية أيضا في نقل مفردة جبلي، حيث حافظ على التركيب الشكلي للمفردة، وهذا يدل على معرفته الجيدة بالثقافة المغربية. فالمفردة لا تحمل مجرد معنى الشاب الآتي من

[1] LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.122.

الجبل، بل تتعداه إلى عدة معان إيحائية تحمل قيم الشعب المغربي الأصيل. لأن الجبلي هو رجل قوي، متمسك بأصالته وقيمه الاجتماعية، له طبع خاص يتميز بالشدة والشهامة والجود وتحمل قسوة الطبيعة، والصمود.

تغني الترجمة الثقافات المختلفة وتسمح للقارئ الأجنبي بالتعرف على "الآخر"، مما يسهم في قبوله والتعريف به، فلا يبقى "غريبا"؛ وهذا ما يطلق عليه "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)**: "L'éducation à l'étrangeté" "التربية على الغرابة"[1]

والمترجم في هذه الحالة، يأخذ دور الوسيط بين الثقافتين، ويساعد في التعريف بالآخر ونشر مفهوم "الغرابة"، وعن توسط المترجم يقول كل من "**باسل حاتم** و **إيان ميسون**" **(Basil Hatim and Ian Mason):**

« *What has a value as sign in one cultural community may be devoid of significance in another and it is the translator who is uniquely placed to identify the disparity and seek to resolve it.* » [2]

« *ما يشكل علامة لقيمة ما في مجتمع معين، قد يكون خاليا من أية أهمية عند مجتمع ثقافي آخر. والمترجم هو الشخص الوحيد الذي بحكم موقعه، يستطيع الحكم على التباين بين المصدر والهدف ويحاول تجاوزه.*» ترجمة

ومجمل القول، أنّ المترجم قد وفق في نقل مفردتي الفقيه وجبليا، واختيار منهج الحرفية ساعده كثيرا في المحافظة على القيمة الدلالية للمفردتين.

أصبح الناس ينظرون إلي على أنني من كبار الصعاليك، وخصوصا وجهاء الحي الذين كانوا يصعرون خدودهم جيدا وينفخون أبدانهم جيدا، ويحلون وجوههم جيدا بالنظرات الشزراء، ويحيطون أنفسهم جيدا بوقار مزيف، ثم يلتفون جيدا في مختلف الأردية قبل أن يخرجوا إلى الشارع... ص31 (الجزء الثاني)

On se mit à m'assimiler aux pires voyous, surtout les notables qui pinçaient les lèvres et bombaient le ventre, cultivaient les regards en coulisse et s'entouraient d'une fausse dignité, s'enveloppant

(1) BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.85.
(2) HATIM, Basil and MASON, Ian: Discourse and the Translator, Longman Group, UK, 1990, p 223.

soigneusement de vêtements superposés avant de sortir dans la rue… p173

لقد استعمل المؤلف عبارة تصعير الخد المقتبسة من القرآن الكريم، الواردة في سورة لقمان الآية الثامنة عشر(18) في قوله تعالى: *«ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كلّ مختال فخور»*

ولقد وظّف بن جلون هذه العبارة ليصف تصرف وجهاء الحي المتسم بالاستكبار واحتقار الناس، والنظر إليهم من علياء تهاونا بهم، وهذا التصرف فيه جفاء وتصنع، وهذا بالضبط ما ذهب إليه المترجم باستعماله لعبارة pinçaient les lèvres التي أراد من خلالها إيصال صورة الشخص المتصنع الجاف لذهن القارئ الأجنبي؛ ليحظى هذا الأخير بذات الصورة التي أراد **بن جلون** رسمها لوجهاء الحي في روايته وتقديمها للقارئ. فالمترجم حاول إيصال ذات الفكرة إلى قارئه الأجنبي من خلال تنسيق مفردات معينة بطريقة معينة لتفيد ذات المعنى والمغزى، وهذا ما يذهب إليه أتباع مدرسة اللسانيات الاجتماعية المهتمة بالعنصر الثقافي في الترجمة، وفي هذا الإطار يسترسل "**إيميل بنفينيست**" (**Emile Benveniste**):

« *Le sens des mots résulte précisément de la manière dont les mots sont combinés* » (1)

« *إنّ معنى الكلمات ينشأ بالضبط من طريقة تنسيقها* » ترجمة

فالكلمات عبارة عن دلالات لا تتجسد إلا وفق نظام ونسق معينين، والمعنى يتغير بتغير السياق العام الذي وردت فيه هذه المفردات. فالترجمة على حد قول "**جون دليسل**" (**Jean Delisle**):

« *La traduction est un exercice interprétatif, une analyse intelligente du discours* » (2)

« *الترجمة تمرين تأويلي، تحليل ذكي للخطاب* » ترجمة

وهذا بالضبط ما قام به المترجم هنا، من خلال تحليل الصورة التي أراد الكاتب تبليغها

---

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Questions de Traductologie, Université de Provence, Paris, 2001-2002, p.15.
(2) DELISLE Jean : L'Analyse du discours comme méthode de traduction, Ottawa, Presse de l'Université d'Ottawa, 1980, p.65.

للقارئ. وقد ترجم **حميد الله** هذه الصورة في الآية القرآنية بما يلي:

« *Et ne détourne pas ton visage des hommes, et ne foule pas la terre avec arrogance : car Allah n'aime pas le présomptueux plein de gloriole* » (1)

فالهدف الأول والأخير هو إيصال الصورة بكل وضوح وأمانة إلى ذهن المتلقي الذي ينتمي إلى ثقافة مغايرة، هذا القارئ الذي لا يهمه الشكل بقدر ما يهمه المضمون، إلاّ أنّ "**يوجين نيدا** و**شارل تابر**" يؤكدان ضرورة الحفاظ على الشكل والمضمون معا عند نقل النص المراد ترجمته في قولهما:

" *If the form in which a message is expressed is an essential element of its significance, there is a very distinct limitation in communicating this significance from one language into another* "(2)

« *إذا كان الشكل الذي ترد فيه الرسالة، عنصرا أساسيا لتحديد معناها، فإنّ هناك حدا كبيرا لإيصال هذا المعنى من لغة إلى أخرى*» ترجمة

كما أنّ المضمون لا يقل أهمية عن الشكل والأسلوب في تحديد معاني الكلمات، خاصة فيما يتعلق بالنصوص المقدسة؛ أين يأخذ المكافئ الديناميكي (Dynamic Equivalence) الأولوية مقارنة بالتناسب الشكلي (Formal Correspondance)(3).

لا يخفى على أحد، أنّ لغة القرآن ومعانيه تحمل قدراً لا نهاية له من الفهم والتدبر وتوليد المعاني والاسترسال في النظر دون شطط أو اعتداء على الحدود، ويعود ذلك إلى طبيعة القرآن نفسه، على حد قول **عمر شيخ الشباب:** « *هذا القرآن معجز أن يؤتى بمثله لأن المرسل هو الأحد العالم بكل أسرار اللغة وما فيها وبكل أسرار الكون وما فيه وبكل ما لدى الإنسان وما فيه.*» (4). فالقرآن كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير،

(1) HAMIDALLAH, Mouhammad: Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens, Complexe Roi Fahd pour l'impression du noble coran, Al-Madinah Al-Munawwarah, 2000, p.745.
(2) NIDA Eugène et TABER Charles: The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, 1969, p.5.
(3) NIDA Eugène et TABER Charles, Op. Cit., p.22.
(4) شيخ الشباب عمر: فصول في التأويل ولغة الترجمة، دار الحصاد، دمشق، ط1، 2003، ص.121.

لذلك فإن محاولات ترجمة القرآن أو الصور والتعابير التي يحتوي عليها، ليست حتماً بقرآن وإنما ترجمة لتفسير معانيه. وهذا يحتاج إلى علوم كثيرة جداً وكفاءات خاصة، لأن هذه الرسالة الإلهية الإرسال قد أعجزت أهل اللسان العربي ذاتهم فكيف بغيرهم من أهل اللغات الأخرى.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن أهمية الترجمة تكمن في وظيفتها التبليغية، خاصة فيما يتعلق بالنصوص المقدسة، والمترجم "**فرانسيس غوان**" (**Francis Gouin**)، قد نقل الصورة التي اقتبسها المؤلف **بن جلون** في روايته عن النص القرآني الكريم بكل أمانة ووضوح، من غير أي تشويه أو حذف. وقد أكد لنا خلال اللقاء الذي جمعنا به، أنه يحاول تفادي تشويه معاني المفردات الدينية، من خلال الحفاظ على المعاني والقيم التي تنطوي عليها في لغتها الأصلية، ونقلها بكل أمانة، احتراما لديانة الآخر:« *لا نترجم المفردة التي تحمل شحنة دينية، إلا بمفردة تحمل ذات الشحنة في اللغة الأخرى، وليس بالمكافئ اللغوي المنمّق*، حتى *نؤكد للمتلقي أن الأمر يتعلق بالمجال الديني للثقافة المصدرية*». [1]

رأيت أبي وأخي الكبير يطرقان الباب ويطلبان شيئا اسمه "<u>الطريق</u>" ثم يغطيان وجهيهما ويخترقان ساحة المنزل... ص54 (الجزء الثاني)

Je vis mon père et mon grand frère frapper à la porte et demander quelque chose qu'ils appelaient <u>'le passage'</u> p194

يتحدث المؤلف **بن جلون** في هذه العبارة، عن إحدى العادات التي كانت سائدة في الماضي، في المجتمعات العربية عموما، ألا وهي عادة طلب "الطريق" للدخول إلى المنزل. فكما نعلم، كانت الأسرة سواء الجزائرية أو المغربية، تعيش تحت سقف بيت واحد في الريف، أما في المدينة فكانت العائلات المتوسطة الحال تسكن بيتا واحدا؛ يتسم باتساع حجمه واحتوائه على طابقين، يتوسطه فراغ كبير في الوسط يعرف بـ "وسط الدار"، كانت النساء تتجمع فيه للتسامر والحديث أو لقضاء أعمالهن المنزلية؛ لذلك اقتضى

[1] راجع الحوار الذي أجري مع المترجم فرانسيس غوان Francis Gouin، الملحق رقم.01.

العرف من الرجال أن يستأذنوا قبل الدخول، احتراما لتعاليم الدين الإسلامي التي توجب منهم ذلك، ناهيك عن احترام خصوصيات المرأة وإعطائها فرصة وضع خمارها، أو الدخول إلى غرفتها. وقد وردت إشارات كثيرة عن هذا الموضوع في الروايات المغاربية، وكانت رواية "الدار الكبيرة" للكاتب الجزائري **محمد ديب** قد تناولت ذلك.

لقد صورت الرواية العربية عموما والمغاربية بشكل خاص الثقافة المحلية، ونقلتها بوضوح إلى المتلقي الأجنبي الذي يجهل الكثير عن الآخر. وفي هذا الصدد يقول " **بورشي لويس**" **(Porcher Louis)** :

« *Toute langue véhicule avec elle une culture dont elle est à la fois la productrice et le produit*.» (1)

« *تنقل كل لغة ثقافة معينة، هي في الوقت نفسه منتجتها ونتيجتها*». ترجمة

ونـــلاحظ أن الـــمترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، قد نقل مفـــردة الطريق إلى ما يقابلها معنويا في اللغة الفرنسية: le passage. وهي ترجمة مقبولة إلى حد ما، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار رأي كل من "**جون بيار فيني**" **(Jean Pierre Vinay)** و "**جون داربلني**" **(Jean Darbelnet)** في موضع حديثهما عن التكافؤ :

« Il est possible que deux textes rendent compte d'une même situation en mettant en œuvre des moyens stylistiques et structuraux entièrement différents.» (2)

«من الممكن أن يعبر نصان عن نفس الوضعية، باستعمال وسائل أسلوبية وبنيوية مختلفة تماما». ترجمة

فالترجمة بالتكافؤ هي الحل الأنسب في رأيهما لأنها:

«*Equivalence-oriented translation as a procedure, replicates the same situation as in the original, whilst using completely different wording.* » (3)

(1) PORCHER, Louis : Le Français langue étrangère, Hachette éducation, Paris, 1995, p.53.
(2) VINAY. J et DARBELNET.J: Stylistique comparée du français et de l'anglais, méthode, Didier, Paris, Bibliothèque de stylistique comparée, 1977, p.52.
(3) KENNY, Dorothy: Routledge Encyclopaedia of Translation Studies, edited by Mona Baker, Routledge, London / New York, 1998, p.342.

« باعتبار التكافؤ أحد إجراءات الترجمة، فإنه يعيد نسخ نفس الوضعية الأصلية، مع استخدام مفردات مختلفة تماما» . ترجمة

صحيح أن التكافؤ يضمن نقل المعاني، إلاّ أنه في مثالنا هذا المتعلق بترجمة مفردة الطريق التي تحمل في طياتها شحنة ودلالات ثقافية خاصة بالعالم العربي دون غيره، كان من الأحسن الحفاظ على حرفية المفردة؛ لما تحمله من قيم دلالية تعبر عن ظاهرة ثقافية، بعيدة عن ذهن المتلقي الأجنبي وتستوجب الحفاظ على الحرف أثناء نقلها، للتعريف بالآخر، وتجسيد قيمه. وهذا لا يتحقق إلاّ من خلال نقل عنصر الغرابة الذي يلج المتلقي بفضله إلى عالم "الآخر" ويتعرف على مختلف جوانبه. وفي هذا الإطار يقول "**والتر بنجامين**" **(Walter Benjamin)**:

« La vraie traduction est transparente, elle ne cache pas l'original, n'offusque pas sa lumière, mais c'est la pure langue comme renforcée par son propre médium, qu'elle fait tomber d'autant plus pleinement sur l'original.» [(1)]

«إنّ الترجمة الحقة هي الترجمة الشفافة التي لا تخفي الأصل ولا تطفئ نوره، بل هي اللغة الصافية المعززة بوساطتها الخاصة، والتي تسقط كلية على النص الأصلي.» ترجمة

بعبارة أخرى، لا تكمن مهمة المترجم في مجرد نقل النص المصدر إلى اللغة الهدف، بل هو مطالب بعدم الإساءة إلى الأصل، وعدم إنقاص قيمته أو تشويه خصوصياته الثقافية، ويؤكد ذلك "**رودلف بانويتز**" **(Rudolf Pannwitz)** بقوله:

« Nos traductions, et même les meilleures, partent d'un principe erroné… Elles ont beaucoup plus de respect pour les usages de leur propre langue que pour l'esprit de l'œuvre étrangère. L'erreur fondamentale du traducteur est de conserver l'état fortuit de sa propre langue, au lieu de se laisser violemment ébranler par la langue étrangère. Surtout quand il traduit d'une langue très lointaine, il lui

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand colin, Paris, février 1999, p104.

faut remonter aux derniers éléments de la langue même, où mot, image et ton ne font qu'un ; il doit élargir et approfondir sa langue grâce à la langue étrangère… » [1]

« إن ترجماتنا، وحتى أجودها تنطلق من مبدأ مغلوط فيه... فهي تحترم بشكل مفرط استعمالات لغتها الخاصة، أكثر من احترام روح النص المترجم. ويكمن خطأ المترجم الأساسي في محاولة الحفاظ على الحال الطارئ للغته، بدل أن يتركها تتزعزع بقوة من طرف اللغة الأجنبية. خصوصا حينما يترجم من لغة بعيدة عن لغته؛ حيث يتحتم عليه الرجوع إلى عناصر اللغة المختلفة، أين تتحد المفردة بالصورة والنبرة. لذلك ينبغي على المترجم توسيع وتعميق لغته بفضل اللغة الأجنبية... » ترجمة

من هنا، تبرز ضرورة الحفاظ على كل ما يرتبط بهوية اللغة المصدر وبالتالي الحفاظ على خصوصيات النص الأصلي، لأن المفردات تحمل قيما ودلالات خاصة بلغتها، والحرف يلعب دورا كبيرا في تحديد هاته القيم والمعاني، فقد تحمل المفردة الواحدة معان مختلفة باختلاف اللغات والثقافات والسياق الذي ترد فيه، لهذا يؤكد "**جورج مونان**" (**Georges Mounin**):

« *Pour traduire il ne suffit pas de connaître les mots, il faut connaître les choses dont parle le texte à traduire.*» [2]

« حتى نترجم لا يكفي معرفة الكلمات فقط، بل يجب معرفة الأشياء التي يتحدث عنها النص أيضا». ترجمة

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المعنى الحقيقي للمفردات التي تحمل في طياتها شحنة ثقافية يكمن في الحرف، ويطلق "**أنطوان بارمان**" (**Antoine Berman**) على هذا النوع من التمسك بنقل القيم الاجتماعية والخصوصيات الثقافية بالترجمة المتمركزة عرقيا " la traduction ethnocentrique". والملاحظ في ترجمة "**فرانسيس غوان**" (**Francis Gouin**) هذه المرة، هو ترجمة المفردة بما يكافئها لغويا، بالرغم من أن مفردة الطريق في سياق الرواية تنطوي على شحنة ثقافية أبعد من مجرد معنى الطريق أو الممرّ أو

(1) Ibid., p.105.
(2) MOUNIN, Georges : Linguistique et Traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles, P.44.

المسلك العادي. ومما لا شك فيه، أن من اللغات ما يأبى إدراج تغيير على أنماطه اللغوية، ويفضل الاكتفاء بترجمة مفردات النص الأصلي بما يكافئها في اللغة الهدف، ويصف "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)** هذا النوع من الرفض بقوله:(1)

« …toute trace de la langue d'origine doit avoir disparue…la traduction doit être écrite dans une langue normative. » (2)

« يجب أن يختفي كل أثر للغة المصدر... ينبغي كتابة الترجمة بلغة عادية». ترجمة

إلا أن هذا النوع من الترجمات ينقص من القيمة الإيحائية للمفردة الأصلية، بالرغم من ترجمة المفردة بمكافئها اللغوي الصحيح. وهنا ينبغي التذكير بأن الترجمة بالتكافؤ ليست أحسن الحلول لنقل اللهجات العامية أو الخصوصية الثقافية، لأنها تسهم في إفقار المفردة من الناحية الدلالية.

إذن، يمكن القول أن المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، لم يكن أمينا كفاية لقصد المؤلف وللثقافة المصدرية، خاصة أنه أكد لنا خلال اللقاء الذي جمعنا به؛ أن مترجم النص الأدبي يجب أن ينقل رسالة النص الأصلي وإحساسه، وإلاّ فستكون ترجمته سيئة وخائنة(3). فالوفاء للحرف يعني الأمانة للمعنى، والمترجم هذه المرة لم يكن أمينا لقصد المؤلف الأصلي وللقيم الثقافية للغة الأصلية.

أما محتويات الغرفة فصندوق كبير أسود اللون، عليه أوراق متسخة وكتب صفراء، وحصير ثان غير الذي كنا نجلس عليه وجلد خروف قديم بجوار الباب ثم شمعة تراكمت قطراتها على جانبيها، فبدت كأنها الدموع المتحجرة، ثم كانون به نار ص57 (الجزء الثاني)

La pièce contenait un grand coffre noir recouvert de papiers sales et de livres jaunis, deux nattes en plus de celle sur laquelle nous étions assis, une vieille peau de mouton près de la porte et une bougie entourée de ses coulures de cire comme de larmes pétrifiées ; puis un kanoun allumé… p195

(1) BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.34.
(2) BERMAN, Antoine. Op, Cit., p.35.
(3) راجع الحوار الذي أجري مع المترجم فرانسيس غوان Francis Gouin، الملحق رقم.01.

إن أول ما يشد انتباهنا في ترجمة هذه الفقرة، هو طول الترجمة مقارنة بأصلها، ويعود ذلك إلى اختلاف اللغات من حيث الخصائص التركيبية والنحوية والصرفية؛ فتأتي الترجمة عادة أطول من أصلها، و هذا ما يؤكده "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)** بقوله:

« *Toute traduction est tendanciellement plus longue que l'original.*» (1)

« *تميل كل ترجمة إلى أن تكون أطول من أصلها*» ترجمة

ولا يختلف كثيرا ""**يوجين نيدا**" **(Eugene Nida)** عن "**بارمان**"، حيث يؤكد أن:

« *Une bonne traduction est toujours plus longue que son original* » (2)

« *تكون الترجمة الجيدة أطول من أصلها دائما*» ترجمة

لكننا نتخذ على المترجم عدم استيعاب معنى الجملة التالية: وحصير ثان غير الذي كنا نجلس عليه؛ فبالرغم من بساطة التعبير ووضوحه، إلاّ أن المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، قد أخطأ في فهم قصد المؤلف، وذهب في ترجمته إلى قول: Deux nattes en plus de celle sur laquelle nous étions assis ، ويؤكد على أهمية الدقة في نقل المعنى بقوله: "**فاليري لاربو**" **(Valery Larbaud)**

« *Avant et par-dessus tout l'exactitude*» (3)

« *أولا وقبل كل شيء، الدقة*». ترجمة

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المترجم لو لا ارتكابه لهذا الخطأ المعنوي، لكانت ترجمته جيدة وصحيحة؛ حيث أنه عمد على انتهاج ترجمة كلمة بكلمة في نقل جل العبارة، مستبدلا المفردات العربية بما يكافئها في اللغة الفرنسية، وهذا ما يتوافق مع النزعة اللسانية في الترجمة، أين يتم تعويض المفردات في اللغة المصدر بما يقابلها في اللغة الهدف ويؤدي معناها. وفي خضم حديثنا عن الجانب اللغوي في الترجمة، من المهم أن ندرك أن اهتمام القارئ يتعدى بكثير مجرد الاهتمام بالجانب اللغوي للترجمة؛ فهو في توق إلى اكتشاف الآخر، والولوج إلى فضائه. وفي هذا الإطار يقول "**بيتر نيومارك**":« قد

(1) BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.34.
(2) REDOUANE, Joëlle : Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger, p.165.
(3) MESCHONNIC, Henri : poétique du traduire, Verdier, Paris, 1999, p.361.

يصف العمل الأدبي ثقافة غريبة عن خبرات قارئ الترجمة، تلك الثقافة التي يرغب المترجم في تعريف قرائه بها، بوصف الموضوع ذو جاذبية خاصة»[1]. والسبيل الأمثل لوصف تلك الغرابة، يكمن في انتهاج الحرفية التي تمكن القارئ من التعرف على ثقافة الآخر وتوسيع مداركه، ويصف "**ألان**" **(Alain)** الحرفية على أنها أساس الترجمة وروحها، فيقول:

« *Le littéralisme est le cœur passionnant et difficile du traduire.*» [2]

«إن الحرفية هي *القلب النابض والصعب للترجمة*» ترجمة

وما يسهم بشكل واضح في نقل الثقافة المصدرية، هو اعتماد المؤلفين في رواياتهم على اللهجة العامية لنقل بعض الصور الخاصة بالثقافة المحلية. وقد لجأ المؤلف **بن جلون** في كثير من الأحيان إلى هذا الأسلوب، من خلال التركيز على اللهجة العامية العامية المغربية في كتابته، والتي تمثلت هذه المرة في مفردة الكانون التي نقلها المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، نقلا حرفيا. ويتحدث "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)** عن اللهجات المحلية، بقوله:

«*La langue vernaculaire est par essence, plus coronelle, plus iconique que la Koinê, la langue cultivée…Seules les Koinês, les langues cultivées peuvent s'entre traduire* » [3]

«*إن اللغة العامية بجوهرها أكثر جسمانية وأكثر أيقونة من اللغة الكونية، اللغة المثقفة… وهته الأخيرة فقط تصلح للترجمة فيما بينها*». ترجمة

إذن لا يمكن بأي حال ترجمة اللهجات إلى لغات أخرى، لأنها ترفض الترجمة، ويستوجب على المترجم نقلها حرفيا إلى اللغة المستهدفة. فاللهجة العامية أو الدارجة تحمل في طياتها مفردات ثقافية خاصة بالشعب والثقافة المحلية، وبذلك تدخل مفرداتها في

---

[1] نيومارك بيتر : اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة، ترجمة. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ص28.

[2] BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p25.

[3] Idem, p.64.

إطار ما يسمى "cultural words" "المفردات الثقافية"، والتي يعرفها "**فينوتي**" **(Venuti)** على أنها:

« *The concept of ''cultural words'' in translation has come to refer to words specific to a certain culture/language, and for which no equivalents are available in another language.* »(1)

« *يدل معنى "المفردات الثقافية" في الترجمة، على المفردات الخاصة بثقافة/ لغة معينة؛ والتي لا وجود لمكافئ لها في لغة أخرى.*» . ترجمة

وتذهب "**ماريا تيموزكو**" **(Maria Tymoczko)** أبعد من ذلك؛ في عرضها للمفردات الثقافية والصعوبات التي تعترض سبيل المترجم جراءها، فتقول:

« *Translators are presented with aspects of the source culture that are unfamiliar to the receiving audience, elements of the material culture (such as foods and tools), social structures (including customs and laws), features of the natural world (weather conditions, plants and animals), and the like; such features of the source culture have often no equivalents in the receptor culture.* » (2)

« *يجد المترجمون أنفسهم أمام مظاهر الثقافة الأصلية غير المألوفة للجمهور المتلقي؛ عناصر خاصة بالثقافة المادية (مثل الطعام والآلات)، التركيبات الاجتماعية (بما في ذلك، العادات والقوانين)، سمات العالم الطبيعي (حالات الطقس، النباتات والحيوانات)، وما شابه. إن مثل هذه الخصوصيات المتعلقة بالثقافة المصدرية، ليس لها غالبا مكافئات في الثقافة المستقبلة*». ترجمة

بعبارة أخرى، يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار "المفردات الثقافية"، عند نقله لمختلف النصوص من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف؛ لما تحمله هذه المفردات من

(1) JAMOUSSI, Rafik ,'Cultural Words Revisited' , Traduire la langue Traduire la culture, IFCRLM, Sud Editions/ Maisonneuve et Larose, Tunis/ Paris, 2003, p.109.
(2) JAMOUSSI, Rafik, Op. Cit, p.112.

شحنات ثقافية وإيحاءات، وهي تأتي في غالب الأحيان باللهجة العامية التي تعطي النصوص الأدبية صبغة خاصة وسحرا.

ليسكنني أكثر سكان عبقر رعونة وجموحا ص58 (الجزء الثاني)

Va pour les plus fous et les plus terribles de tout Abkar ! p196

في ترجمة هذه الجملة، نلاحظ أن "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، قد صادف مرة أخرى مفردة خاصة بالثقافة العربية وهي مفردة: عبقر؛ التي ترتبط ارتباطا وثيقا بعالم الجن عند العرب، ولأن المفردة خاصة بالثقافة العربية فقد لجأ المترجم إلى انتهاج الحرفية لنقلها. وعبقر في الثقافة العربية هي اسم لمكان أو بالأحرى لواد في جزيرة العرب، كانت القوافل تمر فيه، وكان العرب القدامى يدعون أنه موطن الجن ومسكنهم.

فلكل شعب أساطيره ومعتقداته الخيالية الراسخة في ذهنه؛ فالشعب الاسكتلندي مثلا يؤمن بوجود وحش في أعماق بحيرة اللوخناس، والشعب الهندي يؤمن بمقدرة نهر الغانج على تطهير الأجسام والأرواح؛ فالكلمات تستند إلى خلفيات حضارية، وترجمة المفردة الواحدة أحيانا تستدعي الإلمام بثقافة شعب بأكمله. وفي هذا المضمار تقول " **دو ستاييل**" **:(M^{me} de Staël)**

« *Les nations doivent se servir de guide les unes aux autres, et toutes auraient tort de se priver des lumières qu'elles peuvent mutuellement se prêter. Il y a quelque chose de très singulier dans la différence d'un peuple à un autre : le climat, l'aspect de la nature, la langue, le gouvernement, enfin surtout les événements de l'histoire, puissance plus extraordinaire encore que toutes les autres, contribuent à ces diversités.* » [(1)]

« يجب أن توجّه الأمم بعضها، وستكون على خطأ إن حرمت أمة أخرى من المعارف التي بالإمكان تشاركها. فهنالك شيء خاص جدا في اختلاف شعب عن آخر؛ من مناخ، ومظهر للطبيعة، واللغة، والحكومة، وبشكل خاص الأحداث التاريخية؛ هذه القوة العجيبة التي تسهم بشكل كبير، أكثر من العناصر الأخرى في صنع التباين.». ترجمة

(1) SIMON, Sherry : 'Antoine Berman ou l'absolu critique', Revue TTR (traduction, terminologie, rédaction), volume14, n° 2, canada, 2001, p. 33.

إن الأحداث التاريخية، تلعب دورا كبيرا في صنع أمة من الأمم، وتسهم في بناء ثقافتها ومعتقداتها؛ ومفردة عبقر خير دليل على ذلك، لارتباطها بتاريخ معين، صنعها وصنع أسطورتها، كما أن مثل هذه المفردات مرتبطة أشد الارتباط بالحرف الذي يمنحها إيحاءات ومعان خاصة. تقول "**جويل رضوان**" **(Joëlle Redouane)** :

« *Chaque mot dans chaque langue, a sa propre histoire et le sens ne peut être rendu qu'en tenant compte du contexte social.*» (1)

« *إن أي كلمة، في أي لغة، لها تاريخها الخاص، ولا يمكن نقل معناها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار السياق الاجتماعي*». ترجمة

أي أن المترجم ينظر إلى معنى المفردة ودلالاتها، ناهيك عن التمعن في السياق لذي وردت فيه تلك المفردة، حتى لا يفقد النص غرابته وتميزه. ويلجأ بعض المترجمين إلى الاعتماد على التفسير والتوضيح، لضمان إفهام القارئ الأجنبي، وفي هذا الصدد يقول "**بيتر نيومارك**":« *التفسير فيه تحد للمترجم، خاصة حينما يواجه وثائق عهد قديم أو ثقافة بعيدة جغرافيا، عليه أن يسبر طبقات التطور المعجمي وذلك بالنظر إلى الكلمات بوصفها أرواحا وبوصفها أساطير وبوصفها أفرادا من البشر وبوصفها أشياء ورموز.*» (2)؛ وكما تتسنى لنا ملاحظته، فالتفسير يكتسي أهمية كبيرة، وقد انتبه لذلك المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، الذي أرفق كل المفردات التي جاءت باللهجة العامية بشروح، جمعها في آخر الرواية ليتسنى للقارئ مراجعتها بسهولة. وبذلك حافظ على غرابة المفردات وغموضها، كما أبقى على إيحاءاتها الدلالية من خلال الحرف، مع التعريف بها وشرح معناها للمتلقي الأجنبي.

من هنا تبرز ضرورة المحافظة على كل ما له الشأن في التعبير عن هوية النص المصدر؛ خاصة وأن الترجمة لا تقتصر على مجرد النقل اللغوي من لغة إلى لغة أخرى؛ بل تعكس نمط عيش شعب معين وثقافته التي عادة ما تكون نتاج تجارب تاريخية،

(1) REDOUANE, Joëlle: Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger, p.181.

(2) نيومارك بيتر : اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة، ترجمة. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ص. 75.

أسهمت بشكل أو بآخر في تحديد القيم الدلالية للأشياء. وتصف "**ماريان ليديرار**" **(Marianne Lederer)** ترجمة الثقافة ومحاولة التقريب بين مختلف الثقافات، بقولها :

« *Le transfert culturel consiste à apporter au lecteur étranger des connaissances sur un monde qui n'est pas le sien. Cet apport ne comble pas intégralement la distance entre les deux mondes mais entrouvre une fenêtre sur la culture originale. Pour ce faire, le traducteur conserve le référent étranger en le transmettant sous des formes compréhensibles. Le rapprochement des cultures à travers la traduction ne s'accomplit évidement pas par l'intermédiaire d'un seul mot ni d'un seul texte. Il faut une multitude de texte pour que se crée progressivement une image qui arrive à dissiper l'ignorance et à rapprocher les civilisations.* »[1]

« *يتمثل النقل الثقافي في تقديم معارف عن عالم الآخر للقارئ الأجنبي، وبالرغم من أن هذا النقل لا يغطي بشكل كلي المسافات بين العالمين، إلا أنه يفتح نافدة على الثقافة المصدرية. لتحقيق ذلك يستوجب على المترجم الحفاظ على العنصر الأجنبي من خلال نقله بأشكال مفهومة. والأكيد أن تقارب الثقافات عبر الترجمة، لا يتم بوساطة مفردة واحدة أو نص واحد، بل يجب تعدد النصوص المترجمة حتى تخلق تدريجيا صور ة قادرة على محو الجهل بالآخر وتقريب الثقافات*» ترجمة

مرة أخرى يعتمد مترجم رواية "في الطفولة" على المحاكاة الصوتية في نقل الكلمات الثقافية، وهو بذلك لا يبتعد كثيرا عن رأي "**بيتر نيومارك**" في الترجمة، حين يؤكد أن المترجم يجب أن: « *يعيد إنتاج الأصل شكلا ومضمونا بالحرفية الممكنة، مع استخدام الكتابة الصوتية.*»[2]

كانت جميع مصطلحات اللعب وأسماء الأوراق واسم اللعب نفسه (التريس) يرجع إلى أصل اسباني ص79 (الجزء الثاني)

Tous les termes techniques du jeu, le nom des cartes, le nom du jeu lui-même (Tres), rappelaient son origine espagnole. p214

[1] LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.128.

[2] بيتر نيومارك: لمرجع السابق، ص.28.

تحدثنا في كثير من المرات عن الحرفية في نقل الخصوصيات الثقافية، وأمامنا مثال آخر عن اعتماد المترجم لمنهج الحرفية في ترجمته لمفردة التريس. وفي الواقع، ليس المترجم وحده من نقل هذه المفردة حرفيا، بل الشعب المغربي بأكمله، اقترضها من اللغة الاسبانية. فكما نعلم تعرضت بلاد المغرب إلى الاحتلال الاسباني؛ وإبان فترة الاحتلال تلك احتكت الثقافتان واللغتان العربية والاسبانية، مما نتج عنه اقتراض لبعض المفردات الاسبانية الأصل، وكانت مفردة التريس إحدى هذه المفردات. والتريس عبارة عن اسم لطريقة من طرق لعب الورق، ومن هنا تتضح لنا فكرة تداخل الثقافات؛ حيث تنهل الواحدة من الأخرى من غير إنكار أو رفض. وتلعب الترجمة دورا مهما في توسيع آفاق الحوار والتواصل بين الثقافات المختلفة، وتوطيد الروابط بينها. ثم إن معظم الثقافات، إن لم نقل كلها، هي نتيجة لتمازج ثقافات بعيدة فيما بينها عبر الزمن، ولا يعقل أن حضارة من الحضارات الإنسانية لم تأخذ عن غيرها ولم تقتبس عنها، ولو عنصرا بسيطا. ويؤكد " **بورشي لويس**" **(Porcher Louis)** ذلك بقوله :

« *Toute société est liée à une culture d'ensemble, qui la caractérise et qui est elle-même le résultat de très nombreuses cultures plus sectorisées.*» (1)

« *يرتبط كلّ مجتمع بثقافة عامة، تصفه؛ وتكون في حد ذاتها، نتاجا لتضافر ثقافات جزئية أخرى كثيرة.* » ترجمة

وينقلنا الحديث عن تداخل الثقافات إلى الحديث عن الإثنوغرافيا""l'ethnographie"، التي يتحدث عنها "**يوجين نيدا**" **(Eugene Nida)** في خضم وصفه لمشاكل الترجمة بقوله:

« *Le problème n'est pas d'ordre linguistique, il est d'ordre ethnographique.*» (2)

« إن المشكلة ليست ذات طابع لساني، إنما ذات طابع إثنوغرافي ».ترجمة

(1) PORCHER, Louis : Le Français langue étrangère, Hachette éducation, Paris, 1995, p.55.
(2) MOUNIN, Georges : Les problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, Paris, 1986, p.241.

فالمفردات تكتسب معانيها انطلاقا من استعمالها الاجتماعي والسياق الثقافي الذي ترد فيه، ويؤكد "**يوجين نيدا**" ذلك مرة أخرى،حيث يسترسل قائلا:

« *Les mots ne peuvent pas être compris correctement, séparés des phénomènes culturels localisés dont ils sont les symboles*» (1)

« لا يمكن فهم الكلمات بطريقة صحيحة، إذا ما كانت منفصلة عن الظواهر الثقافية المتمركزة التي ترمز إليها.» . ترجمة

فالترجمة لا تكتسب معناها إلا إذا أخذت مفرداتها في السياق الثقافي الاجتماعي للغة التي تجسدها؛ أي ينبغي أن نلج إلى فضاء الآخر لنعرف به، وإن كان الفعل الترجمي يحوي نوعا من التناقض مثلما تشير إليه "**جويل رضوان**" **(Joëlle Redouane)** بقولها:

« *La traduction obéit à un double mais contradictoire impératif, ’une part ramener la culture étrangère à une forme assimilable pour un peuple conditionné par sa propre culture ; d’autre part, permettre à ce peuple de dépasser sa culture pour mieux comprendre les autres*. » (2)

« تخضع الترجمة لحتمية متناقضة؛ إذ يتوجب عليها من جهة، نقل الثقافة الأجنبية بشكل مماثل لشعب تحكمه ثقافته الخاصة، ومن جهة أخرى، يجب أن تسمح لهذا الشعب بتجاوز ثقافته كي يفهم الآخرين أفضل». ترجمة

وتكمن براعة المترجم في إلمامه الجيد بحصيلة كبيرة جدا من المفردات والإمكانات النحوية، وفي قدرته على استعمال هذه الحصيلة بمهارة ومرونة وإيجاز؛ من أجل تعريف القارئ الأجنبي بالثقافة المصدرية، ولا سبيل أفضل من انتهاج الحرفية لتحقيق ذلك، لأنها تضمن التعريف بكل ما هو أجنبي. وفي هذا الإطار يقول "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)**:

« *La traduction non seulement permet l’élargissement des frontières du savoir, de la langue et de la pensée, mais qu’elle permet la confrontation avec l’étranger, l’Autre, sans quoi l’humanité*

(1) Ibid., p.237.
(2) REDOUANE, Joëlle: Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger, p.3.

dépérit…, il ne faut pas oblitérer l'original ni oublier qu'on est devant une traduction. »[(1)]

« *إن الترجمة لا تسمح بمجرد توسيع الحدود المعرفية للغة والفكر فحسب، بل تسمح أيضا بمواجهة الأجنبي؛ أي الآخر الذي دونه تزول البشرية...، فلا يجب طمس الأصل ولا تناسي أننا أمام ترجمة.*» . ترجمة

ولا يتم ذلك إلا من خلال احترام الحرف الذي يحقق الأمانة للنص المصدر من جهة، ويقدم "الآخر" للمتلقي الأجنبي من جهة أخرى، عبر ترجمة الخصوصيات الثقافية والمفردات الخاصة بتلك البيئة دون غيرها، ترجمة أمينة. وتعتبر مفردة التريس واحدة من تلك المفردات التي يتوجب نقلها حرفيا، وهذا ما ذهب إليه المترجم "**فرانسيس غوان**" (**Francis Gouin**)، في نقله للمفردة.

أما رأيت عائشة، يا لها من شقية، إنها تقفز بين السطوح كالجنية... ص85 (الجزء الثاني)

Tu as vu Aicha ? La malheureuse, elle saute entre les terrasses comme une jinniya…p219

لقد التزم "**فرانسيس غوان**" (**Francis Gouin**) الحرفية في ترجمة كلمة الجنية، التي نقلها بـ jinniya ، محافظا بذلك على التركيب الشكلي للمفردة وعلى كل ما تنطوي عليه من معان الشقاوة بالمفهوم السلبي للمفردة، والتعجب والخفة في الحركات. فالكاتب بن جلون كان يسرد وقائع جلسات النسوة من الجيران في أسطح المنازل، وعائشة واحدة من هؤلاء النسوة وما يميزها هو خفة حركاتها وشقاوتها، حيث كانت تقفز بين الأسطح وتتحرك بكل حرية بين المنازل، مما كان يثير غضب بعض جاراتها. وقد كان في وسع المترجم أن يترجمها بمفردة Fée التي تكافئها في اللغة الفرنسية، إلا أنه آثر احترام حرفية المفردة؛ نظرا لأن Fée الفرنسية تحمل معنى الطيبة والرقة على عكس المعنى الإيحائي الذي تحمله المفردة العربية في سياق هذا النص. وهذا ما يعرف بـ " les connotations" أو "المعنى الثانوي"، أو "الدلالات المصاحبة" أو حتى "ظلال المعاني"؛ الذي تعرّفه **نور الهدى لوشن** بأنه: « *المعنى الإضافي أو الثانوي للفظ، وهذا المعنى* غير

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand colin, Paris, février 1999, p.79.

ثابت يتغير بتغير الثقافات والتصورات والمفاهيم والزمان»[1]. وهذا ما ينطبق بالضبط على مفردة جنية التي تحمل معنى آخر غير المعنى الأساسي للمفردة؛ المتمثل في مخلوق عجيب ينتمي إلى العالم الغيبي. كما أن الفرق في سياق المعنى بين اللغتين واضح، فلو أن " **فرانسيس غوان**" نقلها إلى Fée ، لكان معنى الجملة بأكمله قد تغير. وفي هذا الإطار يقول "**جورج مونان**" **(Georges Mounin)**:

« *Les connotations viennent recreuser le fossé qui sépare les langues, fossé déjà creusé profondément par les différences les plus matérielles entre civilisations, par les différences les plus subtiles entre 'visions du monde'* » [2]

« إن الدلالات المصاحبة تأتي لتعمق الهوة التي تفصل اللغات؛ هذه الهوة التي عمّقتها سابقا الاختلافات المادية بين الحضارات، بواسطة التباينات الأكثر دقة في "طرق رؤية العالم" ». ترجمة

فنجاح أي ترجمة مرتبط إلى حد كبير بمدى تحصيل المترجم للمعنى المراد في النص، من خلال تحصيل المعاني الضمنية، ونقل المفردات التي تشير إليها نقلا حرفيا لارتباطها الوثيق في غالب الأحيان بالحرف، ويصف "**جورج ستاينر**" **(George Steiner)** نقل المفردات الثقافية بقوله:

« *Les termes culturelles gardent la même physionomie et laissent entendre un seul ton étouffé et uniforme*.» [3]

« *تحافظ المفردات الثقافية على الشكل نفسه، وتترك وقعا ضيقا مماثلا.*» . ترجمة

ولعل المترجم أبقى على حرفية مفردة الجنية الواردة في الجملة العربية، لاحتكاكه بالمجتمع المغربي ومعرفته الجيدة بالمعاني الضمنية لمفرداته. وفي الواقع، إدراك المعاني المصاحبة للمفردات واحترام مضمون النص المصدر والنقل الأمين لدلالات الحرف فيه،

---

[1] لوشن نور الهدى: علم الدلالة–دراسة وتطبيق– ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002، ص.40.

[2] MOUNIN, Georges : Les problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, Paris, 1986, p.167/168.

[3] STEINER, George : Apres Babel, pour une poétique du dire et de la traduction, traduit par Lucienne Lotringer et Pierre Emmanuel Dauzat, Albin Michel, 1998, p.481.

هو ما يفصل بين الترجمة الجيدة والرديئة، ويصف "**ميشال بالار**" **(Michel Ballard)** الترجمة الجيدة بأنها:

« *La mesure d'une bonne traduction n'est pas l'élégance mais le degré dans lequel elle maintient la simplicité du contenu et le contenu exact des mots* » (1)

«إن مقياس الترجمة الجيدة لا يتعلق بجودة المفردات، بل بدرجة الحفاظ على بساطة المضمون ودقة معاني المفردات ». ترجمة

إذن، الترجمة الجيدة هي التي لا تنقص من القيمة الدلالية والمعنوية لمفردات النص المصدر، وتنقله بكل أمانة مضمونا وشكلا.

لعل الله أن يكون قد عاقبها على حدة لسانها، لا تنظري إليها، تظاهري بالانهماك في الحديث معي، إنني أخشى أن تلسعني. ص 86 (الجزء الثاني)

Peut-être que Dieu l'aura punie pour sa mauvaise langue ! Ne la regarde pas, fais semblant d'être absorbée par notre conversation, j'ai peur qu'elle ne me pique. P219

سبق وأن أشرنا إلى جلسات النسوة المغربيات فوق أسطح المنازل، وفي ترجمة هذه الجملة وردت عبارة أخشى أن تلسعني على لسان إحداهن وهي تصف حدة لسان جارتها. وكما تتسنى لنا ملاحظته، فقد انتهج المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** الترجمة كلمة بكلمة في نقل هذه الكناية؛ حيث استبدل كل مفردة عربية بما يقابلها لغويا ومعجميا في اللغة الفرنسية. وهذا ما يطلق عليه بالمحاكاة اللغوية، التي تكمن في أخذ عبارة أجنبية وترجمتها حرفيا لاستخدامها فيما بعد دونما حرج، كأن يقول

(1) DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand colin, Paris, février 1999, p.23.

قائل:"فلان أدار ظهره لفلان" "tourner le dos à quelqu'un" عوضا عن " صرف نظره عن فلان" وهو التركيب اللغوي العربي الصحيح. [1]

فاللغات تختلف وتتباين من حيث التركيب النحوي والصرفي، كما أن لكل لغة طريقتها الخاصة في التعبير، ناهيك عن أن دلالات الألفاظ تتمايز من ثقافة إلى أخرى. فاللغة العربية مثلا تحوي الكثير من الكنايات والمحسنات البديعية والسجع، وتعتمد كثيرا على التصوير والتمثيل والتشبيه؛ فهي لغة شعر وأدب بلا منازع، على عكس لغات أخرى. وهذا ما يسميه "**يوجين نيدا**" (**Eugène Nida**) و"**شارل تابر**" (**Charles Taber**):

بـ "عبقرية اللغات" " The Genius of Languages"، حيث يقولان:

« *Each language has its own genius. That is to say, each language possesses certain distinctive characteristics, which give it a special character; word building, techniques for linking clauses into sentences, markers of discourse and special discourse, types of poetry, proverbs and songs*.» [2]

« *لكل لغة عبقريتها الخاصة؛ بعبارة أخرى، تملك كل لغة خاصيات مميزة تمنحها طابعا خاصا: بنى الكلمات، تقنيات ربط الجمل، علامات الخطاب والخطاب المتخصص، وأنماط الشعر والأمثال والأغاني*» . ترجمة

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المعنى يلعب دورا أساسيا في أي ترجمة، ويؤكد ذلك "**ج.س.كاتفورد**" **(J.C.Catford)** بقوله:

« *It is agreed that meaning is important in translation [...] A translation is said to have the same meaning as the original.* »[3]

---

[1] بن شريف محمد: الترجمة والثقافة، دفاتر الترجمة، لغات– ثقافات وترجمات، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الترجمة، 2001–2002، ص.6/ 7.

[2] NIDA, Eugène et TABER, Charles: The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, helps for translators, vol II, 1969, p12

[3] J.C. CATFORD, A Linguistic Theory of Translation, An Essay in Applied Linguistics, Oxford University Press, 1980, p.35.

« من المتفق عليه أن المعنى مهم في الترجمة [...] حيث أن النص المترجم يكتسب نفس معنى النص الأصلي ». ترجمة

يتضح لنا مما سبق، أن العملية الترجمية ليست مجرد نقل لمادة لسانية من لغة إلى لغة أخرى، بل يجب أن يحرص المترجم على تأدية المعنى كاملا، من خلال نقل السمات الدلالية لمختلف الألفاظ والتعابير، حرصا منه على عدم خيانة مضمون النص، وتفاديا لتشويه **قصد المؤلف l'intention de l'auteur** ، الذي يؤكد عليه أتباع المدرسة التأويلية؛ من أمثال **دانيكا سيليسكوفيتش Danica Seleskovich** و **ماريان ليديرار Marianne Lederer**.[1]

فالمؤلف يستعمل تعابير معينة؛ بهدف إيصال معنى وصورة محددة لذهن القارئ. ويلجأ المترجم أحيانا إلى انتهاج الترجمة كلمة بكلمة، لتحقيق هذا الهدف، إلا أنه قد يتسبب في خلط الصورة والمعنى في ذهن قارئه المحتمل بدل إيضاحها. ففي مثالنا السابق، كان في وسع المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** أن يترجم عبارة أخشى أن تلسعني بـ j'ai peur de sa mauvaise langue ، ليحافظ على معنى العبارة في اللغة المستقبلة ويمكّن القارئ الأجنبي من فهم قصد المؤلف، بدلا من تقديم عبارة خالية من المعاني لمتلق يجهل إيحاءاتها في اللغة الهدف، احتراما لعبقرية اللغات التي تحدثنا عنها آنفا وعدم انتقاص قيمة النص الدلالية. وفي هذا السياق تقول "**ماريان ليديرار**" **(Marianne Lederer)** :

« *L'auteur s'exprime en avançant les mots qui font comprendre ses idées, il appartient au traducteur de faire de même, de formuler dans sa propre langue et selon son propre talent les idées qu'il doit faire comprendre et les sentiments qu'il doit faire ressentir. Un texte écrit dans une langue conforme à son 'génie' appelle dans l'autre langue un texte écrit lui aussi dans son 'génie'* » [2]

---

[1] LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.55.
[2] LEDERER, Marianne : Op. Cit., p.63.

« يعتمد المؤلف على مفردات تعينه في تأدية أفكاره، ومن واجب المترجم الاقتداء بدلك، على نحو يعيد من خلاله صياغة تلك الأفكار والأحاسيس النابعة عنها بلغته الخاصة، وحسب موهبته. فالنص المكتوب في لغة معينة وفقا لعبقريتها ينادي بتحقيق ذات العبقرية في لغة أخرى». ترجمة

يخيل لي أن في الأمر سرا ص86 (الجزء الثاني)

J'ai l'impression qu'il y a anguille sous roche p220

ما يتسنى لنا ملاحظته من الوهلة الأولى، هو ترجمة العبارة المسطرة الواردة باللغة العربية إلى ما يكافئها معنويا في اللغة الفرنسية، وكأن المؤلف الأصلي للرواية كتبها باللغة الفرنسية وليس العربية، ويؤكد "**ج.ب.فيليبس**" أن:« الترجمة الحقة هي التي لا تبدو بأنها ترجمة» [1]؛ حيث أن المترجم يحاول نقل النص الأصلي بكل أمانة، من خلال الحفاظ على الصور الثقافية والاجتماعية المجسدة في المفردات والعبارات، وتقديمها للقارئ الأجنبي بما يوافق ثقافته وعبقرية لغته، فيغدو العمل الأدبي وكأنه كتب باللغة الأجنبية أصلا، ولا يختلف كثيرا "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)** عن "**ج.ب.فيليبس**"، إذ يقول:

« *Il faut traduire l'œuvre étrangère de façon que l'on ne sente pas la traduction, on doit la traduire de façon à donner l'impression que c'est ce que l'auteur aurait écrit s'il l'avait écrit dans sa langue traduisante.*» [2]

« *ينبغي ترجمة العمل الأجنبي بطريقة لا نلمس من خلالها أن الأمر يتعلق بترجمة؛ أي يجب ترجمته بشكل يوحي أن هذا ما كان المؤلف سيكتبه لو كتب في اللغة المترجم إليها* ». ترجمة

---

[1] الديداوي محمد: علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، سوسة، 1992، ص.16.

[2] BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.35.

فالمترجم يأخذ بعين الاعتبار انتظارات قارئه المحتمل، ويحاول إعادة صياغة النص الأصلي بصورة يمحو فيها آثار الترجمة، وهذا لا يتسنى تحقيقه إلا للمترجم المبدع، وعلى حد تعبير"**أنطوان برمان**" **(Antoine Berman)** مرة أخرى:

« La créativité exigée par la traduction doit se mettre toute entière au service de réécriture de l'original dans l'autre langue.»[1]

« إن الإبداع الذي تقتضيه الترجمة يجب أن يوظف بشكل كلي في خدمة إعادة كتابة النص الأصلي في اللغة الأخرى ». ترجمة

إن الترجمة الجيدة هي التي تتفادى خيانة النص الأصلي، وتحترم في الوقت ذاته عبقرية اللغة المستقبلة، وعلى حد قول "**موزي**" **(Moser)** لا يتحقق ذلك إلاّ:

« *En confiant à la traduction la tache de délivrer les œuvres d'un sens venu de l'extérieur* »[2]

« يجب أن نعهد إلى الترجمة بمهمة تخليص النصوص من المعنى الخارجي». ترجمة

المتمثل في غالب الأحيان في تلك العبارات والمفردات التي تفقد شعريتها وقيمتها الدلالية بمجرد الانتقال من عائلة لغوية إلى أخرى. فما تملكه لغة من وسائل الإيضاح قد لا تملكه لغة أخرى، والمترجم ليس مطالبا بنقل كل الصور والتشابيه الواردة في النص المصدر نقلا حرفيا، لأن ما يقال في لغة معينة، يمكن إعادة صياغته في لغة أخرى بالاعتماد على مخزونها اللغوي والثقافي. ويدعم هذه الفكرة، قول كل من "**يوجين نيدا**" **(Eugène Nida)** و"**شارل تابر**" **(Charles Taber)**:

« *One must respect the features of the receptor language and exploit the potentialities of the language to the greatest possible extent.* »[3]

---

(1) Ibid., p.40.

(2) BRISSET Annie, 'L'identité culturelle de la traduction', Palimpsestes : traduire la culture, n° 11, presses de la Sorbonne nouvelle, Paris, p.41/42.

(3) NIDA, Eugène et TABER, Charles: The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, helps for translators, vol II, 1969, p.4.

« على المرء أن يحترم خصائص اللغة المستهدفة، ويستغل إمكانياتها لأقصى درجة». ترجمة

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** قد لجأ إلى ترجمة العبارة العربية باستعارة في اللغة الفرنسية، ليقدم للقارئ الأجنبي صورة واضحة عن الفكرة التي أراد المؤلف تبليغها. وعادة ما يكون الهدف الرئيسي لأي استعارة هو وصف الشيء أو الحدث أو الصفة، بطريقة أشمل وأوجز مما هو متاح لنا باستعمال اللغة الحرفية، ويصف "**بيتر نيومارك**" توظيف الاستعارة في النصوص، بقوله: « *ما من شك في أن الكتاب المجيدين يستعملون الاستعارات ليعينوا القارئ على إدراك تصور أدق للشخصية أو الموقف من الناحيتين المادية والعاطفية.*» [1]

ويسترسل كل من "**باسل حاتم** و **إيان ميسون**" **(Basil Hatim and Ian Mason)** في حديثهما عن الاستعارة والترجمة، مؤكدين أنه:

« *In translating metaphor, for example, there is little point in seeking to match target-language words with those in the source text in isolation from a consideration of the writer's whole world-view. Occurrences of metaphor have a cumulative effect which suggests a particular perception of reality and it is this which the translator seeks to capture.* »

« *فيما يخص الاستعارة، على سبيل المثال، لا فائدة من البحث عن مفردات من اللغة الهدف لتعادل مفردات في النص المصدر، دون أن نأخذ في الحسبان نظرة مؤلف النص الأصلي للعالم. فاستخدام الاستعارة ينطوي على أثر تراكمي، يفرض بدوره رؤية خاصة للحقائق، وهذا ما يجدر بالمترجم البحث عنه.*» . ترجمة

إذن، يمكن القول أن المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، حريص على تأدية المعنى وإيصال رسالة المؤلف الأصلي وقصده إلى القارئ الأجنبي، حتى يضاهي إحساس من يقرأ النص الهدف إحساس من قرأ النص في لغته الأصلية.

---

[1] HATIM, Basil and MASON, Ian: Discourse and the Translator, Longman Group, UK, 1990, p.4.

كان الذهاب إلى الحمام لدى النساء شبيها بالذهاب اليوم إلى الأوبرا أو السينما... ص87 (الجزء الثاني)

Aller au hammam correspondait, pour les femmes, aux soirées actuelles à l'opéra ou au cinéma p220

مرة أخرى، نلاحظ أن المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، قد لجأ إلى الحرفية في ترجمته للخصوصيات الثقافية الواردة ضمن الرواية؛ حيث نقل مفردة الحمام إلى hammam ، محافظا بذلك على التركيب الحرفي والصوتي للمفردة. ويعد الاقتراض أو الاقتباس، مثلما يعرفه **محمد الديداوي:** « *أبسط طرائق الترجمة، إذ به تسد فجوة مفاهيمية لا عهد بها للغة المترجم إليها. وكثيرا ما يحدث هذا للحديث عن العادات والتقاليد ولإضفاء نكهة محلية على الكلام بإيراد تعابير أو مفردات غير مألوفة تظل على أصلها.*» [1] .

ولا يختلف كثيرا تعريف **الديداوي**، عما جاء على لسان "**جون بيار فيني**" **(Jean Pierre Vinay)** و "**جون داربلني**" **(Jean Darbelnet)** اللذان يؤكدان أنّ:

« *L'emprunt est le plus simple de tous les procédés de traduction [...] Le traducteur y fait recours volontairement pour créer un effet stylistique ; par exemple pour introduire une couleur locale.* » [2]

« *يعتبر الاقتراض من أبسط طرق الترجمة [...] حيث أن المترجم يلجأ إليه إراديا، ليحقق أثرا أسلوبيا، مثل إدخال نكهة محلية.* » . ترجمة

فتوظيف المؤلف لبعض المفردات والتعابير المحلية في نصه، لا يأتي عبثا، لأن المقصود منه هو تجسيد الثقافة المحلية؛ لذلك كان من واجب المترجم الحفاظ على هذه الخصوصيات الثقافية ونقلها بأمانة. والأمانة كما سبق وأن أشرنا إليه، لا تتحقق إلا من خلال الحرف الذي ينطوي على القيم الدلالية للمفردات.

---

[1] الديداوي محمد: الترجمة والتعريب: بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، لبنان/ الدار البيضاء، 2000، ص .84.

[2] VINAY. J et DARBELNET.J: Stylistique comparée du français et de l'anglais, méthode, Didier, Paris, Bibliothèque de stylistique comparée, 1977, p.47.

إلاّ أنه لا يجب إغفال حقيقة، أن عملية نقل النص الأدبي من لغة إلى لغة أخرى، وبالخصوص عملية نقل الخصوصيات الثقافية التي ينطوي عليها هذا النص، والتي تشكل العائق الأساسي في العملية الترجمية، تخضع بالدرجة الأولى إلى اختيارات المترجم الذي يتصرف في حدود النص والمفردات بطريقته، وفي هذا الصدد يقول "**جون رنيه لادميرال**" **(Jean René Ladmiral):**

« Quel que puisse être la difficulté, le dernier mot revient à la subjectivité du traducteur, à son interprétation et à sa décision. » [1]

« *أيّا كانت الصعوبات في الترجمة؛ فإن الكلمة الأخيرة تعود لذاتية المترجم، وتأويله(للنص)، وقراره (في اختيار المفردات).* » ترجمة

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن خيانة النص الأصلي مراعاة لذوق القارئ الأجنبي وانتظارا ته، وتصرف المترجم في النص المصدر بعبث وعشوائية، وفقا لميوله وتطلعاته، ما هو في الحقيقة إلاّ خيانة؛ خيانة للقارئ الأجنبي وخيانة للثقافة المصدرية وقيمها الدلالية والاجتماعية وانتقاص من خصوصية حضارة بأكملها. وعن هذا الموضوع، يسترسل "**أنطوان بارمان**" **(Antoine Berman)** بقوله:

« *Le traducteur qui traduit* pour *le public est amené à trahir l'original, à lui préférer son public, qu'il ne trahit d'ailleurs pas moins, puisqu'il lui présente une oeuvre 'arrangée' [...]. Amender une oeuvre de ses étrangetés pour* faciliter *sa lecture n'aboutit qu'à la défigurer et, donc, à tromper le lecteur que l'on prétend servir.* » (2)

« *يضطر المترجم الذي يترجم لجمهور معين إلى خيانة الأصل وتفضيل جمهوره؛ هذا الأخير الذي يتعرض لخيانة ليست أقل من خيانة المترجم للأصل، مادام يقدم له نصا مكيّفا [...]. فتجريد النص من غرابته بهدف تسهيل قراءته، لا يسهم إلا في تشويهه، وبالتالي خيانة القارئ الذي نزعم خدمته.*» ترجمة

(1) LADMIRAL, Jean-René, 'Le prisme interculturel de la traduction', palimpsestes : traduire la culture, n° 11, Presses de la Sorbonne nouvelle, Paris, p.23.
(2) BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999, p.85/86.

هذا يعني، أن أية ترجمة يجب أن تحافظ على ما هو غريب وخاص بالثقافة المحلية في النص الأصلي. وذلك لا يتسنى إلا من خلال الحرف، وقد أدرك المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، أهمية الحرف في نقل الخصوصية الثقافية؛ بدليل انتهاجه الحرفية في نقل مفردة الحمام، بالرغم من أنه كان بوسعه ترجمتها بـ bain public . وما هذا إلا دليل على معرفته الجيدة بالثقافة العربية المغربية؛ التي أكدها لنا خلال اللقاء الذي جمعنا به، بقوله: « *بالتأكيد أعرف جزءا لا بأس به من الثقافة المغربية؛ فقد ولدت بالمغرب وعشت به طويلا [...]، ناهيك عن أن للثقافة المغربية أوجها متعددة، تماما مثل الثقافة الجزائرية. وقد كنت دوما شغوفا لتعلم اللغة العامية (الدارجة) عبر الأدب الشفهي (الأدب الشعبي)...* »[1]

خرجن ليرتدين ملابسهن في هذا المكان الخارجي الذي يدعى "بالجلسة" ص88 (الجزء الثاني)

Elles sortent s'habiller dans la partie extérieure qu'on appelle 'l'antichambre' p221

نلاحظ مرة أخرى، أن المؤلف **بن جلون** قد استعمل مفردة خاصة بالثقافة المغربية، والتي جاءت باللهجة العامية كغيرها من المفردات السابقة. ففي خضم وصفه لعادات النسوة المغاربة، جاء على ذكر الحمام بمختلف أجزائه، والعالم بالثقافة والعادات المغاربية، يدرك أن مفردة "الجلسة" تدل على غرفة تجلس فيها النساء بعد الاستحمام لتبادل أطراف الحديث والأكل، وهي ما يعرف في الجزائر بمسمى "الجلسة" أو "البيت الباردة". وكلها مسميات تأتي باللهجة العامية وترتبط بالثقافة المغاربية؛ أي أن ها تحمل معنى وقيما دلالية خاصة، إلا أن المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، لم يدرك ذلك، بدليل ترجمة مفردة الجلسة بـ **'l'antichambre'**، التي لا تحمل نفس القيم الثقافية في دلالتها. كما أن القارئ الأجنبي، لن يدرك المعنى الحقيقي للمفردة الأصلية من

[1] راجع الحوار الذي أجري مع المترجم فرانسيس غوان Francis Gouin، الملحق رقم.01.

خلال هذه الترجمة المعنوية الناقصة، وعن عدم تطابق القيم الدلالية للمفردات في اللغات المختلفة، يقول "**ج.س.كاتفورد**" **(J.C.Catford):**

« *Le problème crucial est l'équivalence qui ne peut-être complète, puisque certaines associations et connotations ne se retrouvent pas dans l'autre langue*.» (1)

« يكمن الإشكال الحاسم في التكافؤ الذي لا يمكن أن يتم، بسبب بعض الاتفاقات والإيحاءات لا توجد في اللغة المستهدفة ». ترجمة

إن القارئ الأجنبي لن يدرك جل القيم الدلالية المتعلقة بمفردة الجلسة، إلا إذا حافظ المترجم على حرفيتها؛ خاصة وأنه ينتظر من العمل الأدبي المترجم، أكثر من مجرد اللغة، على حد قول "**جويل رضوان**" **(Joëlle Redouane):**

« Le récepteur aborde le texte avec une certaine attente dont il convient de tenir compte ; l'attente du lecteur peut dépasser le cadre linguistique.» (2)

« *يستقبل المتلقي النص المترجم بانتظار معين ينبغي مراعاته، لأنه قد يتجاوز الإطار اللغوي*». ترجمة

إذن، من أجل ترجمة جيدة لابد من توفر الكثير من الكفاءات، كما يقول **الجاحظ:** «*على المترجم أن يدرك الموضوع بقدر إدراك الكاتب له* »(3)؛ أي على المترجم أن يزول أمام ترجمته وأن يكون مخلصاً للنص الأصلي ودون أن يؤثر ذلك في ترجمته. والأكيد أنه كلما كان الموضوع صعب المنال، واحتوى على خصوصيات ثقافية أكثر، كلما أثار نقل مفرداته ومعانيه مشكلات أمام المترجم، مما يجعل الترجمة أكثر صعوبة ويستدعي كفاءة لغوية أكبر .

(1) REDOUANE, Joëlle: Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger, p.34.
(2) Ibid, p.69.
(3) مريم سلامة كار: الترجمة في العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1998. ص.2.

فالمفردات إن لم توضع في سياقها الثقافي الاجتماعي الذي وردت فيه في النص الأصلي، فإنها ستأتي مبهمة وغامضة في النص المترجم، خالية من دلالاتها الصحيحة أو مشوهة. لهذا السبب يتم التأكيد دوما على "قصد المؤلف"، حيث يسترسل "**أمبارو هورداتو ألبير**" **(Amparo Hurdato Albir)** مؤكدا:

« *La fidélité reste définie comme une fidélité au sens. Pour être fidèle au sens le traducteur doit être fidèle d'abord au 'vouloir dire' de l'auteur et ensuite, dans sa réexpression, il doit être fidèle aux moyens propres qu'offre la langue d'arrivée pour exprimer ce vouloir dire, ainsi qu'au destinataire de la traduction, pensant à ce que celui-ci peut comprendre ou ne pas comprendre, afin qu'il soit en mesure de saisir le même sens que le destinataire du texte original.*» [(1)]

«إن الأمانة هي أمانة المعنى. ولتحقيق هذه الأمانة، ينبغي على المترجم أن يكون أمينا لقصد المؤلف أولا، ثم بعد ذلك، خلال عملية إعادة صياغة النص، يجب أن يكون أمينا للقدرات الخاصة التي تمنحها اللغة للتعبير عن ذلك القصد. وينبغي أيضا احترام انتظار القارئ المستهدف، مع أخذ بعين الاعتبار قدراته الإدراكية، حتى يصله المعنى الذي فهمه القارئ الأصلي» ترجمة

ولما تبين الرشد من الغي، وأصبح من الواضح أنّ جدي يحتضر... ص104 (الجزء الثاني)

Lorsque les choses se clarifièrent et que mon grand père entra visiblement en agonie…p236

ما يتسنى لنا ملاحظته من الوهلة الأولى هو اعتماد المؤلف **عبد المجيد بن جلون** مرة أخرى على عبارة مقتبسة من القرآن الكريم: تبين الرشد من الغي التي جاءت في

(1) HURTADO,Amparo : 'La Fidélité au sens, un nouvel horizon pour la traductologie', Etudes Traductologiques -textes réunies par Marianne Lederer-, Cahiers Chompollion, sous la direction de Maurice Gravier, F.Paillart, Paris, Novembre 1990, p.79.

سورة البقرة، الآية مائتان وست وخمسون(256)؛ أين يقول الله عزّ وجلّ: « *لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...* »

ونقرأ في ترجمة **حميد الله** لهذه الآية ما يلي:

« *Nulle contrainte en religion ! Car le bon chemin s'est distingué de l'égarement...*»[1]

إذن تفيد هذه العبارة معنى الوضوح والبيان، وهذا ما ذهب إليه المترجم من خلال ترجمته التي جاءت وافية أمينة للمعنى الذي سعى إليه كاتب الرواية.

من الواضح أنّ "**فرانسيس غوان**" يتعامل مع العبارات المنتقاة من النص القرآني بطريقة جيّدة، يحافظ فيها دوما على قداسة النص القرآني من خلال مراعاة المعنى العام لكل عبارة أو مفردة، ومحاولة تبليغ المعنى الذي أراده المؤلف **بن جلون** في كل فقرة من فقرات روايته؛ التي حملت معان دينية واقتبست عبارات من صميم النص القرآني.

وعن ترجمة النص الديني يقول "**هنري ميشونيك**" **(Meschonnic Henri)**:

« *Traduire la Bible aujourd'hui en Français signifie répondre au pourquoi, au pour qui, au comment, et pourquoi encore une fois ? On a pris ces textes, pour leur contenu idéologique seul, et pourtant ce sont des textes, un langage poétique spécifique...* »[2]

« *إنّ ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الفرنسية يعني إجابة؛ لماذا نترجم؟ كيف؟ ولماذا مرّة أخرى؟ لقد أخذنا هته النصوص لمضمونها الإيديولوجي فقط رغم أنّها نصوص، و لغة شعرية خاصة*» ترجمة

إنّ النص الديني نصّ مميّز بطبيعته، والنص القرآني على وجه الخصوص نصّ ذو جمالية من الصعب، بل من المستحيل إعادة صياغتها في لغة أخرى لأنّه معجزة النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو النص الذي تحدّى بلاغة العرب. إلاّ أنّ هذا لا

(1) HAMIDALLAH Mouhammad : Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens, Complexe Roi Fahd pour l'impression du noble coran, Al-Madinah Al-Munawwarah, 2000, p42.
(2) MESCHONNIC, Henri. Poétique de la Traduction, pour la poétique II, Paris, Gallimard, 1973, p .410.

يمنع نقل معاني القرآن الكريم، باشتراط تمتع المترجم بكفاءة علمية ومقدرة معرفية هائلة، ناهيك عن إتقان اللغتين المنقول منها وإليها. وهذا ما يقرّه كل من "**يوجين نيدا**" **(Eugene Nida)** و "**شارل تابر**" **(Charles Taber)** :

«*The older focus in translating was the form of the message, and translators took particular delight in being able to reproduce stylistic specialities...and unusual grammatical structures, the new focus, however, has shifted from the form to the message to the response of the receptor*» [(1)]

«*تمحور الاهتمام قديما حول شكل الرسالة؛ حيث اعتنى المترجمون بإعادة صياغة الخصائص الأسلوبية والبنى النحوية غير المألوفة، إلا أن بؤرة الاهتمام الجديدة، تحولت من شكل الرسالة إلى الرسالة نفسها (المضمون)، ثم استجابة المتلقي*» ترجمة

و قد اعتنى المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)**، بتأدية المعنى مما انعكس إيجابا على ترجمته.

إن احتضار جدي هو الذي جعل من منزلنا كعبة يقصدها هؤلاء الوافدون. ص107 (الجزء الثاني)

C'était l'agonie de mon grand père qui faisait de notre maison une Kaaba où affluaient les visiteurs. P238

لقد لجأ المترجم مرّة أخرى، إلى انتهاج الحرفية في نقل الخصوصيات الثقافية الدينية؛ حيث ترجم مفردة الكعبة إلى Kaaba، مع إرفاق ترجمته بشرح يفسر من خلاله معنى هذه المفردة وقيمتها الدينية ومكانتها في العبادة وفي حياة المسلمين. أما عن ورود هذه المفردة في الرواية، فجاء في خضم حديث المؤلف عن وفاة جدّه، أين شبه بيت العائلة بالكعبة لشدة تهافت المعزين؛ كأنما هو تهافت الزوار على البيت الحرام.

(1) NIDA Eugène et TABER Charles: The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, 1969, p.1.

من الجليّ أنه كان في وسع المترجم الاكتفاء بوصف تهافت الناس على المنزل بالهائل، لكنه آثر اقتباس مفردة كعبة ونقل الجملة العربية حرفيا إلى اللغة الفرنسية كما وردت في الرواية. ولا يخفى على أحد، أنّ لفظ كعبة هو اسم علم وبالتالي يجب نقله كما هو من دون أدنى تغيير وعن الأسماء العلم يقول "**يوجين نيدا**": « ...*مثل هذه الكلمات عادة يجب أن تستعار ولأنه لا توجد لغتان تمتلكان بالضبط نفس الأصوات فإنّ نقل كلمة من لغة إلى أخرى يحتم إجراء نوع من التكييف الذي قد يستند على الأصوات المستخدمة كما يمكن أن يكون مجرد شكل من أشكال ترجمة الحروف المستعملة لتعيين شكل الأسماء(Transcription)*» [1]

كما نقرأ بوضوح في معجم "لاروس" (Larousse) الفرنسي مفردة كعبة مكتوبة بهذه الصياغة (Kaaba أو Ka'aba)[2]، ويتعامل المعجم معها على أساس اسم علم واسم خاص بصرح ينتمي للثقافة العربية المسلمة.

وفي الواقع ترتبط مفردة الكعبة ارتباطا وثيقا بالسياق الذي وردت فيه، مما جعل المترجم يلتزم الحرفية في نقلها، لما تحمله في طياتها من دلالات مرتبطة بالسياق الثقافي الاجتماعي. فالكعبة هنا لا ترتبط بمفهوم الحج ولا يعني الكاتب بذكرها الحديث عن الديانة الإسلامية، إنما هو بصدد تشبيه وفود المعزين على البيت بوفود الحجيج إلى الكعبة، ولا يمكن تحصيل ذلك إلا من خلال السياق واعتماد الحرفية في النقل لتحفيز القارئ على الولوج إلى عالم الآخر والتعرف على ثقافته وفهم معاني المفردات عنده، هذه المفردات التي تحمل قيما جمالية ودلالية خاصة. ويتحدث "**بنسيمون**" **(Bensimon)** عن القارئ المتلقي الذي يلج إلى عالم الآخر:

« *Le dosage entre l'implicite et l'explicite dans une œuvre littéraire doit prendre en compte l'aptitude du lecteur à élargir, à approfondir, à ajuster sa perception et sa compréhension de la culture de l'autre grâce au contexte, à mesure qu'il avance dans sa lecture…* » [3]

---

[1] يوجين نيدا: نحو علم الترجمة، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، 1976، ص368.

[2] Petit Larousse en couleurs, Librairie Larousse, Canada, 1980, p.1329.

[3] DEPRE OSEKI, Inès : Questions de Traductologie, Université de Provence, Paris, 2001- 2002, p.6.

« إن تقدير الضمني والظاهر في أي أثر أدبي، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار؛ كفاءة القارئ في توسيع وتعميق وضبط إدراكه وفهمه لثقافة الآخر بفضل السياق كلما تقدم في قراءته...» ترجمة

فالمترجم قد حافظ على مفردة "كعبة" ونقلها نقلا حرفيا إلى النص المترجم، لإدراكه مجموع القيم والدلالات الثقافية، الاجتماعية، والدينية التي تنطوي عليها هذه المفردة. والقارئ مجبر على الانتقال إلى اللغة الأصلية؛ اللغة المصدر من أجل تحصيل هذه الدلالات، وفي هذا الإطار يسترسل "**جورج ستاينر**" **(George Steiner)**:

« *On n'atteint pas si facilement à la 'limpidité' quand on ne s'éloigne guère de chez soi.* » [1]

« *ليس من السهل إدراك 'الشفافية' حينما لا نبتعد قط عن محيطنا* » ترجمة

**** ذات يوم من أيام عيد الأضحى في المغرب بينما كنت أتناول مع أفراد العائلة على مائدة جدي طعام الإفطار**... ص126 (الجزء الثاني)

Un beau jour d'Aïd Kebir, au Maroc, toute la famille prenait le petit déjeuner chez mon grand-père… P256

ما يوقف انتباهنا في ترجمة هذه الجملة، هو أنّ عبارة عيد الأضحى جاءت باللغة العربية الفصحى، إلاّ أنّ المترجم لم ينقلها نقلا حرفيا ولم يأت بالمكافئ اللغوي الأقرب لها في اللغة الفرنسية، إنّما أتى باللفظة العامية لعيد الأضحى في اللهجة المغاربية ونقلها نقلا حرفيا إلى اللغة الفرنسية.

لقد أعطى المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** نفسه على هذا النحو حق التصرف في الرواية، وفي هذا الإطار، تقول "**صونيا برافو**"**(Sonia Bravo)**:

[1] STEINER, George : Après Babel, une poétique du dire et de la traduction, traduit par Lucienne Lotingeret et Pierre Emmanuel Dauzat, Albin Michel, Paris, 1998, p.498.

« *Lorsqu'on traduit, il se produit un processus d'appropriation de l'œuvre, le traducteur la fait sienne*. » (1)

« في سياق ترجمتنا، يحدث *استحواذ على العمل؛ على نحو يجعله المترجم ملكا له*» ترجمة

أي أنّ المترجم، أثناء تحقيقه الفعل الترجمي يستحوذ على النص الأصلي ويتصرف فيه من غير تقيّد بمفردات النص وأسلوب الكاتب الأصلي، وربما المعنى أحيانا. وقد تصرّف المترجم في عبارة عيد الأضحى ونقلها بما يرضيه، من غير أن يلاحظ أنّ العبارة جاءت باللغة الفصحى وليس اللهجة العامية.

لكن هذا لا ينفي حقيقة أنّ المترجم يتحكم جيدا باللهجة العامية المغاربية التي مكنته من نقل المفردة مباشرة مثلما تأتي على لسان أي مغربي بسيط، بمعناها المتداول بين المغاربة: "العيد الكبير"، مما أضفى سحرا ورونقا على الترجمة، التي حافظ فيها على القيمة الثقافية الاجتماعية التي تحملها عبارة عيد الأضحى باللهجة العامية في الثقافة العربية المغربية. وتتحدث "**ماريان ليديرار**" **(Marianne Lederer)**عن المكتسبات اللسانية والمعرفية للمترجم، وكيف تساعده على أداء ترجمته:

« *Les connaissances linguistiques du traducteur font partie de son bagage cognitif et sont bien entendu indispensables à la compréhension des textes et à leur réexpression [...]. Seul une excellente connaissance de la langue originale donne directement accès au sens ; seul une excellente maîtrise de la langue d'arrivée permet la réexpression adéquate de ce sens* » (2)

« *تعدّ مكتسبات المترجم اللغوية جزءا من عدّته المعرفية، وهي بلا شك ضرورية لعملية فهم النصوص وإعادة التعبير عنها [...]. فوحدها المعرفة الجيّدة باللغة الأصلية*

(1) BENHAMADOUCHE ,Fatma :Le traducteur et les œuvres théatrales, Revue Al-Mutargim n°6, édition el Gharb, , Octobre 2002, p.7.
(2) LEDERER, Marianne : La Traduction Aujourd'hui, le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, p.33/34.

تؤدي مباشرة إلى المعنى، ووحده التحكم في اللغة الهدف يسمح بإعادة إنتاج هذا المعنى بشكل ملائم.» ترجمة

ومن هنا يتضح لنا أنّ الفهم الصحيح للمعنى في اللغة الأصلية يؤدي إلى نقله بصورة واضحة إلى اللغة الهدف، مع الحفاظ على خصوصيات الآخر الثقافية والتعريف بها. كما أنّ الحرفية توحي بأنّ للمفردة معان وإيحاءات أكبر في لغتها الأصلية، مما يدفع القارئ الأجنبي إلى البحث عن تلك الإيحاءات والدلالات، فيغوص أكثر في الثقافة الأصلية للنص المنقول ليعرف الآخر بجلّ قيمه، موسعا ثقافته ومداركه. وعن المتلقي؛ تقول "**جويل رضوان**" **(Joëlle Redouane):**

« *Le récepteur n'est pas aussi passif qu'on le croit* » [(1)]

« إنّ *المتلقي ليس بتلك السلبية التي نعتقد.»* ترجمة

إنّ القارئ الأجنبي يتوق إلى التعرف على خصوصيات الآخر الثقافية كما سبق ذكره.

** **ولم أدرك بعد أن استمعت ساعة كاملة إلى ثرثرة الأستاذ أكثر من أنني كنت أستمع إلى علم يدعى بعلم التوحيد وعلمت بعد ذلك بساعة أخرى أنني استمعت إلى درس آخر خيّل إلي أنه يدعى بعلم الفقه**. ص134 (الجزء الثاني)

Après une heure entière à écouter le bavardage du professeur, je compris en tout et pour tout qu'il s'agissait d'une science appelée '<u>tawhîd</u>'. Après une autre heure, je sus que j'avais écouté un autre cours qui devait s'appeler <u>fiqh</u>. P264

مرّة أخرى، يستعمل المؤلف بن جلون مفردات خاصة بالثقافة العربية الإسلامية دون غيرها من الثقافات الأخرى، أمّا المترجم الفرنسي "**فرانسيس غوان**"، فقد التزم الحرفية في نقل هاتين المفردتين، لانعدام مكافئها اللغوي في اللغة الفرنسية.

ليس من اليسير إيجاد المكافئ اللغوي لمثل هذه المفردات، حيث يقول "**هنري لاوست**"

(1) REDOUANE, Joëlle: Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger, p.68.

: (Henri Laoust)

« *Le fiqh est un terme que l'on traduit ordinairement par droit mais qui consiste en une théologie éthico juridique englobant l'étude des devoirs de l'homme envers Dieu, envers autrui et envers lui-même* » (1)

« عادة ما نترجم *الفقه بقانون، مع أنّه في الواقع، يرتكز على علم إلٰهي أخلاقي قضائي، يضمّ دراسة واجبات الإنسان نحو الله، نحو الآخرين ونحو نفسه.* » ترجمة

من الواضح أنّ مفردة قانون الفرنسية Droit لا تؤدي معنى مفردة فقه العربية، التي تنطوي في المفهوم الإسلامي العربي، على معان ودلالات تفوق بكثير معنى قانون في اللغات الأخرى. وقد سمح النقل الحرفي لمفردة فقه في الحفاظ على المعنى، إذ أنّ للحرف قيمة كبيرة في تحديد معاني المفردات، وضمان نقلها بكل أمانة، حيث يقول "**أنطوان برمان**" **(Antoine Berman)** :

« *La traduction est une traduction de la lettre, du texte en tant qu'il est lettre* » (2)

« *إنّ الترجمة هي ترجمة للحرف، ترجمة للنص بوصفه حرفا* » ترجمة

فالقارئ الفرنسي لا يمكنه فهم ما تعنيه مفردة "فقه"، وهذا ينطبق على مفردة "توحيد" أيضا، التي لا يمكن أن يفهمها شعب لا يدين بالإسلام، لما تحمله هذه المفردة من دلالات وإيحاءات تصب مباشرة في صميم العقيدة الإسلامية، من توحيد لإله واحد بعيدا عن المفهوم النصراني للثالوث. فالمتلقي الفرنسي كما سبق ذكره، لن يستطيع إدراك معاني هاتين المفردتين إلاّ إذا تجرّد من ثقافته الأصلية، وفي هذا الإطار يقول **الحلاج:**
« *Comprendre quelque chose d'autre, ce n'est pas s'annexer la chose, c'est se transférer par un décentrement au centre même de l'autre* » (3)

(1) PRUVOST, Lucie : Traduire ; un labeur risque, Cahiers De Traduction – langues, cultures et traduction- , Université d'Alger, département de traduction, 2001-2002, p.23.
(2) BERMAN, Antoine : La traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain, Seuil, Paris, novembre 1999, p.25.
(3) MESCHONNIC, Henri : Poétique de la traduction, pour la poétique II, Paris, Gallimard, 1973, p.411.

« *إنّ فهم شيء آخر، لا يكون بضمّه، إنّما بالانتقال عبر الانحراف إلى مركز الآخر بحدّ ذاته.*» ترجمة

لا يمكن للقارئ الأجنبي أن يدرك معاني المفردات، إلاّ بولوجه إلى فضاء الآخر؛ فضاء وثقافة النص الأصلي. وكثيرا ما يقرر المترجم الإبقاء على هذه المفردة أو تلك ونقلها حرفيا إلى اللغة الهدف، ليحافظ على كل ما هو غريب عن أفق المتلقي، بغاية إضفاء رونق وجمال على النص المترجم من خلال إبراز الهوية الثقافية للآخر. وعلى حد قول "**جويل رضوان**" **(Joëlle Redouane)** :

« *La traduction permet aux peuples de dépasser leurs cultures pour mieux comprendre les autre.* » (1)

« *تسمح الترجمة للشعوب، بتجاوز ثقافاتهم من أجل فهم أفضل لثقافات غيرهم.*» ترجمة

فلما أنهى إليه الغلام المؤذن على رأس المئذنة أن أمرا خطيرا قد أصاب السماء... ص142 (الجزء الثاني)

En haut du minaret, le jeune muezzin lui révéla qu'une affaire grave se passait dans le ciel…p269

ما يوقف انتباهنا في ترجمة هذه الجملة، هو تراوح الترجمة ما بين الحرفية المطلقة من خلال نقل مفردة "المؤذن" إلى اللغة الفرنسية نقلا صوتيا إلى "muezzin"، والترجمة بإيجاد المكافئ اللغوي من خلال ترجمة مفردة " المئذنة" إلى "minaret".

إنّ هذا التراوح مابين الأمانة للحرف والحرية في اختيار المكافئ اللغوي الأقرب، لهو من صميم العملية الترجمية؛ الأمر الذي تؤكده "**ماريان ليديرار**"**(Marianne Lederer):**

« *Tout traduction comporte une alternance entre des correspondances (fidélité à la lettre) et des équivalences (liberté à l'égard de la lettre).* » (2)

---

(1) REDOUANE, Joëlle : La traductologie science et philosophie, office des publications universitaires, Alger, p.3.

(2) LEDERER, Marianne. La traduction aujourd'hui, le model interprétatif, Paris, Hachette-livres, 1994, P.84.

« تتضمن كلّ ترجمة تناوبا ما بين التطابقات (الأمانة للحرف)، والمكافئات (التحرر من الحرف).» ترجمة

أمّا " **تيتلر** " **(Tytler)** فيرى أنّ: « *الترجمة الجيدة هي تلك التي تنقل بصورة تامة مميّزات العمل الأصلي إلى لغة أخرى بصورة تجعل قارئ الترجمة يفهمها بوضوح، ويحسّ بها بقوة تماما كما يفهمها ويحس بها أهل لغة المادة المترجمة في صورتها الأصلية*» [1]

ولا سبيل أضمن من الحرفية لنقل الخصوصيات الثقافية لأمّة من الأمم، فالمترجم يحاول نقل النص الأصلي بأمانة، لتصل صورته ومعانيه بكلّ بوضوح للقارئ الأجنبي، الذي يجهل أحيانا كثيرة فضاء الآخر وكلّ ما ينطوي عليه من غرابة.

هذه الغرابة التي تبرز الاختلاف بين بيئة النص الأصلي والنص المترجم، تقدم في كثير من الأحيان صورا من صميم حضارة الشعوب، وقد لمسنا ذلك في مثالنا؛ أين احتفظ المترجم بمفردة "مؤذن"، التي تتفرّد بها البيئة الإسلامية، مبرزا اختلاف الثقافتين والحضارتين، ويتحدث "**همبولت**" **(Humboldt)** عن عنصر الغرابة وعلاقته بالنص المترجم:

« *Le texte traduit doit certes paraître étranger mais sans produire une impression d'étrangeté* » [2]

« يجب أن يظهر النص المترجم أجنبيا، من غير خلق انطباع بالغرابة» ترجمة

وقد سألنا المترجم "**فرانسيس غوان**" **(Francis Gouin)** كيف يترجم المفردات العربية، التي تحمل في طياتها شحنة ثقافية أو دينية لا تتوفر عليها الثقافة المستقبلة، فردّ بأنّه: « *يعتمد على الرصيد المعرفي المتوفر لديه، وفي حين عدم توفر مكافئ يبحث عن لفظ مقارب ويرفقه بشرح، حتى أنه في بعض الأحيان من الأحسن ترك الكلمة الأصلية على حالها.*» [3]

---

[1] نيومارك بيتر : اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة. ترجمة د. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ص.15.

[2] BERMAN, Antoine : La traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain, Seuil, Paris, novembre 1999, p.79.

[3] راجع الحوار الذي أجري مع فرانسيس غوان مترجم رواية "في الطفولة"، الملحق رقم01.

خاتمـــــــــــة

يتضح مما سبق أن الترجمة أداة مهمة لمواكبة الحركة الفكرية و الثقافية في العالم من خلال ما تقدمه من إسهامات في شتى الميادين العلمية منها و الأدبية؛إذ تضمن تواصلا أكبر بين شعوب العالم على اختلاف لغاتها و لهجاتها و عاداتها و تقاليدها.ويعتبر المجال الأدبي من أخصب المجالات وأغناها ترجمة منذ القديم، نظرا لتعدد ثقافات العالم؛ التـــي كانت تتداخل حينا وتتنكر لبعضها أحيانا أخر بسبب الاختلافـــات الماديـــة والاجتماعيـــة والبيئية والأيديولوجية بين الشعوب والثقافات، ولأن اللغة لاتوجد بمعزل عن ثقافة الشعب الذي تنتمي إليه، فقد تأثرت الترجمة بذلك التداخل والإنكار، لتـــأتي إســـهامات رجـــالات الأدب و الترجمة متراوحة بين الانقياد المطلق للنص والثقافة الأصليين و حرية التصرف فيهما بحسب تباين القيم الاجتماعية و الثقافية للشعوب. و هذا مالاحظناه من خلال المدونة التي تعرضنا من خلالها إلى تلك العقبات و المشاكل التي تعتري المترجم أثناء أدائه للفعل الترجمي، لا سيما في المجال الأدبي و مدى ارتباط هذا المجال بنظريـــة التلقـــي، التـــي استغلت الترجمة أفكارها و مبادئها من خلال التأكيد على دور القـــارئ، و بالخـــصوص المترجم، باعتباره قارئا متلق بالدرجة الأولى، يتفاعل مع النص مـــن خـــلال القـــراءات الأولية ثم يحلل و يؤول المعاني الظاهرة و الخفية عبر القراءة العميقة للنص، مماّ يـــسفر عن الولوج إلى مقاصد المؤلف و بالتالي تقديم نص مترجم يضاهي الـــنص الأصـــلي, وينقل خصوصياته الثقافية وفقا للمنهج المناسب.

ومن خلال دراستنا، يمكن القول أن مترجم رواية«**في الطفولة**» من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، قد وفق إلى حد بعيد في نقل خصوصيات و ثقافة المغـــرب و البيئـــة المغربية، مضيفا نكهة محلية مغربية على ترجمتها، من خلال إيراده لـــبعض المفـــردات غير المألوفة للقارئ الفرنسي، مجسدا بذلك الثقافة المصدرية، و منتهجا في غالب الأحيان منهج الحرفية بمختلف أشكاله؛ فكان الاقتراض اللغوي للمفردات و الاستعارة التعبيريـــة

للعبارات القرآنية على وجه الخصوص أكثر ما شد انتباهنا، ناهيك عن اللجوء أحيانا قليلة إلى انتهاج المعادلة اللغوية مبتعدا عن أي تصرف مهما كان شكله.

إن المفردات و التعابير في النص الأدبي عموما، و السيرة الذاتية خصوصا تحمل في طياتها مخزون ثقافي و تراثي معين، تتكئ عليه عناصر الجملة و النص, و للحفاظ على جمالية النص المنقول, و لتعريف القارئ الأجنبي بخصوصيات الثقافة العربية المغربية الغريبة عن أفق انتظار الأجنبي, جاءت المفردات و التعابير في النص المترجم في حلة عربية، امتزجت فيها اللغة الفرنسية بالمحاكاة العربية للمفردات و التعابير كما سبقت الإشارة إليه، في إطار تزاوج الثقافات و عدم إنكار الآخر. وتجدر الإشارة هنا، إلى كل تلك المفردات التي يعتمدها المعجم الفرنسي، ذات الجذور و الأصول العربية و التي غدت جزءا لا يتجزأ من اللغة الفرنسية.

و هنا يبرز الدور المنوط بالمترجم، الذي ينبغي أن تكون معرفته بالثقافتين متوازية إلى حد كبير، حتى لا يجرّد النص من روحه الدلالية، بسبب تلك الفروق الثقافية و الحضارية بين النص الأصل و النص الهدف.

و خلاصة القول, إن المترجم «**فرانسيس غوان**» « **Francis Gouin**» قد نجح إلى حد كبير في ترجمته لرواية «في الطفولة» للكاتب المغربي عبد المجيد بن جلون؛هذه الرواية التي لا تزال ليومنا هذا و رغم مرور السنين الطوال على تأليفها إحدى أهم الروايات التي يرتكز عليها المنهج الدراسي في بلاد المغرب الشقيق.فقد استطاع المترجم أن يحافظ على انفعالات و عواطف النص الأصلي، ويبدو من الوهلة الأولى تمكنه من اللغتين العربية و الفرنسية على السواء، كما أنه يحظى بثقافة واسعة من حيث الإلمام بتاريخ و عادات و تقاليد و حضارة الشعب الذي يترجم من لغته، ناهيك عن اطلاعه على كتاب هذه الأمة و دينها، مما أعانه على حسن ترجمة تلك التعابير المستقاة من القرآن الكريم، والتي استعان بها كاتب الرواية في كثير من الأحيان، فجاءت ترجمته موافقة للسياق العام للأفكار، لا نجد فيها احتمال أكثر من معنى أو غموضا أو تشتتا بالإضافة

إلى استعانته في كثير من الأحيان بملاحظات جمعها في آخر الكتاب، يشرح فيها كل ما جاء من ألفاظ غريبة عن أفق القارئ الأجنبي.

وتجدر الإشارة في آخر المطاف، إلى أن المترجم الفرنسي قد أحسن استخدام طرق الترجمة الحرفية، متحريا الأمانة في نقل الغريب من الألفاظ، مسهما بذلك في التعريف بالثقافة المغربية؛ فجاءت ترجمته موضوعية، لم ينحاز أو يتعصب فيها لرأي أو مذهب، حافظ من خلالها على الخصوصيات الثقافية الواردة في الرواية، لنخلص في الأخير بقولنا انه لكل مترجم طريقته الخاصة في الترجمة، قد يلجا إلى سبيل من سبل الترجمة بحسب الحالة التي تعترض طريقه عند أداءه الفعل الترجمي، فقد يلجا إلى الحرفية تارة والى التصرف أو المعادلة أو الاقتراض الخ تارات أخرى، وهذا رأينا الخاص في الترجمة عموما وفي الترجمة الأدبية خصوصا التي تعد من أعسر أنواع الترجمة، وباب التنظير في هذا المجال مفتوح لكل من كابد الترجمة، لأن ما نعتبره صوابا إلى ابعد الحدود، انه لا يمكننا وضع قواعد أو نظريات في مجال ما دون المرور من باب التطبيق فيه، ومجال التنظير في الترجمة نسبي قد يصيب منظر ما في وضعه لقواعد ومناهج لتتبع عند أداء الترجمة وقد يخطئ، ورأينا يوافق إلى حد ما ما ذهب إليه **جون دوليزل (Jean Delisle)** بقوله :

« *En fait, comme l'a écrit pertinemment Christian Berner dans sa présentation de la conception du traduire de Friedrich Schleiermacher, la traduction est* « une activité où l'on suit des règles sans disposer de règles pour appliquer les règles » »[1]

« في الواقع، وكما كتب ذلك **كريستيان بيرني** عند عرضه لتصور الفعل الترجمي لدى فريد ريش شليرماخر "إن الترجمة نشاط أين نتبع القواعد دون امتلاكنا لقواعد لتطبيق القواعد" » ترجمة

[1] Jean Delisle « L'évaluation des traductions par l'historien » Meta, vol. 46, n° 2, 2001, p. 209-226.

قائمـــــة المصـــــادر و المراجـــــع

قائمـــــة المراجـــــع باللغة العربية :

1 – الخوري شحاذة : الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف الطباعة والنشر، سوسة/ تونس، 1988.

2– الخوري شحاذة : دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، القسم الثاني. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

3– الخوري شحاذة : دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس، دمشق، 1989 .

4– الديداوي محمد : الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، 2000.

5– الديداوي محمد : الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ لبنان، 2000.

6– الديداوي محمد: علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، سوسة، 1992.

7–الصبيحي محمد الأخضر :المناهج اللغوية الحديثة في اللسانيات،جامعة قسنطينة

8– الواد حسين: في مناهج الدراسات الأدبية، ط2، منشورات الجامعة، تونس، 1985.

9– بلمليح إدريس: القراءة التفاعلية – دراسات لنصوص شعرية حديثة– ، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2000

10– بوحسن أحمد: في المناهج النقدية المعاصرة، ط 1، دار الأمان، الرباطا المغرب،2004 حسن حنفي قراءة النص الهرمينوطيقا والتاويل، ط2، الدار البيضاء،دار قرطبة للطباعة والنشر 1993- 11

12– حسن محمد عبد الغني: فن الترجمة في الأدب العربي، طبعة منقحة مزيد عليها خمسة فصول، دار المطابع والمستقبل، الإسكندرية/ القاهرة، 1986.

13– حميد لحمداني : الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985

14- جيلالي كدية: الترجمة بين التلقي والتأويل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

15- جين ب. تومبكنز: نقد استجابة القارئ في الشكلانية الروسية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة ناظم علي حاكم، المجلس الأعلى الثقافة، بغداد، 1999.

16- روبرت سي هولب: نظرية الاستقبال- مقدمة نقدية-، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، ط1، دار الحوار والنشر للتوزيع، 1992.

17-شيخ الشباب عمر: فصول في التأويل ولغة الترجمة، دار الحصاد، دمشق، ط1، 2003.

18- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002

19- عبد المجيد بن جلون: في الطفولة، مطبعة الاطلاس/الميدي، الدار البيضاء، 1957.

20- عبده عبود : هجرة النصوص – دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي- منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995.

21- عقار عبد الحميد: الرواية المغاربية، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1،(2002).

22- كيليطو عبد الفتاح: لن تتكلم لغتي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002.

23- لوشن نور الهدى: علم الدلالة-دراسة وتطبيق- ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002.

24- محمد عناني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1997.

25- محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات القراءة بين المذاهب الحديثة وتراثنا النقدي -دراسة مقارنة-، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.

26- مريم سلامة كار: الترجمة في العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة،

دمشق،1998

27- مونان جورج: مفاتيح الألسنية، تعريب الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981

28- نيوبرت ألبرت و غريغوري شريف: الترجمة وعلوم النص، ترجمة محيي الدين حميدي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض،2002

29 - نيومارك بيتر: اتجاهات في الترجمة : جوانب من نظرية الترجمة. ترجمة د. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض.

30- يوجين نيدا: نحو علم الترجمة، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، 1976

31-تأليف جماعي: (نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث)، نظرية التلقي-إشكالات وتطبيقات-، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء/المغرب1993

المجلات و الدوريات:

-دفاتر الترجمة:لغات ثقافات وترجمات، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الترجمة،2001-2002

-مجلة المترجم:مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران السانية/الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، العدد 01/02/ 03،يناير/جويلية/اكتوبر2001 ،العدد 06/05،جويلية/أكتوبر2002 العدد07 جوان2003

، العدد10، ديسمبر 2004

-Meta, journal des traducteurs, numéro 3, les presses de l'université de Montréal, Septembre 1984.

-Revue TTR (traduction, terminologie, rédaction), numéro 2, Canada, 2001.

المعاجم والقواميس:

[1]- دانييل ريغ : السبيل،معجم عربي-فرنسي-عربي، مكتبة لاروس،باريس، 1981

- جروان السابق:كنز الطالب،قاموس انجليزي-عربي،منشورات دار

[2]السابق،بيروت/لبنان،1984

سهيل إدريس:المنهل الوسيط،معجم فرنسي-عربي، دار الآداب : للنشر والتوزيع، بيروت//لبنان،ط10،2004

[4] -Galisson,R ;Coste,D ;Dictionnaire de didactique des langues,Hachette,1976

[5]-Kenny, Dorothy, Routledge Encyclopaedia of translation studies, edited by Mona Baker, Routledge, London / New York, 1998

[6]-Lucas, G; Moreau, C; Petit Larousse en couleurs, Librairie Larousse, Canada, 1980

[7]-Mergault Jean ; Dictionnaire Larousse Français-Anglais/ Anglais-Français, Librairie Larousse, Coll.Adonis, Paris, 1981

[8]-Reig, Daniel ; Dictionnaire Larousse Arabe-Français/Français-Arabe,Larousse Bordas,Paris,1999.

قائمـــــة المراجـــــع باللغة الأجنبية:

(1). BENETON Pierre, Histoires des mots : culture et civilisation, Presses de la FNSP, Paris, 1975.

(2). BENSIMON Paul, palimpsestes : traduire la culture, n° 11, Presse de la Sorbonne nouvelle, Paris, 1998.

(3). BERMAN Antoine : L'épreuve de l'étranger, Gallimard, Paris, coll. Essais, 1984.

(4). BERMAN, Antoine : La Traduction et la Lettre ou l'auberge du lointain, Seuil, Paris, 1999.

(5). BERMAN, Antoine. Pour une critique productive des traductions : John Donne, Paris, NRF Gallimard, 1995.

(6). CATFORD. J.C, A Linguistic Theory of Translation, An Essay in Applied Linguistics, Oxford University Press, 1980.

(7). DELISLE Jean : L'Analyse du discours comme méthode de traduction, Ottawa, Presse de l'Université d'Ottawa, 1980.

(8). DEPRE OSEKI, Inès : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris, 1999.

(9). EL KOUDIA, Jilali : 'The Aesthetics of Reception', Théorie de la Reception-Problématique et Pratique-, Edition Najah el jadida, Dar el Beida/ Rabat, 1993.

(10). GERMAIN, Claude : Sémantique Fonctionnelle, Presses universitaire de France, Paris, 1981.

(11).GOUIN, Francis ; Enfance entre deux rives, société Marocaine d'édition Wallada, Casablanca, 1992.

(12). HAMIDALLAH Mouhammad : Le Noble Coran et la traduction en langue française de ses sens, Complexe Roi Fahd pour l'impression du noble coran, Al-Madinah Al-Munawwarah, 2000.

(13). HATIM, Basil and MASON, Ian: Discourse and the Translator, Longman Group, UK, 1990.

(14). HERIPAGEAUX, Daniel : La littérature générale comparée, Armand Colin, Paris.

(15). IZER, Wolfgang : L'acte de la lecture. Théorie de l'effet esthétique, traduction evelyne sznyyeer, Bruxelles, Edit. Pierre Margarda, 1976.

(16). LADMIRAL, Jean-René, Traduire : théorèmes pour la traduction, Gallimard, France, 1994.

(17). LEDERER, Marianne. La traduction aujourd'hui, le model interprétatif, Paris,

Hachette-livres, 1994.

(18). MESCHONNIC, Henri. Pour la PoétiqueII, Gallimard, Paris, 1973.

(19). MESCHONNIC, Henri. Pour une Poétique du Traduire, éditions Verdier, France, 1999.

(20). MOUNIN, George : Linguistique et Traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles.

(21). MOUNIN, Georges : Les Problèmes Théoriques de la Traduction, Gallimard, paris, coll. Bibliothèque des idées, 1963.

(22). NIDA, Eugène & TABER, Charles: The Theory and Practice of Translation, Leyde, Brill, helps for translators, vol II, 1969.

(33). PORCHER, Louis : Le Français langue étrangère, Hachette éducation, Paris, 1995.

(23). REDOUANE, Joëlle : Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger.

(24). STEINER, George : Après Babel, pour une poétique du dire et de la traduction, traduit par Lucienne Lotringer et Pierre Emmanuel Dauzat, Albin Michel, 1998.

(25). VINAY. J et DARBELNET.J: Stylistique comparée du français et de l'anglais, méthode, Didier, Paris, Bibliothèque de stylistique comparée, 1977.

Articles et revues

(1). Depré Oseki,Ines , Questions de traductologie, Université de provence ,Paris, 2001-2002.

(2).Gravier, M Paillart, S, études traductlogiques- textes réunis par Marianne Lederer-cahiers Chompollion, Paris, Novembre 1990.

(3).Palimpsestes : traduire la culture, N° 11, presses de la Sorbonne Nouvelle, Paris, 1998.

(4).Salah,Mejri, Traduire la langue, traduire la culture, Sud éditions/Maisonneuve et Larose,Tunis, Paris,2003.

Sites Internet

www.google.com

www.erudit.org

الملاحق

الملحق الأول:

حوار مع مترجم الرواية فرانسيس غوان Francis Gouin (*)

E : Voulez vous bien vous présenter ?

F.G : Je m'appelle Francis Gouin, je suis né à Rabat au Maroc le 09 Juin 1936.

E : Ou avez-vous grandi et appris l'arabe ?

F.G : J'ai grandi dans ce qu'on appelle au Maroc le bled, c'est-à-dire la compagne, la région lointaine de Rabat dans une ferme, mon père était agriculteur. J'ai commencé à parler l'arabe avec les paysans marocains de la région et puis je l'ai appris sérieusement dans ma jeunesse lors de mes études universitaires, je l'ai appris en partie en Tunisie, en partie au Liban et au Maroc ; c'était des institutions pour étrangers.

E : Quel est votre niveau d'instruction, vos diplômes ?

F.G : Je pense que c'est la licence, parce que j'ai trois licences différentes.

E : En quoi s'il vous plait ?

F.G : En littérature, littérature autrefois ça s'appelait littérature et langue française et latine et grecque ; une licence en philosophie et une licence de théologie.

E : Ou avez-vous suivi vos études supérieures ?

F.G : Je les ai faites en partie à Paris à la Sorbonne, et au Massif central et en dernier lieu à Lyon.

(*)Pour information Cette interview est disponible en version audio.

E : Qu'avez-vous exercé comme profession ?

F.G : J'étais enseignant dans un lycée pendant un certain nombre d'années, ensuite je suis devenu animateur dans un centre de recherche et ensuite dans un centre pour jeunes étudiants.

E : Combien de langues vous maîtrisez et lesquelles ?

F.G : Je pense que je maîtrise le Français, mais j'ai un bon niveau en Anglais, en Arabe, en Latin et un niveau je dirais de débutant avancé en Espagnol. J'ai eu un bon niveau en Grec autrefois, mais ça c'était y a longtemps !

E : Qu'exercez vous maintenant ?

F.G : Actuellement j'ai diverses activités ; activités culturelles ainsi que d'autres activités au sein de mon groupe : les Jésuites.

E : C'est surtout des activités religieuses ?

F.G : Ce sont aussi des activités administratives à l'intérieur du groupe.

E : Quand est ce que vous êtes venu en Algérie ? Et pourquoi Constantine ?

F.G : Je suis venu en Algérie en Septembre 2002, à la demande de mes confrères, qui avaient besoin de quelqu'un pour les remplacer. Je suis venu volontiers, car j'ai déjà visité Constantine deux fois, il y a 40 ans, et j'ai été très impressionné par la ville et par le type de vie manié par mes confrères en plein vieille ville, sur le vieux rocher, tout a fait au milieu de la population traditionnelle.

E : Qu'est ce qui vous a poussé à apprendre l'Arabe ? Et avez-vous rencontré des difficultés ?

F.G : J'ai décidé d'apprendre l'Arabe quand ma carrière s'est orientée vers une carrière au Maroc, car jusqu'à l'age de 28 ans, ce n'était pas sûr. Il m'a semblé évident de connaître l'Arabe littéraire et l'Arabe dialectal.

Non, je n'ai pas rencontré de grandes difficultés, ça ma semblé assez naturel ; n'oublions pas que l'Arabe est ma première langue étrangère, la première langue que j'ai parlé chronologiquement après la langue de ma mère.

J'ai parlé un peu d'Arabe à 3ans / 4ans, et c'étais la quatrième langue étrangère que je parlais.

E : Aviez vous une idée des différents aspects de la culture Marocaine avant de traduire des œuvres de ce pays ?

F.G : Oui, oui je connais une bonne partie de la culture marocaine ; dans le sens où je suis né au Maroc, j'y ai vécu très longtemps et j'ai commencé à traduire vers 1985, j'avais donc une bonne connaissance appréciable de cette culture.

E : Pouvez vous nous citer quelques traits de cette culture ?

F.G : La culture Marocaine comme la culture Algérienne a des facettes, des aspects multiples et j'ai toujours était très intéressé et même passionné par la littérature orale en Darija. Ça m'intéresse beaucoup et j'ai appris de nombreuses histoires en Darija Marocaine qui est proche de l'Algérienne, ainsi que de nombreux proverbes. Tout comme j'ai lu un certain nombre d'écrivains Marocains soit en Français, soit quelques uns en Arabe.

E : Avez-vous suivi une formation en traduction ?

F.G : Je n'ai pas suivi une formation dans une école de traduction comme ça se fait à l'université, mais la traduction faisait partie de notre programme

au lycée, quand on apprenait le Latin, le Grec et l'Anglais, on passait par la traduction et on avait une vraie formation en traduction.

En latin et en Grec, je l'ai fait jusqu'à l'université, donc je peux dire que j'ai une formation en traduction.

E : Quel est votre concept de la traduction ?

F.G : C'est un concept large ; la traduction idéalement est de faire passer d'une langue d'origine dans une langue réceptrice un message, qui peut être une œuvre littéraire, ou autre chose en faisant passer l'idée, c'est-à-dire, le contenu.

Mais dans le cas des œuvres littéraires en essayant aussi d'être fidèle au contenant et à la forme, ce qui pose un grand problème dans beaucoup de cas.

E : Pour quelle raison vous avez choisi " في الطفولة " ?

F.G : Quand j'ai commencé à traduire, à la demande d'autres personnes au Maroc ; l'idée était de traduire vers le Français des œuvres majeures de la littérature Marocaine écrites en Arabe. Il se trouve qu'un certain nombre de textes avaient étés proposés pour la traduction à l'UNESCO et « في الطفولة » en faisait partie en deuxième où troisième position. C'est un récit autobiographique, l'un des premiers grands textes Arabes au Maroc d'après l'indépendance et il a été enseigné pour les élèves Marocains des années 1970's et 1980's, c'était une œuvre majeure qui faisait longtemps partie du programme de lycée.

J'étais au Maroc et je viens de voir qu'il a été réédité encore une fois, c'est au moins une troisième réédition sinon une quatrième.

L'UNESCO a un programme de traduction d'œuvres représentatives et il avait demandé à des intellectuels Marocains de lui présenter une liste d'ouvrages que l'UNESCO pourrait encourager la traduction et éventuellement la subvention.

E : Avez-vous eu le moindre contact avec l'auteur de cette œuvre ?

F.G : Et bien malheureusement, Abd El Madjid Ben Jelloun était décédé quelques années avant que je traduise son œuvre. Il est mort en 1981, donc quatre ou cinq ans avant que je traduise.

J'ai entendu parler de lui, c'était un écrivain Arabophone qui a beaucoup travaillé à l'indépendance du Maroc, il a écrit aussi des œuvres romanesques.

J'ai simplement rencontré quelques personnes de sa famille, en vue de la traduction et publication.

E : Avez-vous côtoyé d'autres écrivains et auteurs maghrébins ?

F.G : J'ai connu personnellement le premier écrivain que j'ai traduit, qui s'appelle

Abd El Krim Ghaleb, dont j'ai traduit le roman « دفنا الماضي » intitulé en Français « Le passé enterré ». C'était le rédacteur chef du journal *Al Alam*, un monsieur uniquement Arabophone et son livre été présenté à l'UNESCO.

E : Combien de temps vous avez passé à traduire l'œuvre de Ben Jelloun ?

F.G : Je n'ai pas de souvenirs précis, je ne me rappelle pas d'autant que je n'ai jamais fait ce travail à temps plein. C'était toujours quelque chose que je faisais avec d'autres activités.

Je pense que j'y ai travaillé à peu prés six mois, mais la relecture, les retouches, le deuxième jet, la correction, ça s'est étalé certainement sur plus d'une année. Quand on relit une traduction qu'on a déjà fait on a toujours envie de la retoucher, même aujourd'hui, la plupart de mes traductions j'aurais envie de les retoucher, sauf peut être celle ci.

E : Pourquoi choisir «Enfance Entre Deux Rives » comme titre de l'œuvre traduite ?

F.G : C'est une bonne question ! «Fi Toufoula » se traduit normalement par « Dans L'enfance » ou « Au Sujet de L'enfance ». Mais quand j'ai eu fini la traduction ; en parlant avec des amis, des hommes de lettres cultivés, on s'est dits que ce titre en Français ne passait pas , et quelqu'un un jour m'a dit : il faut faire mention des *deux rives*. C'est-à-dire du pole occidental et du pole oriental de la vie de l'auteur, car sa caractérise le livre et c'est un thème très important

pour notre peuple ; donc on a gardé le mot *enfance* et on a ajouté ce qui est original *entre deux rives*.

E : Quel genre de difficultés vous avez rencontré lors de la traduction de ce roman ?

F.G : Je n'ai pas de souvenirs net à ce sujet. Il ma fallu faire quelques recherches biographique et historique sur la partie de l'enfance de l'écrivain, qui se passe en Angleterre car il parle de lieux que j'ignorais, de vie et de conditions que je connaissais pas. J'ai fais quelques recherches sur les émigrés Marocains en Angleterre dans les années 1930 environ.

La langue du texte n'est pas très difficile, donc je n'ai pas rencontré de grandes difficultés.

E : Je veux parler de difficultés d'ordre linguistique et différences culturelles ?

F.G : Y a toujours des différences d'ordre culturel et linguistique entre le texte original et la langue d'arrivée, c'est l'un des problèmes fondamentaux de la traduction. Mais pour moi ce ne sont pas des difficultés, puisque je suis né et était élevé au Maroc, je suis moi-même un homme entre deux rives !

Une de mes amis au Maroc, qui est elle-même écrivain, aime parler de *l'entre deux* et je suis moi-même un homme d'entre deux ; par ma vie, par ma culture. Alors ces différences, je les trouve naturelles et normales ; elles ne me posent pas de problèmes.

E : D'après vous, quelles sont les qualités d'un bon traducteur ?

F.G : Tout dépend dans quel domaine et dans quel genre littéraire on travaille. Un traducteur politique devra faire très attention à rendre exactement la pensée, un traducteur commercial devra viser à la clarté et à la précision, le traducteur d'une œuvre littéraire doit essayer de rendre la sensibilité du texte, non seulement son message mais sa sensibilité.

Un texte littéraire exprime une sensibilité et doit essayer de la rendre, sinon la traduction n'est pas bonne, elle est infidèle. Donc un traducteur doit bien connaître les deux langues, les nuances dans les deux langues et être sensible aux qualités esthétiques du texte et bien les rendre dans la langue d'arrivée.

E : Vous vous estimez comme un professionnel de la traduction ou comme un artiste ?

F.G : je me qualifie plutôt comme un amateur en traduction car j'ai traduit quelques textes. J'ai pas eu une formation proprement professionnelle comme certains, d'autre part ce n'est pas mon gagne-pain, je n'en ai pas fais je dirais des quantités industrielles.

Je me considère comme un bon amateur en traduction, comme il y a de bons joueurs en tennis amateurs, comme il y a de bons cavaliers amateurs et même y a de bons musiciens amateurs.

E : Quel regard vous portez vis-à-vis de la littérature Arabe en général ; la littérature Maghrébine et littérature traduite en particulier.

F.G : La littérature Arabe est un monde, *bahr (بحر)* !une mer ! Sa grande époque appartient au passé, les plus grandes gloires de la littérature Arabe sont du troisième et quatrième siècle de l'Hégire. Et à l'époque moderne, récente y a eu la Nahdha, y a eu une véritable renaissance de la littérature Arabe, mais elle n'a pas encore retrouvé la maturité qu'elle avait presque maintenant mille ans.

Il y a une littérature Arabe d'aujourd'hui qui se crée et pas essentiellement dans les pays du Moyen Orient, je pense particulièrement à l'Egypte, mais aussi à la Palestine, la Syrie et cette littérature Arabe est très respectable.

Le problème de la littérature Arabe est qu'elle a besoin d'être traduite pour être connue, elle n'est connue que des Arabophones, même pas de tous les Arabophones ! Puisqu'elle a le problème de ne pas être connue de ceux qui n'ont pas fais des études un petit peu poussées. Elle a besoin d'être traduite pour

être lue par les occidentaux et beaucoup de grandes œuvres ont étés traduites et le seront !

E : Pour la littérature Maghrébine ?

F.G : La littérature Maghrébine ; on pourrait presque dire qu'elle est jeune, de naissance récente. En effet, dans les temps anciens il y en a eu peu. Alors y a eu quelques noms, tout le monde connaît Ibn Khaldoun, Ibn Arabi, ce sont quelques grands noms qui émergent ; donc Ibn Arabi c'est la littérature mystique, Ibn khaldoun c'est ce qu'on appelle de la sociologie, il y avait le genre des Rihlat ,voyages comme Ibn Batouta. Autrement on pourrait presque dire que la littérature d'autrefois est inexistante car l'écrit était essentiellement religieux et juridique.

La littérature proprement dite, on pourrait dire qu'elle est née dans l'époque coloniale dans les deux langues ; le Français et l'Arabe, puisque le Français est devenu une langue authentique.

La littérature Maghrébine est encore jeune, elle est encore en constitution, elle n'a pas encore atteint sa maturité et les écrivains Maghrébins n'ont pas atteint l'ampleur des auteurs écrivains Arabes, car nous sommes des pays de culture jeune. Y a beaucoup de gens qui écrivent, mais ceux qui ont atteint le niveau de ce qu'on appelle littérature, des textes dont on espère qu'ils resteront plusieurs générations sont peu.

E : vous avez lu des livres d'auteurs Maghrébins traduits en Français ?

F.G : Oui, j'en ai lu un certain bon nombre ; des textes comme Les Milles et Une Nuit traduite par Galland, et en Arabe j'ai lu kalila wa Dimna, Taha husseyn, Najib Mahfoudh…

E : Votre Théorie personnelle pour une bonne traduction ?

F.G : Connaître les deux langues, connaître mieux la langue d'arrivée, savoir pourquoi on traduit et pour qui on traduit. La traduction a un but, une traduction comporte toujours des choix, car on ne peut pas tout traduire, même une page de journal on a amplement le choix. On ne peut pas tout rendre, on ne peut pas donner une réplique comme un miroir de l'original. Une traduction comporte une sélection de choix, donc quel choix fait on ? Et bien ça dépend des projets qu'on a en traduisant et quel public on vise. Dans un texte vraiment littéraire, une traduction académique cherchera la fidélité maximale au texte, une traduction qui vise le grand public visera à procurer une lecture agréable et cela supposera un texte plus fluide, un texte qui soit vraiment dans sa langue d'arrivée, qui paraisse avoir été écrit dans cette langue. Il sera donc un peu moins fidèle à l'original et ça suppose des choix, ces choix il faut les réfléchir.

E : Comment reçoit on la littérature Arabe traduite, en Occident ?

F.G : Elle est bien reçue mais par un public limité; par ceux qui s'intéressent au monde Arabe, au Maghreb.

E : Quel est le genre de difficultés qu'un lecteur Occidental rencontre en lisant une œuvre Arabe traduite, surtout les œuvres Maghrébines ?

F.G : Il peut rencontrer des difficultés d'ordre culturel, c'est-à-dire ne pas comprendre un mot, un concept, un objet ; c'est pour ça qu'il est souvent bon d'ajouter des notes explicatives à propos de certains nombres de mots ou de notions. C'est la principale difficulté, ces textes sont écrits dans un monde culturel et sont lu dans un monde culturel différent.

E : Il y a des termes Arabes qui portent un bagage culturel ou religieux inexistant dans la tradition Occidentale, comment vous procédez pour choisir les termes adéquats ?

F.G : C'est l'une des difficultés techniques de la traduction, on travaille avec le bagage qu'on a, quand il n' y a pas d'équivalent on cherche un terme approchant

et on met une note explicative, parfois même la meilleure solution est de laisser le mot d'origine et ça m'est arrivé. Il arrive qu'on fasse le sacrifice de l'exactitude technique pour remplacer un mot par quelque chose qui lui ressemble un peu.

E : En traduisant des œuvres Arabes ; Fi Toufoula en particulier, vous avez rencontré des termes d'origine Coranique. Comment vous procédez pour les traduire ?

F.G : Presque tous les mots de la langue Arabe sont des mots du Coran, mais certains mots tout de suite font penser à un versé particulier, alors à ce moment là, si on est un bon connaisseur du Coran, on s'en aperçoit et la traduction sera influencée par cela.

Je ne connais pas le coran à 100% mais il me semble que je repère facilement les termes dits Coraniques, et à ce moment là je me réfère au texte du Coran en Arabe et je vais chercher les emplois du mot dans le Coran. Très souvent j'ai mis en note une référence Coranique.

On ne traduit pas dans ce cas là, par le mot Français qui serait le plus élégant, mais par un mot qui serait à consonance religieuse, qui provoque un petit décalage dans le texte pour indiquer attention là on est dans le langage religieux.

E : Comment vous évaluez votre traduction après sa réception ?

F.G : Certains des lecteurs ont éprouvé à lire en Français, ce que moi j'ai éprouvé en lisant en Arabe, un véritable plaisir, une émotion. Il y a un passage ou l'auteur raconte la mort de sa sœur et c'est un passage extrêmement émouvant, et je crois que la traduction a atteint son but et que des lecteurs ont pleurés.

E : Quel est votre concept des spécificités culturelles ?

F.G : La littérature est une expression ; la culture est l'ensemble des moyens par lesquels un groupe d'hommes expriment ce qu'il vit, il y a la langue, la musique, les vêtements, la nourriture l'habitat…

Il y a des sous cultures, c'est-à-dire culture restreinte. On peut dire que le monde des Aurès, des Chaouia a sa culture propre, qui donnera des poèmes, des contes différents mais elle fait partie de la culture Algérienne, tout comme il y a la culture Kabyle. Différentes cultures qui composent une culture Algérienne globale.

La littérature est une partie, on entend par littérature une expression écrite ou orale qui aboutit à l'écrit, qui se compose de poésie, récits romanesques ; romans, nouvelles, des essaies philosophiques et tout ceci est une émanation, une partie et un produit d'une culture particulière. Par exemple, Mouloud Feraoun, Mouloud Maameri, c'est des écrivains Algériens, c'est une littérature Algérienne marquée par un trait Kabyle.

E : vous pouvez nous parler des différents pas que vous avez entrepris lors de la traduction de cette œuvre, du début jusqu'à la fin ?

F.G : Les pas classiques sont d'abord de lire l'œuvre, de la lire même plusieurs fois. Le deuxième pas, moi personnellement je travaille en faisant un premier jet, c'est-à-dire une première couche de traduction ou je m'efforce de rendre fidèlement le texte. Autrement dit, de transposer en Français exactement ce que je trouve dans le texte Arabe, exporter le maximum du contenu du texte. Ensuite, y a la rédaction du deuxième jet, qui est aussi important que le premier. A partir de ce texte qui pourrait être correcte mais qui n'est pas trop lisible par un lecteur non initié, à ce moment là, il faut arriver à une œuvre en Français. Alors il y a là tout un travail de réécriture qui me prend beaucoup de temps.

Entre le premier et le second jet, j'ai besoin d'un peu de temps. En cette deuxième phase, je ne m'occupe plus du texte original, car il est reflété dans mon texte et j'essaie d'arriver à un texte qui d'après mon jugement sera un texte agréable à lire pour un lecteur Français d'aujourd'hui, pas celui d'hier, ni celui

de demain et c'est là tout le problème de la traduction ; la langue évolue et la manière de lire, de s'exprimer évolue. C'est pour ça qu'il peut y avoir plusieurs traductions successives du texte en fonction de l'époque.

Quand le texte original est difficile, la première partie est difficile, mais la partie la plus longue est la deuxième, car il faut repenser le texte en fonction du lecteur Français et donc ne pas hésiter à modifier la rédaction, la manière dont les choses furent dites. Parfois on se trouvera prés du texte, parfois on se retrouvera assez loin de l'exactitude des phrases.

Après vient la correction grammaticale et orthographique. En gros quatre phases de travail.

E : Qu'est ce qui vous pousse à traduire telle ou telle œuvre ?

F.G : Les deux premiers textes que j'ai traduit ; Fi Toufoula et Dafana el Madhi, ils m'ont été proposés et suggérés ? Ensuite j'ai traduit des textes que j'aimais pour le plaisir et j'ai eu des déceptions, certains travaux sont restés inutiles et n'ont jamais étés publiés.

E : Vous pouvez nous citer les titres de quelques œuvres que vous avez traduits et qui sont publiés ?

F.G : J'ai traduit *Dafana el Madhi* de Abd El Krim Ghaleb, publié en 1987 sous « *Le passé entéré* ».

Fi Toufoula de Abd El Majid Ben Jelloun, publié en 1993. J'ai traduit « *l'œil de la jument* » publié en 1993 aussi, *Hadith El Atama* de Fatima benwuiye, c'est le témoignage d'une femme qui a fait de la prison politique, traduit en « *Une Femme nommée Rachid* ». J'ai aussi traduit un recueil de nouvelles, *El Moumkin Mina El Moustahil* de Abd El Jabar Sehimi, traduit par « *Vous Avez Dit Impossible ?* », Lan Tatakalama Lourati de Abd El Fatah Kélito, sous le titre « *Tu ne parlera pas ma Langue* ». Aussi une douzaine de textes sur Casablanca, fait pour l'institut français de Casablanca.

Je travaille en ce moment sur des livres de Amar El Basri qui est un Arabe chrétien du troisième siècle de l'Hégire.

E : Vous intéressez vous à traduire des œuvres Algériennes ?

F.G : Oui, mais le champ est bien prit par un grand traducteur Algérien qui s'appelle Marcel Bois, qui vit à Alger, et qui a traduit tout les livres de Ben Hadouga et Tahar Ouatar et un livre de Wassini Laraj.

E : Vous le connaissez ?

F.G : Je le connais, oui. Je serais intéressé de traduire des livres Algériens si l'occasion se présente. Mais appart ces trois auteurs, je ne vois pas qui serait intéressant à traduire. Et je ne suis pas connu en plus en Algérie.

E : Merci pour votre attention

الملحق الثاني:

ملخص باللغة الفرنسية

La traduction en tant qu'activité est un outil indispensable de nos jours, vu le progrès que l'homme a atteint, il est essentiel pour un tel ou tel peuple de donner une grande part d'attention à cette activité. Depuis son existence la traduction fut un facteur essentiel dans l'épanouissement et la prospérité des nations, non seulement dans le domaine scientifique, mais aussi dans d'autres domaines qui déterminent le développement ou non d'une telle nation, le domaine littéraire en est un, car la littérature d'un peuple n'est définie comme étant riche que si elle fut en contact avec d'autres littératures d'autres peuples, cela va sans dire que telle littérature n'atteindra la notoriété que si celle-ci est traduite pour être lue, de nos jours une littérature qui n'est pas traduite est une littérature qui risque de disparaître à jamais. Le traducteur a la tache de plus en plus difficile surtout avec l'avènement de nouvelles réflexions et théories qui ont influencé son domaine de travail qui l'incitent non seulement à être fidèle à la lettre de l'auteur du texte source, mais aussi d'être fidèle au lecteur du texte cible qui fut objet de beaucoup d'intérêt de la part des théoriciens.

Dans ce mémoire j'ai abordé le sujet de : Comment les traducteurs traduisent-ils les spécificités culturelles d'un peuple donné pour les faire connaître à un autre peuple de langue et culture différentes tout

en étant fidèle à l'auteur du texte source, ainsi qu'au lecteur du texte cible qui n'attend que lire et comprendre ce que veut l'auteur et de là enrichir son savoir.

J'ai divisé mon mémoire en quatre chapitres, les trois premiers traitent du coté théorique, tandis que le dernier chapitre traite le coté pratique de mon travail. Dans le premier chapitre j'ai parlé de la relation qui existe entre la traduction et la culture, ou j'ai abordé brièvement l'histoire de la traduction dans le monde Arabe ainsi qu'en occident, j'ai aussi abordé le sujet de la culture et de son importance dans le texte littéraire ainsi que le devoir du traducteur en tant que médiateur entre différentes cultures. J'ai aussi parlé des difficultés d'ordre culturel qui font face au traducteur durant l'accomplissement de sa tâche.

Dans le second chapitre j'ai parlé de la relation traduction-littérature tout en mettant l'accent sur l'importance du texte littéraire dans la culture d'une société donnée, car un texte littéraire est la concentration de la culture dans un tout, c'est en quelque sorte le fruit de cette culture, j'ai aussi abordé le sujet de la possibilité et impossibilité de la traduction dans le domaine littéraire avec ses différents genres, et en dernier lieu j'ai parlé des différentes méthodes de traduction selon les courants qui dominent la scène de la traduction.

Le troisième chapitre avait pour sujet la traduction littéraire et la réception où j'ai parlé de cette théorie et de son impact positif sur la

traduction littéraire et son importance majeure dans ce domaine qui a permit le développement des différentes méthodes de traduction. J'ai aussi parlé de l'échange des littératures effectué entre différents peuples en particulier le notre et comment ces échanges sont faits et quel fut le résultat de ces échanges.

Enfin le dernier chapitre du mémoire fut réservé à la partie pratique où j'ai relevé les points de réussite et d'échec du traducteur en incluant les différents commentaires renforcés par les propos de théoriciens du domaine de la traduction.

J'ai aussi inclus dans ce travail l'interview que j'ai effectué avec le traducteur au sujet de son expérience avec la traduction et en particulier la traduction du Roman qui fut sujet de notre étude.

D'abord il faut dire que la traduction fut un sujet d'études non seulement chez les occidentaux, mais aussi chez les Arabes. Il est vrai que ses débuts étaient lents durant l'ère Omeyyade, mais l'ère Abbasside est considérée comme l'ère d'or de la traduction, les Arabes ne se sont pas contenté seulement de traduire, ils ont même donné au terme « Traduire » sa signification appropriée dans leurs dictionnaires, plus encore, ils ont mis au point des essais théoriques contenant les méthodes adéquates pour une parfaite traduction. Quant aux occidentaux la traduction fut très ancienne, durant l'ère gréco-romaine la traduction a atteint son sommet en traduisant la bible et les

textes sacrés, puis après a régné la vision linguistique de la traduction qui considérait cette dernière comme filière de la linguistique et que la linguistique lui procure les essences qui aideraient le traducteur à effectuer sa tâche. Peu après une révolution s'est levée contre cette vision archaïque de la traduction en affirmant que la traduction est une activité sociale et humaine, une sorte de communication entre l'auteur et le traducteur dans un cadre culturel. Les occidentaux ainsi que les Arabes tous avaient pour tâche de trouver la méthode la plus appropriée pour traduire, une tâche qui sera tout aussi difficile pour eux, car ce débat a laissé une multitude d'oppositions entre points de vue de ceux qui optent pour le littéralisme et ceux qui veulent donner libre cours au traducteur dans sa traduction en lui suggérant des méthodes à suivre pour qu'à la fin réalisera une traduction qui reflètera l'original dans sa totalité. Le débat ne s'est pas arrêté à ce point, beaucoup de points de vue qui ont engendrés des théories se sont succédés appelant tout traducteur à les suivre afin de réaliser une bonne traduction.

Beaucoup de théoriciens parlent de la relation traduction-culture cette dernière qui est un élément essentiel pour la traduction, car en traduisant la culture le traducteur doit s'assurer que son lecteur comprenne le sens des mots. C'est la culture qui dirige la compréhension et détermine l'interprétation et aide le lecteur à mieux cerner le sens dans sa totalité.

Le traducteur littéraire a une mission très délicate dans ce genre de traduction, car il sera l'intermédiaire entre différentes nations le dialogue entre nations et peuples ne dépend que de lui, en traduisant, le traducteur doit faire face à différents problèmes venant essentiellement des différences qu'il y a entre celles-ci, traduire un peuple c'est traduire sa littérature et plus exactement sa culture, ce mot qu'on entend ici et là et que la plupart de nous ne réalisent pas à quel point celui-ci est important pour une telle ou telle nation, ce mot qui représente son identité, un seul mot qui englobe un tout, des définitions se sont succédées l'une après l'autre mais toutes se sont mises d'accord en parlant de culture; on dit culture d'un peuple sa langue, sa littérature, son idéologie, sa religion etc. le traducteur sera confronté à maintes reprises à des problèmes d'ordre culturel car il aura pour mission de faire connaître à son lecteur la culture du texte qui l'a traduit, et ça ne sera pas pour lui une tâche facile, car traduire une culture d'un peuple signifierait cerner la majorité de ses spécificités culturelles, savoir une grande partie de sa culture et ce n'est guère donné qu'aux traducteurs chanceux.

Avant de parler de traduction de telle culture, ce qu'il faut considérer avant c'est la langue source de laquelle le traducteur puise la culture ainsi que la langue cible avec laquelle il exprime et présente cette culture, donc voilà le premier problème; maîtriser les deux langues entre lesquelles le traducteur sera l'intermédiaire, ce problème d'ordre linguistique est un grand enjeu pour un traducteur, car beaucoup de

traductions étaient jugées fausses ou incorrectes parcequ'un tel ou tel traducteur a donné un faux sens à un tel mot en utilisant le mot inadéquat etc.

Beaucoup de théoriciens avaient presque un seul avis qu'il n'existe pas un traducteur qui maîtrise parfaitement deux langues, il y a toujours un penchant pour une langue et c'est sans aucun doute la langue maternelle du traducteur, alors il sera probablement plus raisonnable pour les traducteurs de faire l'équilibre entre les deux langues. En traduisant le traducteur doit plonger dans le texte source pour bien cerner ce qu'il contient pour enfin le présenter au lecteur; plonger dans les profondeurs abyssales de l'auteur à travers son texte pour bien cerner le sens qu'il entend et le transmettre au lecteur qui n'attend que ça, et à la fin être satisfait de sa lecture du texte qu'il a entre les yeux, c'est ainsi qu'on jugera que sa traduction est bonne. En exerçant cette activité le traducteur ne compte pas seulement sur son bagage langagier, il aura recours à son bagage cognitif qui entre en action pour l'aider afin qu'il transmette correctement le message à son lecteur, ce bagage cognitif qui comprend des connaissances littéraires, culturelles, historiques etc. qui prêteront main forte au traducteur au cours de sa traduction et dont le traducteur dépend d'une grande partie d'elles, l'enrichissement de ce bagage dépend essentiellement de la capacité du traducteur à assimiler d'autres nouvelles connaissances et de son niveau d'intérêt pour le savoir.

La traduction en tant qu'activité nécessaire est d'une grande importance, il reste au traducteur de bien effectuer cette activité au profit du lecteur, mais avant tout le traducteur lui-même est un lecteur de premier degrés et un auteur de deuxième degrés qui veille à conserver la spécificité du texte source en évitant les barrières qui le privent de bien assimiler le sens et le traduire. Le traducteur offre l'avantage du rapprochement des peuples et leurs cultures malgré les distances qui les séparent, la mission du traducteur sera très difficile surtout quand il s'agit d'un texte littéraire, car un traducteur littéraire ne sera pas satisfait d'une simple traduction tout comme le lecteur, il reste au traducteur la tâche difficile de donner le même impact du texte source sur le lecteur via sa traduction, et cette tâche qui consiste en quelque sorte de déraciner le texte source de son milieu naturel et le planter dans un autre milieu qui lui est complètement étranger par le biais de la traduction est une tâche très difficile pour le traducteur qui trouvera beaucoup de difficultés en effectuant son travail mais à la fin il réussira à organiser la rencontre entre les deux cultures et leurs peuples.

En parlant de difficultés qui font face au traducteur lors de sa traduction, il faut bien distinguer les différences entre les cultures, il est souvent facile de dépasser les difficultés d'ordre linguistique mais le plus dur est de comment faire face aux difficultés d'ordre culturel ? Ce qui est dit dans une culture donnée ne peut être dit dans une autre

culture, et c'est là un grand problème pour le traducteur qui doit bien assimiler la culture de l'autre pour bien le traduire.

La traduction et la littérature sont étroitement liées et existaient depuis très longtemps, certains diraient même que la traduction littéraire vient chronologiquement en seconde position après la traduction religieuse qui est la plus ancienne de toutes. En parlant de traduction littéraire il faut mettre en considération le niveau esthétique du texte à traduire qu'il soit poésie ou prose ainsi que sa traduction car le traducteur essaye de son mieux de produire le même effet que produit le texte original sur le lecteur par le biais de sa traduction et il ne saura le faire qu'après avoir bien assimilé le sens des mots et phrases du texte source et bien compris ce que l'auteur vise dans son texte en prenant en considération sa culture.

La traduction littéraire est la plus difficile des traductions disent certains théoriciens, certains disent même que la littérature ne saurait être traduite que par un homme de lettres, un homme qui a consacré sa vie pour la littérature et qui était toujours à son service. En effet le texte littéraire renferme en lui une masse d'effets et émotions que le traducteur doit à son tour les transmettre fidèlement au lecteur pour le faire revivre l'expérience de l'auteur ou du moins la lui faire partager.

Certains théoriciens parlent de l'impossibilité de traduire vu la différence qu'il y a entre les langues, d'autres réfutent ce point de vue et disent le contraire car tout ce qui se dit dans une langue peut être dit dans une autre, il y a toujours une possibilité de communication entre

les langues, mais cela ne veut nullement dire que chaque mot ou terme d'une langue donnée a son équivalent dans une autre langue ça serait absurde surtout s'il s'agit de mots qui contiennent une charge culturelle.

En parlant de la possibilité ou l'impossibilité de la traduction certains abordent le sujet de la poésie ; il faut dire que certains théoriciens refusent l'idée de la possibilité de sa traduction; car pour eux ce genre littéraire représente la littérature dans son pic ; l'on considère qu'une littérature a atteint son pic, son point le plus haut qu'en regardant sa poésie, la poésie est magique elle est un ensemble de rythmes, toute poésie a son propre rythme qui fait sa différence et il ne serait possible pour un traducteur de la traduire que s'il créé lui-même une autre poésie, car traduire la poésie est une tâche très difficile et toute tentative de la traduire lui ferait perdre sa magie, son éclat. D'autres au contraire admettent qu'il serait difficile pour un traducteur de traduire la poésie et que ce sera pour lui une tâche épuisante mais affirment sa traductibilité.

Autre sujet de traduction le théâtre, traduire une pièce théâtrale est aussi difficile que traduire un conte etc., car là on ne traduit pas seulement le sens mais aussi les gestes, le décor, l'atmosphère qui règne dans cette pièce, le traducteur doit aussi mettre en considération l'époque de l'auteur qui a écrit cette pièce et les circonstances dans lesquelles la pièce théâtrale a été écrite, tout en prenant en considération le public auquel il traduit.

La traduction des proverbes est tout aussi difficile pour un traducteur car sa traduction n'est pas que langagière mais culturelle, en traduisant le traducteur doit chercher des équivalences culturelles et non langagières car il est en train de traduire des sens qui ont une charge civilo-socioculturelles, et cette caractéristique est spécifique pour chaque société et est propre à elle seule.

La traduction fut et sera toujours un sujet de débats entre différents théoriciens et praticiens sur la méthode la plus appropriée pour traduire car le traducteur est toujours en face à un texte source qui exige de lui une traduction fidèle et d'autre part d'un texte cible dont le public lecteur demande à respecter sa culture. Certains théoriciens parlent de « traduction résistante » qui veut dire résistante à la culture de l'autre, une traduction n'est considérée comme forte que si elle peut reformer des textes étrangers tout en banalisant et excluant leurs cultures, ceci a pour but de conserver la culture source. Mais d'autre part certains diraient que la culture cible en s'ouvrant sur de nouvelles idées deviendrait riche en étant en contact avec d'autres cultures. Là encore l'on s'arrête sur une problématique qu'est : Comment la théorie de la traduction traite-elle la traduction de l'élément culturel vis-à-vis du littéralisme pur au texte et de la liberté de traduire, de la correspondance et communication de deux cultures différentes ou de la résistance et le rejet de l'autre.

le traducteur a tendance dans la majorité des cas à produire un texte qui correspond au texte source dans sa forme et contenu, il remplacera

ainsi les mots du texte source par des mots équivalents dans le texte cible, cette technique d'après des théoriciens est possible et faisable tandis que d'autres de l'école d'interprétation surtout réfutent sa possibilité à cause de la différence qu'il y a entre les langues, et de la différence qu'il y a entre les cultures, chaque texte provient d'une culture et cette culture est propre à son peuple, et qui est aussi différente de la culture du peuple récepteur, donc toute correspondance entre les termes du texte source et du texte cible est impossible.

La similarité qu'il y a entre certaines langues ne signifie en aucun cas que la valeur des choses soit la même pour tous les peuples,car chaque peuple a ses mots et termes qui lui sont propres, c'est ainsi que la tâche du traducteur qui consiste en la réalisation d'une équivalence entre deux textes étrangers soit aussi difficile, c'est dans ce sens là que certains théoriciens affirment que le monde est imaginé différemment par chaque peuple selon la différence qui existe entre leurs langues, et que chaque système langagier a sa propre méthode d'analyser le monde extérieur qui nous entoure, c'est pourquoi le traducteur doit respecter les valeurs culturelles, historiques et sociales de chaque peuple en traduisant, et puisque notre vision du monde est différente et c'est très difficile de trouver des mots équivalents à certains mots qui contiennent en eux une charge sémantique qu'on ne trouve pas dans les autres langues.

Les langues et les cultures ne sont pas identiques et ce qui se trouve dans une culture donnée ne se trouve pas dans une autre culture, Nida quant à lui a proposé le concept « équivalence dynamique » qui peut aider le traducteur à éviter les difficultés et de déformer les valeurs sémantiques des mots et expressions, mais ceci est considéré par d'autres théoriciens tel que De-beaugrande comme quelque chose d'irréalisable surtout dans beaucoup de cas, car chaque langue a son héritage culturel et historique qui la distingue des autres langues d'autres sociétés.

George Steiner quant à lui a distingué trois courants théoriques de la traduction de ceux qui optent pour le littéralisme et ceux qui préfèrent la traduction libre et ceux qui voient en l'adaptation la méthode la plus appropriée pour rendre l'esprit du texte source, sans oublier les études traductologiques modernes surtout l'école Allemande qui se concentre sur la charge culturelle et sociale du texte et voit la nécessité de s'adapter à la culture de ceux pour qui on traduit, c'est ainsi que certains appellent à donner libre cours à sa traduction en vue d'enrichir les cultures ce qu'on appelle l'adoption.

La traduction a joué un rôle très important dans le rapprochement des civilisations et peuples c'est ainsi qu'on lit toujours les chefs d'œuvres d'anciennes imminentes Personnalités qui ont eu et ont toujours une grande influence sur le monde, on doit beaucoup à la traduction qui a permit à différentes cultures de communiquer et d'être en contact malgré les différences qui les distinguent les unes des

autres, mais ceci n'est pas toujours le cas pour certaines cultures qui résistent et refusent l'autre dans une tentative de préserver leur unité et nier l'autre, c'est ce qu'affirme Ines Oseki Depré dans son livre « théories et pratiques de la traduction littéraire » en donnant un exemple sur la résistance des juifs à différentes cultures durant deux périodes différentes.

Non loin de ce point de vue, Antoine Berman parle lui aussi de résistance de certaines cultures aux autres cultures qui lui sont étrangères pour préserver la pureté de leurs langues et cultures, d'autre part la théorie du poly système voit en la traduction un vecteur d'interférences entre différentes cultures, où la traduction occupe une place très importante.

Dans le troisième chapitre intitulé la traduction littéraire et la réception on a abordé la relation qui existe entre la traduction et la théorie de la réception et le rôle de cette dernière dans le développement du processus du traduire et l'influence qu'elle a eu au début sur les études littéraires et ses critiques puis son passage ensuite à la traduction.

Comme on le sait l'histoire de la théorie de la littérature se divise en trois étapes distinctes, dans la première étape les études critiques se sont concentrées sur l'auteur qui est devenu le centre de la création, puis sont venus les formalistes russes en seconde étape comme révolution contre l'autorité de l'auteur, quant à la nouvelle critique en France elle appelle à ignorer l'auteur et s'occuper de la définition du

texte et l'écriture. C'est ainsi que l'autorité de l'écriture ou l'autorité du texte a vu le jour. Dans une étape finale l'intérêt s'est porté au lecteur et à la lecture d'une façon impressionnante, il ne faut pas oublier qu'après l'influence de cette théorie sur la traduction le traducteur a porté un intérêt majeur à ces deux éléments on effectuant sa traduction, ce qui montre qu'il y a une relation étroite qui existe entre l'opération de traduction la réception et la littérature.

La théorie de la réception a joué un rôle primordial dans l'opération de traduction, on ne peut juger sur la réussite ou l'échec d'une traduction que si le traducteur a compris et cerné le sens que l'auteur veut à travers son œuvre, le traducteur étant un lecteur récepteur de premier degrés, la théorie de la réception veille à l'éloigner de toute mauvaise compréhension ou infidélité au texte source en mettant l'accent sur la responsabilité du lecteur. C'est ainsi que traduction et réception se rencontrent dans le lecteur ou récepteur, tout traducteur reçoit le texte dans sa langue d'origine pour qu'à son tour il le traduit dans une langue cible dans un contexte socioculturel spécifique, et ceci ne peut être effectué que par de multiples lectures pour qu'enfin il découvre le sens que veut l'auteur et que par la suite il donne au texte son vrai sens.

La théorie de la réception a donné un nouveau souffle aux études et critiques littéraires, elle a vu le jour dans les années soixante en Allemagne de l'Ouest à l'université de Constance, où Hans Robert Yauss a mit au point les premiers traits de ce qui est appelé théorie de

l'esthétique de réception qui met la réception dans un cadre historique d'un coté et en lisant les grandes œuvres littéraires et juger leurs valeurs esthétiques à travers l'historicité des réceptions qui se sont succédées dans le passé d'un autre coté.

Tandis qu'Izer le chercheur dans la littérature Anglaise il a fondé la théorie de réponse ou réaction du lecteur qui se base sur trois principes : le texte, le lecteur et leur interaction. Il décrit l'interaction qu'il y a entre le texte et le lecteur selon le principe du lecteur implicite qui le définit à travers une situation textuelle et une continuité de production du sens, selon un principe que le produit est l'œuvre du lecteur pas seulement celle de l'auteur.

La théorie de la réception s'est intéressée au lecteur car c'est lui qui donne au texte son sens et c'est lui qui lit les œuvres littéraires à travers des lectures répétées et leurs donne des significations qui leurs sont jamais données auparavant, le lecteur de ce fait n'est pas devenu un élément marginalisé dans les études littéraires au contraire il est devenu selon ce qu'a dit Yauss « le seul juge dans l'histoire de la littérature moderne ».

Il est aussi important de faire le point ici sur l'importance de l'interprétation des textes dans l'acte de traduction, Heidegger affirme cela en disant : « toute traduction est en elle même une interprétation, elle porte dans son être les fondements, les ouvertures et les niveaux

de l'interprétation qui se sont trouvés à son origine, et l'interprétation à son tour n'est que l'accomplissement de la traduction ».

L'interprétation a une grande importance dans l'opération de traduction, la littérature Arabe elle-même ne manque pas d'exemples qui démontrent cela, nombreux sont les savants qui affirment que tous les textes sont interprétables tel qu'Ibn Al Arabi qui dit : « il n y a point dans cet univers une parole qui ne peut être interprétée », affirmant ainsi l'interprétabilité des textes et montrant l'importance de la lecture et le rôle du lecteur interprète , ce dernier qui épuise beaucoup d'efforts intellectuels le conduisant à goûter le texte et sentir une satisfaction après une profonde lecture.

L'interprétation joue aussi un rôle important dans l'extraction du sens imaginé en pénétrant dans les profondeurs du texte et cherchant les sens apparents et cachés par le remplissage des vides, et l'interprétation du texte à partir de l'expérience imaginaire et réelle du lecteur.

Yauss a investi les travaux de Gadamer dans la lecture et l'interprétation, et il a mit l'accent sur le concept d' « Horizon d'attente » ; le texte littéraire généralement porte au lecteur une série de données formant un système d'attentes et de signes qui créent en lui une façon particulière de réception qui le pousse à faire appel à son expérience avec les textes qui les a lu autrefois. Les romans classiques ont habitué le lecteur à une certaine routine d'horizon d'attente ce qui n'est pas le cas avec le nouveau roman qui risque de le

décevoir. C'est ce que confirme Yauss en parlant des bonnes œuvres littéraires qui sont celles qui déçoivent l'horizon d'attente du lecteur.

En parlant de réception ou plus exactement de théorie de réception, nombreux sont les dictionnaires qu'ils soient Arabes ou Français qui parlent de ce terme mais dans son contexte précis et apparent, seuls les dictionnaires Allemands qui ajoutent à côté de sa première signification le terme « esthétique de la réception » et « Histoire de la réception » ce qui explique que le milieu intellectuel Allemand a donné un autre sens à ce terme.

On peut dire que la théorie de la réception est un mouvement de correction des déviations et lacunes de la critique et une révolte annoncée contre le Marxisme qui s'est concentré sur deux éléments : l'auteur et le texte en écartant le lecteur, pour qu'enfin l'intérêt change de l'auteur vers le lecteur en s'éloignant de la vision classique qui étudie le texte en se basant sur le vécu de l'auteur.

Cette théorie avait pour éléments le texte et le lecteur, ce dernier dont l'importance dépasse même celle de l'auteur et du traducteur. Ces derniers dont la mission s'arrête après l'opération d'écriture ou traduction, mais le rôle du lecteur s'étend à travers les générations.

Il ne faut pas oublier que la théorie de la réception avait une grande influence sur le développement des méthodes de traduction et ce après les efforts du groupe Norman et de l'école de Constance. Le groupe Norman s'est intéressé à l'étude du texte littéraire en se basant sur le courant Marxiste en traitant le lecteur selon son appartenance à sa

couche sociale qui l'influence faisant du texte, le lecteur et la lecture des outils de production littéraire.

Quant à l'école de Constance, elle s'est intéressée à l'esthétique de la réception et la critique de réponse du lecteur, c'est à partir de celà qu'un changement s'est produit au sein des différentes études du texte qui ne voient plus le texte indépendant de son lecteur, car la théorie de la réception s'est basée sur le principe d'horizon d'attente qui détermine la méthode d'intervention du lecteur pour former le sens, un sens qui se rapproche de celui de l'auteur , et il se peut qu'il soit différent de ce dernier créant ainsi un conflit entre les deux horizons, c'est-à-dire un éloignement du sens même, ce qui laisse le lecteur sortir des usages langagiers dont il s'est habitué, et laisserait un impact esthétique. Etant une effraction d'un système particulier et défini dans l'esprit du lecteur, ce dernier qui va partir à la recherche des sens cachés et apparents, mais requiert une capacité linguistique et cognitive particulières.

Le traducteur étant le premier concerné par cette théorie est un lecteur récepteur de premier degrés il sera appelé à utiliser ses capacités linguistiques et cognitives pour produire un texte qui se rapprocherait de sa version originale tout en respectant la culture du lecteur récepteur du texte traduit, puisque le lecteur n'est pas aussi passif qu'on le pense.

L'opération de traduction est devenue trop complexe qu'il est nécessaire pour un traducteur de perfectionner ses méthodes de

traduction et sa capacité à assimiler le sens des textes qui font objet de traduction. Le traducteur est un lecteur d'un rang spécial, il n'est pas un lecteur ordinaire, parfois il atteint le sens que veut l'auteur et parfois non, c'est un passeur de textes d'une langue à une autre mais en même temps c'est un créateur qui veille à se rapprocher le plus possible du sens voulu par l'auteur, et pour se faire il doit être au courant de ce qui entoure le texte, la vie de l'auteur , le genre de texte, sa structure, sa langue , son style, cela l'aiderait probablement à chercher et à découvrir les sens cachés dans le texte.

La théorie de la réception a joué un rôle très important dans le domaine de la traduction littéraire en s'intéressant plus particulièrement aux relations culturelles et civilisationnelles qui existent entre les nations, et en élargissant les connaissances du traducteur lecteur qui ne se contentait pas d'une lecture passive, mais lit entre les lignes et plonge dans les profondeurs du texte pour découvrir ce que l'auteur vise, par le biais d'opérations d'interprétation, ce qui engendre une interaction entre le traducteur et le texte et aide à résoudre les problèmes qui lui font face durant sa traduction et qu'à la fin il produit une traduction qui se rapproche du texte d'origine, mais il faut dire qu'à la fin le lecteur récepteur de ce texte cible est le vrai producteur du sens de ce texte à travers son interaction avec ce dernier donc la littérarité du texte ne peut se faire qu'à travers le lecteur.

Et il faut dire qu'un texte ne dure et que sa vie ne se prolonge qu'avec la succession des publics qui le consomment et ceci ne peut se faire que par l'acte de lecture.

Ayant parlé de la théorie de la réception et de son impact sur le domaine de la traduction, faisons un petit détour pour voir comment se font les échanges des littératures entre les peuples et plus particulièrement nous Arabes, l'on sait que la traduction littéraire a joué un rôle très important dans l'importation des littératures d'autres nations et l'exportation des nôtres, de ce fait le résultat fut l'enrichissement de ces littératures et leurs épanouissement, ceci indique que l'operation de traduction ne doit pas se faire dans un seul et unique sens comme le confirment certains théoriciens pour veiller à la continuité des échanges et de ce fait l'enrichissement mutuel des cultures.

A vrai dire la littérature Arabe a eu beaucoup de succès dans les milieux littéraires et culturels occidentaux surtout avec les œuvres de certains écrivains tels que Naguib Mahfûz, Taha Hussein etc. qui ont été traduits en plusieurs langues étrangères, mais une chose est sure que ces œuvres n'étaient pas reçus dans leur langue d'origine que par une minorité d'intellectuels et orientalistes qui maîtrisent la langue Arabe, la majorité d'entre eux ont besoin de la médiation de la traduction.

Certains traducteurs occidentaux qui ont pour tâche de traduire ces œuvres ont eu du succès dans leurs traductions en sachant trouver

l'équivalent du texte source aussi bien qu'au niveau sens que forme, mais certains traducteurs se sont permis de déformer le texte Arabe, car pour eux il est écrit avec un mauvais style ou bien parce qu'il y a une grande distance qui sépare les deux cultures des deux textes source et cible comme en témoignent certains écrivains Arabes qui se sont plaints de cela.

La vague de traduction des œuvres Arabes a touché certains pays Arabes dont les œuvres ont eu la part de lion en traduction comme les œuvres d'auteurs Egyptiens et palestiniens, et parmi les genres littéraires qui ont été le plus traduits les romans et contes.

Si on parle d'œuvres étrangères on ne trouve qu'un nombre très restreint d'intellectuels Arabes qui maîtrisent vraiment les langues étrangères et qui lisent ces œuvres dans leurs langues originales tandis que la majeure partie d'entre eux ne comptent que sur la traduction pour goutter la littérature étrangère et découvrir un tout autre monde et une toute autre culture différents des siens, et grâce à ce contact établi surtout par les hommes de lettres et spécialistes du domaine littéraire la littérature Arabe a subi un renouveau sans précédent, à titre d'exemple pour ne citer qu'un : le conte Arabe dans la littérature narrative moderne s'est développé grâce au contact avec les œuvres de Kafka.

Tout ce que nous connaissons de la culture et littérature étrangères nous est parvenu via la traduction, mais une traduction de langues différentes, et ainsi nous avons pu goûter à des œuvres extraordinaires

tels que les poèmes de Lord Byron et Wordsworth de l'Anglais, Lamartine et Victor Hugo du Français, sans oublier les romans qui ont une grande attention de la part des traducteurs qui nous ont permis de lire Ernest Hemingway, Dickens, St Exupéry etc.sans parler d'autres genres de savoir qui ont été traduits pour enrichir la connaissance humaine à travers le monde.

Quant à la traduction dans le Maghreb elle est venue en retard par rapport au Moyen Orient et ceci est dû à quelques causes, la plus importante d'entre-elles est le colonialisme qui tenta d'effacer l'identité et la culture de ces peuples en les privant de leur langue.

En bref la traduction est une opération ou plusieurs éléments sont pris en considération par le traducteur dont la tâche devient de plus en plus difficile, surtout qu'il doit tenir compte des règles établies sur son parcours, et parfois doit les suivre à la lettre, aussi bien qu'à l'auteur qui ne cherche que fidélité dans la traduction de son œuvre et un public lecteur exigeant qui veut un respect de sa culture ainsi que compréhension de ce qu'il a entre les yeux comme œuvre littéraire traduite dans sa langue, cela va sans dire que le traducteur a de multiples tâches à sa charge : être bon au niveau linguistique pour bien choisir les mots qui seront en mesure d'égaler les mots du texte source, être bien informé de la culture qu'il traduit, car sans ça il tombera dans le piège de l'infidélité et sera confronté au mépris du lecteur qui lui a donné toute sa confiance et qui n'attendait de lui

qu'un texte dont la lecture lui procurerait beaucoup de choses, telle la satisfaction, l'aisance de compréhension, l'information etc.dont il a besoin.

Dans le dernier chapitre qui fut réservé à la partie pratique de notre mémoire nous avons abordé le sujet de la traduction des spécificités culturelles contenues dans le roman intitulé « Enfance entre deux rives » de l'écrivain Marocain Abdelmadjid Benjelloun traduit par le traducteur Franco-marocain Francis Gouin, nous avons aussi analysé sa méthode de traduction à partir de laquelle nous avons tiré des conclusions sur comment les lecteurs de langue Française reçoivent-ils le mieux ces spécifications, vu qu'ils lisent un texte écrit par l'un des leurs, et qu'à partir de là nous pouvons dire qu'il est le mieux placé pour comprendre ce que veulent les lecteurs de sa langue, et ce qu'ils attendent de lui. Nous avons procédé à relever ce que nous avons constaté dans la traduction du traducteur, que ce soit un succès ou un échec, suivi de remarques renforcées par des propos de théoriciens du domaine, pour faciliter au lecteur la compréhension de ce qui a poussé le traducteur à choisir telle ou telle méthode et ce qu'en disent les spécialistes du domaine de la traduction.

En premier lieu nous avons commencé ce chapitre par une introduction, où nous avons donné un bref aperçu sur l'histoire du roman Maghrébin et l'historique des premiers romans dans chaque pays du Maghreb, cette partie du monde riche par la diversité de ses cultures d'une région à l'autre. En second lieu nous avons donné une

brève présentation du roman « Enfance entre deux rives » de Abdelmadjid Benjelloun qui est considéré comme le premier roman Marocain écrit en langue Arabe, ce roman qui est une extraordinaire autobiographie de l'auteur qui était publiée en premier lieu par partie dans la revue « Rissalat Al Maghreb » -lettre du Maroc en Français- en 1949 et qui sera publiée par la suite entièrement en 1957 par la librairie Al Atlas au Maroc.

« Enfance entre deux rives » est un roman qui nous plonge dans la vie de l'auteur, dans la période de son enfance passée en premier lieu en Angleterre, et plus précisément à Manchester avec sa petite famille composée essentiellement de ses parents, de sa petite sœur et de la nourrice originaire de Marrakech qui veille à leur bien-être, beaucoup d'événements se sont produits durant son enfance, de ses visites chez la famille « Patranos » qu'il aimait bien, à la mort de sa mère, au mariage de son père de la nourrice qui a comblé le vide de sa mère, du départ final de la famille pour s'installer dans la ville de Fès où habite la grande famille de l'auteur, là l'enfant se retrouve confronté à une nouvelle vie très étrange et primitive qui n'a aucun rapprochement avec la vie qu'à vécu auparavant, surtout qu'en premier lieu il a souffert des remarques de son grand-père sur ses comportements et son style vestimentaire, de son ignorance totale de la langue Arabe, mais ce grand-père voue un amour profond à son petit fils ce qui lui a permis de s'adapter à son nouvel environnement. Puis des événements tragiques se succédèrent avec la mort de sa sœur et celle de son grand-père et de l'épouse de son oncle et de la faillite de son père ce qui fragilisa la santé de l'auteur. D'autres événements lui feront oublier

ses malheurs et il retrouva goût à la vie en jouant le football et en montant l'échelle de l'apprentissage de la langue Arabe et des sciences de la religion, et en décidant enfin de partir étudier en Egypte.

En parlant de l'auteur on pourrait dire que c'est un écrivain, journaliste et diplomate qui a su marier entre ces différentes activités né à Casablanca en 1919, puis parti avec sa famille s'installer à Manchester, puis revenu s'installer définitivement dans la ville de Fès Sa première scolarité fut en quelque sorte en Angleterre et au Maroc puis celui-ci partit terminer ses études supérieures en Egypte. Après l'indépendance du Maroc il retourna dans son pays où il sera président du journal « Al-Ilm » (science en Français), puis sera Ambassadeur du Maroc au Pakistan, puis cadre au sein du Ministère des affaires étrangères sans pour autant s'arrêter d'écrire, il décéda en 1981 laissant un riche répertoire d'œuvres littéraires parmi celle-ci son roman autobiographique.

« Enfance entre deux rives » dont l'UNESCO ordonna sa traduction en plusieurs langues, parmi celles-ci la version Française dont Francis Gouin fut l'auteur.

En troisième lieu l'on a procédé à l'évaluation du titre de la traduction tout en entrant dans les détails des causes qui ont poussé le traducteur à le choisir, Le traducteur quant à lui nous a affirmé durant l'interview effectuée avec lui que le titre fut choisi après avoir terminé

sa traduction du roman, et qu'il fut suggéré par certains amis relevant du domaine littéraire, ce titre qui reflète l'image contenue dans le roman et qui porte en lui une charge sémantique qu'on ne peut trouver dans un tout autre titre suggéré.

Enfin après avoir donné un bref aperçu de l'histoire des romans Maghrébins dans l'introduction, et présenté le roman et son auteur, et évalué le titre de sa traduction Française, voilà que nous allons abordé le problème de la traduction des spécificités culturelles de ce roman écrit en langue Arabe classique, mais laissant parfois apparaître quelques mots et expressions en Arabe dialectal, qui portent en eux une charge culturelle pas facile à faire passer par le biais de la traduction, vu la difficulté de trouver des équivalents de ces mots et expressions dans l'autre langue, voir même son impossibilité.

Dans cette partie nous avons relevé les points où l'on a jugé que telle ou telle mot ou expression relève de la culture Maghrébine et plus particulièrement Marocaine -qui n'est pas loin de notre culture - et comment le traducteur a traduit ceux-ci dans sa version pour qu'elle soit comprise par le lecteur de langue Française qui ignore totalement cette culture et cette langue.

Ce qu'on peut dire de la traduction de Francis Gouin, c'est qu'il a réussi dans la majorité des cas où il y a eu lieu de traduire une spécificité de la culture Marocaine, ceci est du sûrement à sa maîtrise

des deux langues Arabe et Française, ainsi qu'à sa connaissance parfaite de la culture du peuple duquel il traduit, sans oublier sa connaissance du livre sacré de ce peuple qui est le Coran, dont l'auteur a fait usage de certains mots et expressions empruntés de ce livre saint, le traducteur a en outre fait usage de notes de bas de page, et d'autres à la fin de sa traduction pour bien expliquer au lecteur la signification de certains mots difficiles.

Ce qu'on peut dire en dernier, c'est que le traducteur a su faire usage de plusieurs méthodes de traduction, la plus en vigueur fut le littéralisme pour être très fidèle au texte source, et ainsi rendre son esprit le plus fidèlement possible, il put faire connaître au lecteur Français une culture qui lui était totalement étrangère et méconnue, cela va sans dire que le traducteur est lui aussi un homme des deux rives Franco-Maghrébine, sinon quelle serait la traduction de ce roman s'il fut traduit par un autre traducteur, jouissant d'une seule culture qui est seulement la sienne.

الملحق الثالث:

ملخص باللغة الانجليزية

Nowadays translation plays an important role in the development of nations and civilisations in all domains; however the scientific and literary domains are the most important ones. One cannot talk about the good status of a given literature before talking about its contact with other nations literatures, it is important for a literature to be in contact with other literatures, by doing exchanges and this can only be done via translation.

Translation is above all the main tool given to people to reach other cultures, and know lot about them, but this task is getting harder for a translator who is facing many problems, theorists who are asking him to follow their rules, in order to get a good translation, besides a demanding author who want a faithful translated text to his original text, and in the other hand a reader who is asking a good translation, which satisfies him and a respect for his culture.

In this dissertation, we tried to underline the main problems which face the translator when translating; we focused on the cultural specifities and the problem of reception.

As we know, when starting translating a literary text a translator should take into account that he must master the two languages between which he is toing-and-froing, besides he must know

very well the culture of the people from whom he is translating, to be faithful to the message he is transmitting to the target text's people, he also must take into account the reader to whom he is translating by respecting his culture, and transmitting the message faithfully, in order to give him the exact meaning of the words and expressions related to the culture of the source text's people.

First we talked about the history of translation in the Arab world, as well as the occidental one, we also showed the different cultural difficulties the translator is facing when he is carrying out his task. We have shown the close relationship between translation, culture and literature, we talked about the possibility or not of the translation of some literary kinds, and we talked about the different methods of translation raised by different theorists, we also showed the relationship which exists between literary translation and the theory of reception, and the role of this latest in developing the different methods of translation, in the end we talked about the different exchanges done by our literature and the other literatures via translation, and how these exchanges were done, and the result of these exchanges on both sides.

In the fourth chapter which includes the practical part of our dissertation, we had Abdelmadjid Bendjelloun's novel and its translation to French done by Francis Gouin as a prototype, we

gave a brief presentation of "Enfance entre deux rives" novel, and a brief presentation of its author Abdelmadjid Bendjelloun, then we made an evaluation of the French title, and in the end we started studying the cultural specifities contained in the novel, and how the translator dealt with them when translating.

We also included the written version of the interview we made with the translator which exists in an audio version.

This novel which is an autobiography which tells a story of a little boy who lives with his little family in England (Manchester) where he spends his days playing, making visits to a neighbour named Al Patranos family, in sum everything that everyone can imagine of a child's life, this little boy will face tragic moments, like the death of his mother, his father's marriage, and their leave for Morocco to join the great family in Fez.

He will know his father's family especially his grand father who likes him too much, then he will face many troubles, like ignoring the Arabic language, and again will face other tragic moments like the death of his sister, his grand father death, and his uncle's wife death also, but after he will enjoy life when playing football, learning Arabic and being the best pupil in his traditional school, till the end of the story of his childhood, where another period which is the adulthood one will open its doors to this child, when he decided to leave his country to continue his studies in Egypt.

The only thing that we can say about Francis Gouin's translation, that he succeeded in the majority of the cases in his trials of translating cultural specificities and this we think is due to his perfect mastery of the two languages Arabic and French, besides his large knowledge of the Moroccan culture. He helped his translation using footnotes where he explains to the reader the meaning of some dialectical words and expressions contained in the Moroccan culture which are totally unknown by him.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمـــــة	أ-ه
مدخـــــل	1
الفصل الأول: ثنـــــائية الترجمـــــة والثقـــافة	8
أولا : الترجمة بين الماضي والحاضر	9
مقدمة	9
1-1- الترجمة عند العرب	10
1-2- الترجمة عند الغرب	12
خاتمة	15
ثانيا: علـــى ضفـــاف الثقـــافـــات	15
مقدمة	15
2-1- ماهية الثقافة..	16
2-2- المترجم كوسيط ثقافي	18
خاتمة	20
ثالثا : العائق الثقافي في العملية الترجمية	21
مقدمة	21
3-1- عائق الثقافة الإيديولوجية	21
3-2- عائق الثقافة الاجتماعية	22
3-3- عائق الثقافة المادية.	25
3-4- عائق الثقافة البيئية	25
خاتمة	26
الفصل الثاني: ثنـــائية التـــرجـــمة والأدب	
مقدمة	27

أولا: الترجمة والتواصل الثقافي الأدبي	**28**
خاتمة	**31**
ثانيا : مابين استحالة الترجمة الأدبية وإمكانها	**32**
مقدمة	**32**
2-1- ترجمة الشعــر	**33**
2-2- ترجمة المسرحية	**34**
2-3- ترجمة الأقوال المأثورة	**36**
خاتمة	**37**
ثالثا: منهجية ترجمة الألسن والثقافات	**37**
مقدمة	**37**
3-1- مابين الانقياد المطلق وحرية التصرف	**39**
3-2- مابين المزاوجة والإنكار	**41**
خاتمة	**45**
الفصل الثالث: ثنائية الترجمة الأدبية والتلقي	
أولا : التلقي الترجمي	**47**
مقدمة	**47**
1-1- نظرية التلقي	**48**
1-2- مساهمة نظرية التلقي في تطور أساليب الترجمة..	**53**
خاتمة	**57**
ثانيا: هجرة النص الأدبي	**58**
مقدمة	**58**
2-1- الأدب العربي مرسلا	**58**
2-2- الأدب العربي مستقبلا	**61**
خاتمة	**63**
الفصل التطبيقي	
مقدمة	**65**

أولا : تقديم رواية في الطفولة ولمحة عن حياة كاتبها	**65**
ثانيا : تقييم ترجمة العنوان	**68**
ثالثا : دراسة تحليلية نقدية لترجمة فرانسيس غوان Francis Gouin للخصوصيات الثقافية الواردة ضمن رواية عبد المجيد بن جلون "في الطفولة"	**69**
خاتمة	**128**
قائمة المراجع والمصادر	**131**
الملاحـــــق.....	**138**
حوار مع مترجم الرواية فرانسيس غوان Francis Gouin	
ملخص باللغة الفرنسية	
ملخص باللغة الانجليزية	
فهرس الموضوعات	